فرحة الملايين

اسرة المجلة

عندما أوى الناس الى بيوتهم فى أواخر هذه الليلة من شهر يولية ١٩٥٢ منذ اثنتى عشرة سنة لم يكونوا يعلمون ان الظلام سيولى مع الظلم وسيلوح فجر الحرية حاملا للملايين فرحة تاريخية هللت لها مصر يومئذ واندهشت لها الدنيا ٠

وحين ارتفعت الشعلة بيد الثائر الشاب البطل عبد الناصر ظن أعداء النور أن نورها سيكون فى موطنها على الأكثر ولم يكن يخطر ببالهم أن كل عام يمر سيرفع من منارتها حتى اصبحت شعلة انسانية تخص كل ركن من الارض ٠

دعوة التحرر والكرامة والعدل والكفاية يتضاعف نورها وعدد المؤمنين بها عاما بعد عام ٠

دعوة من أجل كرامة الانسان وروحه وانسانيته ورفاهيته بنت مجدا جديدا على معالم المجد القديم ولم تفرق بين الحرية على ضفاف النيل وبين الحرية على ضفاف نهر آخر فى بقعة من الدنيا ٠ فهى تؤيدها وتؤازرها لان الحرية فى عقيدة قائد الثورة العربية هى الحقيقة الاولى فى بناء الانسان ... الانسان الذى كرمه الله وجعله ارفع مخلوقاته ٠ وان ضوء الشعلة يمتد ويمتد حتى تغلغل الآن فى قلب القارة العذراء (افريقية) وغطى الجزيرة العربية ووصل الى اقصى الشمال واقصى الجنوب حيث حارب التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية ٠

وسيظل امتداده على مر السنين وزحفه كزحف قوى الخير يأبى أن يتوقف لأن روح الله ترعاه ٠

وستفرح الملايين مع كل عيد من أعياد ثورتنا بانتصار جديد ... انتصار للانسان فى أى بقعة من الارض ٠ حين يسترد حقا مسلوبا أو وطنا منهوبا أو كرامة أهدرها ظالم وستزداد الفرحة بمر السنين بارساء قواعد مجتمع الكفاية والعدل ٠

ان الفرحة التى يستشعرها شعب الجمهورية اليوم ليست فى قلبه وحده بل فى قلب ملايين آخرين من البشر فى أماكن أخرى من الارض ٠ وصل اليهم نور الشعلة العالية الهادية التى رفعها « جمال » منذ اثنتى عشرة سنة فغمر نورها بقاعا كثيرة ظلت تحلم بالنور سنوات عديدة ٠

أسرة المجلة

خطوات على الشلال

فى ضيافة النيل

بقلم محمود تيمور

نحن اليوم ضيوف النهر الخالد ، فقد لبينا دعوته الى شهود الآثار التى تحيط به ، وزيارة المنشآت التى تقوم عليه ، وفى مقدمتها السد العظيم .

انطلقت السيارة تطوى بنا الارض ، ووجهتها السد تلك المنشأة التى اتخذت مكان الصدارة بين الاعمال العمرانية الحديثة ، وبها يتسم العصر كله ، فاننا نحيا فى عصر السد لا مراء . فالرخاء الشامل لهذا الوطن الحبيب هدف له ، والنهوض بالمرافق الزراعية والصناعية على اوسع نطاق امل معلق به ، ولقد ظل ذلك العمل الجبار سرابا لامعا يساور الأعين أعواما طوالا ، وطيفا جميلا يؤنسنا فى عالم الرؤى اللطاف ، والآن يغدو حقيقة ماثلة تتصاعد بخطاها الفساح على درج الخلود .

الطريق الى السد معبد مريح ، به بعض المشابه من الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، وانك لتلاحظ فيه بوضوح تعمير المنطقة وتعصيرها فى سرعة تبعث على الدهش : أبنية متفرقة لا حصر لها تنبت على الجانبين ، مصانع متلاحقة منها ما هو للحديد والصلب ومنها ما هو للكيميائيات ، مدن كاملة لا تكاد احداها تختفى عن الانظار حتى تطالعك مدينة أخرى ، وهى مستعمرات عظيمة للعمال والموظفين ، ولكنها مستعمرات لخير الانسان ورفاهيته وسلامه ، لا لتسخيره واستغلاله واذلاله .

واجتزنا بعد ذلك بقعة صخرية جبلية ، كنا نسير فيها كأنما نشقها شقا ، فبينما تتعالى تلال الحجارة حولنا ، اذ تبدو لنا المناطق التى تعد فيها المواد لبناء السد ، وهى حظائر حافلة بالآلات الضخام ، وبالناقلات والقـاطرات والمقطورات من السيارات غادية رائحة فى جد ونشاط .

وواجهتنا قرية شعبية عصرية توفر السكنى المريحة للمواطن الكادح ، وتتيح له أن يجد المقام الطيب ، فهنالك ساحات للرياضة ، وقاعات للســينما والاذاعة وأندية للتثقيف ، وأخرى للترفيه ، الى كثير من مظاهر التحضر ومرافقه .

ولم نلبث ان التقمتنا منطقة العمل الاصيل ، فأحسسنا أننا قد دخلنا جوف المعركة وانها حقا لمعركة جبارة يشنها الانسان بما أوتى من عقل ، وبما كسب من علم ، لاخضاع الطبيعة وتطويعها لكى يستكمل حضارته .

واخذنا نجوب المنطقة ، طورا صاعدين الى الروابى والشرفات ، وتارة هابطين الى الأغوار والأعماق ، وشعرنا ونحن نجيل النظر فيما حولنا أننا قد اصبحنا جزءا من المعركة الدائرة ، جنودا نقوم بقسطنا من المشاركة والاسهام : ابراج متحركة ، ورافعات عاتية ، وأنفاق وفجوات ، والعمال فيها كالنمل الدائب ، او لكان المنطقة كلها خلية نحل هائلة سكانها البشر ، وبيوتها جبال ، وآلات ومعدات.

مثلت وقتا أسرح الطرف يمنة ويسرة ، وأنا فى دوامة طاغية : ذلك هو الجبل الاصم الضخم ، وان بطنه ليبقر ، وشرايينه تمزق ، وأوصاله تقطع ، وهاماته تتهاوى ، فيا للجبل الشامخ يحنى هامته أمام قدرة الانسان ، ويخلى مكانه لعملاق جديد يتسامق ليسدى الخير والبركة للوادى الخصيب ... انه عملاق السد العظيم !

ورميت ببصرى الى النيل ، فاذا الناقلات النهرية تجوب سطحه كأنها تماسيح من حديد ، وضخام الآلات فى صخب تزحم ضفتيه ، والاحجار تقذف فى فمه ليلتهمها صاغرا معقود اللسان .

ايها النهر الخالد : آن لك أن تعرف حقيقة نفسك ، وحقيقة من يعايشك من البشر حولك ، كنت فيما مضى الها ينظر اليك عبادك بعين الهيبة والرهبة ، ويقدمون اليك من فلذات الاكباد هبات وقرابين ، يستجدون بها رضاك ، حتى تحبوهم من مائك ما تحيا به الارض الموات ، فاخلع عنك اليوم هذه الالوهية ، واقم بين الناس فى غير تعال ولا جبروت ، لا صلاة تفرضها ، ولا قربان تطالب بها ، وحسبك ما قضيت من أعوام مئين بل آلوف ، غارقا فى أحلام خرافية نسجها لك مواطنوك القدامى فى عهودهم البدائية وحضاراتهم الاولى فقد تغيرت بك الحال ، وانتبه الناس من غفلاتهم ينفضون عن عقولهم جهالة الأجيال ، ويلقون من رءوسهم ضلالة القرون ، وكشف الانسان عن نفسه بنفسه ، فآمن بأن الله خلقه ليكون سيد نفسه ، صانع اقداره ، لا ليكون عبدا لآلهة زائفة تبتز منه القرابين .

كل شيء يجرى عليه سنن التطور ، أنت ملاق نصيبك منه رضيت أو كرهت، لقد استبدلنا بالوهتك أبوة كريمة ، فلترع حق البنوة ، ولتكن أبا رزينا حكيما يدر الخير لبنيه ، وما أردنا الا ان نكون ابناء بررة أوفياء ، نحسن الانتفاع بما تغدقه علينا من فيضك العميم .

كان البحر دائما تجاهك يفغر لك فاه ، ليبتلع من مائك العذب فى سعار وجشع ما يشاء أن يبتلع ، وعلى الرغم من مر الدهور الطوال مازالت أحشاؤه اليك عطشى ، لاتمل منك ولا تروى ، وانت اليوم أيها النهر الخالد قادر أن تحبس ماءك ، فلا يتدفق الى البحر ليذهب سدى ، مستطيع أن تعود به على تلك

الصحراوات الممتدة على جانبيك ، المتطلعة ابدا اليك ، لتبعث فيها الحياة والنماء والازدهار ، بعد ان لبثت احقابا بعيدة تأمل ان تحظى بقطرات منك ، تبل بها شفاهها المشققة الجدباء .

ما أسعدك الآن بأن تستطيع أن تمنح من هو أهل للمنح ، وأن تحرم من لايضره الحرمان !

وما أسعدنى ، وانا فى موقفى هذا ، بأن أشهد المكان الذى يولد فيه السد وينمو ، ليكون فتحا مبينا لوطنى العزيز .

انى ازور السد اليوم ، وهو فى بطن النهر جنين يتخلق ، ارهف السمع الى نبضات قلبه ، فكأنما اصغى الى هزيم رعوده تدوى فى جوانب الأفق ، واشحذ شعورى نحوه ، فأحس روحه الجياشة امواجا تتصاول وتتصارع . وفى الغد المرتقب ازوره ليستقبلنى على بعد بالترحيب من هديره الدفاق .

اتركه الآن غرسة لأجده عن قريب دوحة ، تظلل الوادى الأمين ، وتؤتيه أطيب الثمرات .

اتركه الآن بيضة فى ضمير الغد ، لأراه من بعد نسرا يحلق بجناحيه فى سماء النيل ، ليحمى شاطئيه ، ويحرس سكانه واهليه .

فسلاما ايها السد العظيم ، والى لقاء وشيك !

انا ماضون الساعة الى زيارة صنوك وزميلك ، شيخنا الوقور « خزان أسوان » . بلفناه والشمس تتوسط كبد السماء ، وترسل بأشعتها الساطعة ، لتشيع الدفء والبهجة والاشراق .

وقفنا أمام ذلك الجبار المتمدد على عرض النهر ، صاحب الألف فم وفم ، ومنها يتدفق الموج شلالات هائجة مائجة ، برغوها الثائر ، وصوتها الهادر ، وعن اليمين وعن الشمال ، تنبسط بساتين فيحاء كأنها جنات عدن .

وملأنى خشوع واكبار للشيخ الوقور : كلانا من سن واحدة ، وان كنت اكبره بأعوام قلال . وكلانا واجه الحياة واعباءها فى شجاعة وصبر ، وتقلبت به الايام بين حلو ومر ، وكان من حظنا أن ندرك العهد الجديد الذى أشرقت فيه على الوادى شمس الحرية والاستقلال كاملة الضياء ، موفورة النماء . وكلانا يشعر ، وان طال عليه الأمد ، ان امامه واجبات عليه ان يضطلع بها فى حاضره ، فهو يستمد من قوة العصر وعزمته حيوية النفس وشباب الروح ، ليواكب الركب الجديد فى سيره الى أمام .

ملت على الدليل أقول : الى أين ؟

فأجابنى : ان « انس الوجود » ، او بالأحرى : معبد ايزيس يناديك . فهو منا عن كثب . وليس فى مستطاعك ان تجلو عن البقعة قبل ان تؤدى للأثر العتيق شعائر الطواف .

وهبطنا الى المرسى ، فاستقبلنا قارب صغير مهشم بلا شراع ، وعلى رأسه نوبيان عريان يقودانه ، فنظرت اليه كأني أنظر الى مركب من « مراكب الشمس » يحرسه روحان من أرواح الفراعنة الأقدمين ، وراجعت نفسي بين أقدام واحجام ، ثم قفزت الى القارب وأنا أهمهم على بركة الله ، وفي حماه اتخذك يا مركب الشمس لتبلغني معبد ايزيس !

وانساب القارب على المياه الهادئة ، وأشعة الشمس ترتعش عليها . هذه بحيرة يختزن فيها الماء خلف الخزان ، وانها لتوحي بجلال القدم ، فنحن نجوزها وكأننا نقوم برحلة في عهود ما قبل التاريخ . هنالك صخور متراكم بعضها فوق بعض ، تكونت في عصور بعيدة أقصى البعد ، ولقد كانت هذه الجزر الصخرية موضع الشلال الاول ، والنهر يومئذ طليق لا يجد ما يمنعه ، فتجمح الامواج ما طاب لها الجموح على الصخور في صخب وهدير ، فاما الآن فقد استحالت البقعة بحيرة هادئة سطحها كملمس الحرير ، بعد أن كبحوا جماح النهر ، وقيدوه بسلاسل لا يملك معها الفكاك ، وغدت تلك الصخور كأنها عمالقة الزمن الغابر ، نزلت الى النهر لتستحم ، فساخت اقدامها في القاع ، وبقيت مكانها لا تريمه ، كل ما يظهر منها رءوس مبهمة ضخام !

شاهدنا قمة « أنس الوجود » يهل علينا من بعيد ، وقاربناه ودرنا حواليه ، فاذا هو شرفات يكاد الماء المشرئب يخفيها عن العيون ، ورأيت على ذراها طير « أبي قردان » في بياضه الناصع جاثما برنو الينا في محاذرة وتوجس . ففيم التوجس والمحاذرة أيها الطائر الرشيق ؟ أن كنت من طير الفراعنة ، تبيح لنفسك أن تكون من حراس دورها ومعابدها فاطمئن الينا ؛ نحن من ابناء هذا السلف الصالح صاحب الأمجاد ، وباني الحضارات ، جئنا نحيي مآثر آبائنا العظام ، وليست روحنا الحاضرة الا امتدادا لروحهم الغابرة ، وليس ما نقوم به اليوم من عمل جديد الا استئنافا لما انشأوه من عمل تليد . ما بالك أيها الطائر القابع لاتصدر عنك نأمة ولا حركة ؟ أتكون قد استحلت طائرا من « الألباستر » يزين المتاحف ودور الآثار ؟

حدقت الى الماء استجلي ما يحجبه عن الاعين من خفايا تلك القصور الغريقة ، وذهب بي الخيال كل مذهب ، وساءلت نفسي : هل غدت تلك القصور اليوم مأوى لارواح الفراعنة القدامى ؟ هل استقرت فيها أشباح الكهنة الاولين يتابعون بين انقاضها شعائرهم الدينية تحت ستار الماء في الخفاء ؟

حينما يحل القيظ ، وينحسر الماء ، ويشيع الجفاف ، تبدو الجزيرة بأكملها فسيحة الأرجاء ، زاخرة بالمعابد والقصور ، فيها ساحات وحجرات ، وفيها عمد وبوابات وفي هذه الفترة يزهو « أنس الوجود » بجزيرته ، ويصبح سيدها الاوحد ، ولكأني اسمعه يقول : اليك عني أيها الماء ، لقد غمرتني أشهرا طوالا ، فدعني أستمتع بدفء الشمس ، وابرز لأرى الدنيا حيالي ، قبل ان يعاودني الفيضان، فلا اجد الضياء والهواء الا من أعالي الابراج !

لا عليك يا « أنس الوجود » ، لا عليك أيها الصديق المظلوم ... يوشك عهد سجنك ان ينقضى ، فلن تعيش بعد اليوم شرقا بالماء تعانى الوحدة والظلام . عندى بشرى ازفها اليك ، فانهم سيقيمون حولك سورا عظيما يدرأ عنك غائلة الماء ، كشأن سور الصين القديم . ستحيا بعد اليوم فى أمان من الفيضان ، ولن تغدو موطنا للخرافات والاساطير . ستكون جزيرتك آهلة بالحياة والأحياء ، لا أرواح خفية تسكنك ولا أشباح تمرح فى حناياك ، ولكن يؤمك الناس ليستمتعوا بما فيك من فن أصيل ، ومالك من مجد عريق .

رجعنا بالزورق من حيث اتينا ، حتى أوفينا على المرسى .

وقلت للدليل : حان موعد أوبتنا الى الفندق .

فقال لى مبتسما : لم بحن بعد .

ــ ابقى ما يزار ؟

ــ نعم ، المسلة النائمة .

فرنوت اليه لحظات ، ثم قلت : اتريد منا ان نوقظها ؟

فتراحبت الابتسامة على شفتيه ، وقال : سنحاول ان نفعل ، ولكنها نائمة نومة اهل الكهف !

وزعق يقول لسائق السيارة الى المسلة النائمة .

وجزنا فى الطريق بمقابر اثرية من عهود عربية مختلفة ، ومن عجب ان السيد الدليل أكد لى أن هذه المقابر تضم من رفات أولياء الله الصالحين عددا غير قليل ، وأن على رأس القائمة « السيدة زينب » و « السيد البدوى » .

ــ ولكن للسيدة زينب قبرا فى القاهرة ، وللسيد البدوى قبرا فى طنطا .

ــ اوهام ياسيدى ... قبراهما هنا ... وهذا امر لا جدال فيه .

وانبرى السائق يناصر الدليل فيما يقول ، وهو يضرب عجلة القيادة فترتنح تحت قبضته ، فالفيتنى احسم النزاع بالموافقة ، خشية ان يقع من السائق فى هيجته ما يعجل بنا الى اضافة أسماء جديدة ، تزدان بها القائمة المجيدة من سكان البقعة الطاهرة !

وحادت بنا السيارة فى طريق منعزل ، افضى بنا الى منطقة صخرية ، ثم زايلنا السيارة متجهين الى شبه محجر او منحت . وهنالك راينا عمودا مضلعا يتمدد بصلبه على اديم الصخر ، وضلوعه الثلاث تامة النحت ، فأما الضلع الرابعة فملتحمة بالصخر الاصم . وهكذا بقى العمود فى وضعه الراهن عجبا من العجب ، فلا هو مسلة كاملة ، ولا هو من صميم الجبل ، لا هو وليد مكتمل النمو ، ولا هو نطفة جبلية غير متخلفة ، انه سقط خديج مابرحت أمه محتفظة به فى احشائها .

ايتها المسلة الممددة ، ما اشقاك بما صنعت بك الاقدار ، فانت ابدا فى توثب مشبوب ، ترقبين أن يؤذن لك فى الخلاص .

شبيهة انت بمتهم طالت محاكمته ، وليس هناك من حكم ، وستظلين حبيسة سجنك ، حتى يحكم الزمن فى امرك !

نامى نومة الأبد .

انك مشدودة الى امك بأمراس لا سبيل منها الى الفكاك .

لن تدعك هذه الأم الرءوم تفلتين .

وكم من حب وحنان يغدوان فى دنيا الأثرة والأنانية أشد هولا من المحابس والأغلال .

نامى يا أختاه بسلام !

الغضب

بقلم
محمود البدوى

خرج ابراهيم من المنزل فى الضحى .. وأخذ يسير فى شوارع القاهرة كالضال .. وهو شاعر بأقصى درجات التعاسة .. فقد ظل يبحث عن وظيفة منذ تخرج فى الجامعة وطال البحث والتنقل بين المكاتب والدواوين دون نتيجة ..

وكان فى جيبه ثلاثون قرشا ولم يكن يعرف بعدها كيف يواجه الحياة .. فقد باع كل ما يمكن أن تأتيه بما يسد رمقه .. حتى كتبه باعها .. ولم يبق لديه شىء يباع وأصبح فى حالة قاتلة من اليأس والعذاب وسدت أمامه كل المنافذ وأظلمت الدنيا فى عينيه حتى فكر فى الانتحار كآخر وسيلة للخلاص مما هو فيه من بؤس .

وكان ينقل الخطو متثاقلا وفى رأسه الخاطر الاسود الذى أخذ يلح عليه ، ولاحظ لأول مرة وهو يمشى فى شارع سليمان باشا تجمعات الجماهير فى أكثر من مكان ثم ضوضاء وصخب وأخذت الضوضاء ترتفع ويعلو ضجيجها حتى اشتم رائحة الثورة من الأنفاس المتحركة فى الطريق .

كان هناك شىء لم يدركه يجرى فى قلب القاهرة شىء لم يكن فى حسبانه ولكن حدوثه كان مقدرا بعد العناوين المثيرة التى ظهرت فى صحف الصباح عن معركة الاسماعيلية بالامس بين جنود بلوكات النظام والانجليز .

اشتم رائحة الثورة وهو يتحرك وحده فى الشوارع الضيقة .. فلما اشرف على ميدان مصطفى كامل رأى أبواب المتاجر تتحطم .. والناس تتدفق كالسيل فى موج يدفعه موج ... فشعر بهزة وسار فى ركابها ..

وكانت الجموع تزداد فى كل لحظة هياجا وغضبا .. وترتد عن الشارع ثم تعود اليه .. وبدا له جليا انه لا يحركها ولا يصدها أحد .. وانها تتحرك من تلقاء نفسها بفعل الغضب وحده .. تتحرك وهى ترعد .. ومن عيونها يطل الشرر ..

وكلما انتقل من شارع الى شارع كان يسمع خبرا مثيرا وجديدا عن معركة الامس .. كان يسمع خبرا يلهب حماسة الجماهير ويزيد من غضبها .

ولما وصل الى شارع « فؤاد » رأى لونا آخر من الغضب على وجوه الجموع

الخاشنة .. رأى غضبا أسود لم يره من قبل .

رأى الاثاث يلقى من النوافذ والشرفات، والنيران تشتعل فى المتاجر والبيوت وسمع الصراخ يقرع اذن الجوزاء وبدأت أجراس عربات المطافىء تدوى فى الشوارع .. جرس وراء جرس .. والخراطيم تمتد على الارض .. والسلالم الطويلة تصل الى السقوف .

وأخذ الماء يتدفق فى الشارع ويغسل واجهات العمارات العالية وامتلأت الطرقات بالهباب وبعروق الخشب المتساقطة والنوافذ المحطمة وقطع الزجاج المهشم .

وردته الجماهير الى مكان آخر من نفس الحى .. وشاهد الجموع تجرى فجرى معها دون أن يدرى الغاية من العدو .. ثم توقفت وأخذت تسير فى صفوف متراصة وخيل اليه أنها أصبحت تسد عين الشمس .

***

ولمح خوذات رجال المطافىء النحاسية تلمع وضباب الدخان يملأ الجو وشعر بصدره يضيق من الدخان فانحرف الى شارع عبد الخالق ثروت وهناك شاهد نفرا من الناس يحاول أن يحطم باب أحد المتاجر .. فوقف من بعيد يراقبها دون أن يشترك معها فى العمل .

ولما تحطم الباب الحديدى .. رآهم يتدفقون الى الداخل وراقب العمل بضراوة وشاقه منظرهم الوحشى ، فأسرع اليهم ودخل معهم المتجر ورآهم يلتقطون المجوهرات والساعات فى لمح البصر ويحشون بها جيوبهم .

ودون أن يشعر أو يحس بما فعل امتدت يده سريعا ووضع « عقدا » من الجواهر الثمينة فى جيبه .. وأحس بالعرق وهو يفعل هذا ولكنه لما خرج من المحل . عاد الى نفسه ومشى هادئا فى الطريق ثم الفى نفسه يسرع ويخرج من الشارع .

***

وكان قد دخل فى قلب المعركة وشاقه العمل كله ، شاقه تدفق الجماهير فى الشوارع وحماستها وصياحها بل شاقه النهب نفسه ..

وكانت النيران تشتعل وأسقف البيوت تتداعى حواليه ...

وسمع عن قرب صوتا مضطربا كان صوت الرصاص المنطلق والصراخ يمزق السكون ..

وجاءت عدة طلقات فى تعاقب سريع .

وأدرك أن العمارة المجاورة تحترق .. ان حى البنوك يحترق فى الحال .

وكان شعاع الشمس يتخلل الدخان الاسود ..

***

ودفعته الجموع الى عمارة عالية فى الشارع وصعد السلالم معهم بقوة الدفع .

ولم يكن وهو يصعد يعرف الغرض من صعودهم وفى الدور الثالث توقف على البسطة ..

وسأل شابا من الصاعدين ..

ـ الى أين نصعد ..؟

ـ فوق .. انجليز فى الدور الخامس ..

ـ لا يوجد انجليز فى هذه العمارة .. قالها بسرعة دون أدنى تفكير .

وكيف عرفت هذا ..؟

ـ أعرف عن يقين .. لا يوجد انجليز هنا ...

ـ بل يوجد فى الدور الخامس .. والناس كلهـا تقول ذلك .. ومن أنت أتسكن هنا ؟

ـ أبدا ...

ـ وكيف تنفي وجودهم اذن .. انك خائن .. جاسوس ...

ـ جاسوس .. جاسوس ...

وسمع الكلمة فارتعش قلبه .. وأحاطت به الجماهير .. وأحس بأنه يختنق ..

وأخذوا يضربونه .. فافلت منهم وجرى على وجهه الى تحت ..

وفى الشارع كان يعدو كالمخبول ويسمع الكلمة تلاحقه ..

ـ جاسوس .. جاسوس ..

فذعر وفر هاربا ..

***

ووجد نفسه بعد أن انخلع قلبه من الذعر والعدو.. يدخل أول بيتصادفه ويصعد السلالم سريعا .. ووقف أمام شقة فى الدور الرابع .. وضغط على الجرس بهلع .. فقد كان الأقدام تلاحقه على السلم .. وأطلت سيدة من وراء الباب ... وقبل أن تفتح فمها كان قد دخل والدم يسيل من وجهه وأغلقالباب ووقف وراءه .

فنظرت اليه السيدة فى استغراب ووجل ولكنحالة الذعر التى كان عليها وصياح الجماهير وراءه جعلهـا تدرك حاله .

وسمع الاصوات على السلم تصيح :

ـ أين ذهب ..؟

ـ هرب .. ودخل شقة فى هـذا الدور ..

ـ فى هذه الشقة ..

وأخذوا يقرعون كل الابواب .. ولما قرعوا باب الشقة التى دخل فيها أبيض وجه السيدة ولم تفتحوحبست أنفاسها وظلت فى مكانهـا جامدة .. وسقط ابراهيم فى هذه اللحظة مغميا عليه من الخوف .. لمـا تصور انهم شرعوا يحطمون الباب ..

وأخذت السيدة وخادمتها تحاولان اسعافه بكل الطرق .. وشعرت بهم وهم يهبطون الدرجات ويرحلون .

***

ولما أفاق ابراهيم وجد نفسه ممددا على كنبة ..والسيدة وخادمتها تسعفانه وتغسلان جراحه .. فتذكر ما حدث ونظر الى السيدة فى ذلة كان يخشى أن تطرده بعد أن استرد وعيه ..

وسمعها تقول للخادمة ..

ـ اعملى قهوة يا سنية للافندى .

ـ شكرا يا سيدتى لا داعى للتعب..

ـ القهوة تنفعك فى هذه الحالة .. اسرعى يا سنية ..

وعادت سنية تحمل صينية القهوة.

وأخذ ابراهيم يترشف فنجانه فى تؤدة وهـو يشكرها .. ولاحظ أن ملابسها خفيفة رغم برد الشتاء ..

وكانت جميلة ريانة العـود طويلة بيضاء البشرة ولا تزال رغم أنها تعدت الثلاثين سنة .. شابة فى نضارتها والدم الجارى فى شرايينها ... وخمن من السكون الذى طالعه من البيت انها تعيش مع خادمتها فقط .

وسألته وهي تنظر الى عينيه ..
ــ ما الذي فعلته ..؟
ــ لا شيء اطلاقا ..
ــ ولماذا يطاردونك اذن .. ؟
ــ اتهموني .. بأني جاسوس ..
وضحكت ...
ــ جاسوس يمكن أن يكون هذا صحيحا ..

ــ صعدوا الى عمارة في الشارع المجاور وهم على حالهم من الغضب ورأيت السكان يطلون من النوافذ في رعب قاتل . فأشفقت عليهم من هذا الاعصار الذي يدمر كل شيء في طريقه .. قلت لهم انه لا يوجد انجليز في العمارة فاتهموني بالجاسوسية .. وكادوا أن يقتلوني ..

ــ الجماهير الثائرة لا عقل لها ..

ــ وهل شاهدت النيران .. القاهرة تحترق ..

ــ ومن الذي اضرم هذه النيران ..؟

ــ المخربون والفوضويون .. وهم كالجرذان في هذه الساعة ..

ــ وغضب الجماهير يجعلهم يؤدون مهمتهم بنجاح ...

ــ أجل .. الغضب الاسود ..

***

وأخذت صاحبة البيت تتأمله في سكون .. ولما بصر بالعذوبة في عينيها والرقة في حديثها أخذ يتأملها بدوره فبدا له جليا من لون عينيها وبشرتها ولهجتها انها مصرية وغالبا تعمل في الليل وتستريح بالنهار وخمن انها راقصة في ملهى أو غانية من بنات الهوى .. ولهذا اختارت السكن في هذا الحي ..

أخذت تنظر اليه في حنان وعلى ثغرها ابتسامة جميلة .

وذاب تحت سحر نظراتها .

وفكر في هذه اللحظة في العقد .. وكان قد نسيه في غمرة الحوادث التي مرت به .. وتحسسه في جيبه فألفاه في مكانه .. وعجب أن أيدي الجماهير التي سحقته وضربته لم تمتد اليه .

وفكر في أن يقدمه في هذه الساعة الى هذه السيدة ..

ثم رأى أن يؤجل ذلك الى حين . .
وعجب لنفسه وهو يرغب في الموت في كل لحظة لماذا فر منه عندما وجد الموت محققا .. وعندما وجد الجماهير تود أن تفتك به .. أخشى من التعذيب أم لأن النفس عزيزة ولا تهون الا في حالة التفسخ والجنون ؟ .

***

وأخذ يتأمل حاله وكان كلما هم بالانصراف أبقته السيدة بكلمات طيبة شجعته على البقاء ..

وكانت الساعة قد قربت من الثانية بعد الظهر . وشعر بالخادمة وهي تمد سفرة الغداء .

ودعته الى الطعام فلم يرفض لانه كان يشعر بجوع شديد ..

وجلس يأكل بشهية.. وهي تلاحظه وتقدم له الطعام بحنان .

ولما فرغ قال لها :

ــ انها أشهى أكلة أكلها في حياته..

فسرت احسان من هذا الاطراء الذي هز أعماق انوثتها ..

***

وكانت الخادمة سنية كما أمرتها سيدتها قد أغلقت جميع الابواب والنوافذ

ولما كانت الشقة داخلية ولا تطل على الشارع فقد بدت الردهة معتمة ..

وكلما هم بالخروج أبقته السيدة احسان وقالت له انها تخاف الآن ولم تشعر بمثل هذا الخوف فى حياتها .. بعد أن رأت النيران مشتعلة فى الحى.. والجماهير الغاضبة .. وترجوه أن يبقى معها هذه الليلة ما دام يعيش وحده فى القاهرة ولا أحد سينزعج بسبب غيابه عن البيت ...

ورأى من توسلاتها ونظرات عينيها أن يبقى ..

وجلس يتحدث مع احسان حتى دخل الليل واخبرته انها تشتغل راقصة فى ملهى بشارع عماد الدين وانها تعيش وحدها مع الخادمة .. وتذهب الى المرقص فى الساعة التاسعة ليلا .. ولكنها هذه الليلة لن تذهب بالطبع .. وربما كان الملهى نفسه يحترق فى هذه الساعة فقد سمعت أن الحريق امتد الى بناية مجاورة له ..

ورآها جميلة وطيبة وعذبة الحديث وفيها رقة وصفاء فحزن لانها تحترف هذه المهنة وتعرض جسمها عاريا كل ليلة للانظار المتوحشة ..

وسألها :

ــ هل تربحين كثيرا من هذه الحرفة؟

ــ أبدا .. واخترتها بعد عذاب .. وجوع ..

ونظرت الى السقف كأنها تحلم أو تسترجع شريط حياتها .

وقالت بصوت ناعم الجرس :

ــ كنت متزوجة من شاب وسيم وغنى وكنت صغيرة .. وأطوع له من بنانه .. ولكنه خانني أبشع خيانة..

ــ كيف ؟

ــ كنت مريضة بالتيفود .. وطريحة الفراش .. وذات ليلة وجدته يحتضن الخادمة ...

ــ وتركتيه بعدها .. ؟

ــ أجل طلبت الطلاق .. وكنت وحيدة وفقيرة وأريد أن اشتغل فى أى عمل أعيش منه .. حتى غسالة فى البيوت .. لأصون نفسى من الدنس .. وأظل عفيفة.. ولكن أى رجل لا يتقاضى ثمن خدماته للمرأة المسكينة ؟! ودفعت الثمن لأول رجل شغلنى فى مصنع للتريكو .. وبعدها هانت على نفسى واحترفت الرقص .. وأنا أعيش مستقلة ..

ــ ومسرورة بعملك .. وشاعرة بالراحة ..؟

ــ لقد تبلد احساسى فى الواقع لم يعد له احساس الانثى وأنا أمثل فى كل ليلة تكلف الابتسام والضحك لأرضى الزبون ...

وأمنيتى أن أقع على من يخفق له قلبى .. ويسمعنى كلمة حلوة مجردة من كل غرض ..

ــ أو لم تسمعى هذه الكلمة بعد ؟ .

ــ أبدا .. ما سمعتها قط ..

ــ ان هذا محزن فى الواقع ..

ورفعت رأسها الى عينيه وسألته :

ــ لماذا يبدو وجهك شاحبا .. هل لازلت خائفا .. ؟

ــ ذهب عنى الخوف .. ولكن هذا من أثر الجوع ...

ــ وهل أنت فقير الى هذا الحد .. ولماذا لا تعمل ؟

ـ فقير جدا ٠٠ ومنذ سنتين وأنا ابحث عن عمل ٠٠ دون نتيجة ٠٠

ـ تعال ٠٠ عندى فى الملهى واشغلك ٠٠

ـ فى أى وظيفة ٠٠؟

ـ سأجعلك تراقب الزبائن فى الصالة ٠٠!

ـ لست من ذوى العضلات الحديدية حتى أصلح لهذا ٠٠٠

ـ أى عمل ٠٠ أى عمل تحبه ٠٠

ـ يا ستى شكرا جزيلا ٠٠

وحدقت فى وجهه طويلا ٠٠ وقالت:

ـ لا أدرى أين رأيتك من قبل ٠٠؟

ـ وأنا كذلك اسائل نفسى نفس السؤال ٠٠٠

ـ ولهذا لم يكن وجهك غريبا على وأنا أفتح لك الباب ٠٠

ـ لقد نجيتنى من الموت ٠٠ ولا أدرى كيف أشكرك ٠٠

وتحسس العقد فى جيبه ٠٠ ثم أخرجه وقدمه لها ٠٠

وبرقت عيناها وحدقت فى عجب ٠٠

ـ ما هذا ؟

ـ عقد وجدته ملقى فى الطريق ٠٠ سقط من الذين نهبوا المتاجر ٠٠

ولم يشأ أن يقول لها انه سرقه ٠٠ وسألته :

ـ أنهبوا المتاجر ٠٠ ؟

ـ معظم الحوانيت فى هذه المنطقة ٠٠ نهبت وحرقت ٠٠

ـ يا ليتنى كنت هناك كنت ملأت بيتى بكل مايعوزنى من تحف وجواهر٠

وضحكت ٠٠

فقال :

ـ أنزل ٠٠ وأملأ لك جيوبى ٠٠٠

ـ أتسرق ٠٠؟

ـ لقد سرقت ٠ ٠

ـ سرقت ٠٠؟!

ـ نعم وهذا العقد سرقته ٠٠ لمأجده فى الشارع كما قلت لك من قبل ٠٠ واحمر وجهه ٠٠

ولاحظ أن لون وجهها شحب ونظرت اليه باشفاق ٠٠

ـ ولماذا فعلت هذا وانت شاب وأمامك الحياة الشريفة ٠٠ تشق طريقها باظافرك ٠٠٠ ؟!

ـ لقد فعلت ما فعل الناس ٠٠ وجدتهم يسرقون ويغشون ويكذبون ٠٠ ففعلت مثلهم ٠٠٠

ـ وهل الناس جميعا هكذا كما تصورت ٠٠ انت ناقم على المجتمع لانك عاطل ٠٠ ولماذا تبحث عن وظيفة فى الحكومة ٠٠ ابحث عن عمل آخر وهناك عمل لكل من يكافح ٠٠

ـ ما الذى افعله وأنا فقير ٠٠ والاجانب يسيطرون على كل الاعمال الحرة ويمسكون الخيوط فى أيديهم ٠٠ ولا أحد يستطيع أن يتسلل من هذا الحصار ٠٠

ـ هذا حق ٠٠ ولكن على المرء أن يسعى ٠٠

ـ لقد سعيت كثيرا وتعبت ٠٠

ـ داوم الطرق ٠٠٠

ـ الآن وقد بعثت فى روحى الامل سأداوم ٠٠

ـ ضع العقد فى جيبك ٠ ٠

ـ كيف ٠٠ اننى اقدمه لك ٠٠

ـ ضعه فى جيبك لا أحب أن تراه ستية ٠٠٠

ـ ولماذا تردينه ٠٠؟

ـ لتقدمه للبوليس٠٠ قل انكوجدته ملقى فى الطريق ٠٠

ـ سيقبضون على ٠٠ هل أنا مجنون حتى أفعل هذا ٠٠ سيقبضون على وأدخل السجن بسبب حماقتى ٠٠

والآن أنت مستريح ٠٠؟

ـ كل الراحة ٠٠

ـ اذن خذه ٠٠٠

ونهضت ووضعت العقد فى جيبه ٠٠ كما كان ٠٠ وأحس بجسمها وهى تفعل هذا يلامس جسمه ويضغط عليه ٠٠ فأحس بلسع النار ٠٠ وظهر الاضطراب على وجهه ٠٠٠ ولكنه بعد قليل سيطر على عواطفه ٠٠

***

وانسابت بخفة الى المطبخ وهى تقول :

ـ سأعد العشاء بنفسى ٠٠

وجلسا يتعشيان فى غرفة الطعام وكان الليل قد قارب من منتصفه والنيران مشتعلة فى الشوارع المجاورة ٠٠ والدخان يملأ جو السماء ٠٠ وكانت الخادمة قد تكورت فى فراشها منذ ساعات ٠٠ وبقيا ساهرين وحيدين وأحسا بالهدوء والألفة وكان قد عشقها من أول نظرة ٠٠ وبادلته نفس الاحساس ولكن بتحفظ المرأة المجربة ٠

وكان من عادتها أن تشرب قليلا من الكونياك مع العشاء ٠٠ فجعلته يشرب معها ٠٠ وشرب وأحس بالنشوة والشجاعة على محادثتها بكل ما يشعر به ٠٠ أفضى لها بكل أحاسيس نفسه ٠

ولما حان وقت النوم فرشت له فى غرفة الجلوس ٠٠

وقالت له :

ـ تصبح على خير ٠٠

واستدارت لتخرج من الغرفة فوجد نفسه تحت تأثير الخمر يطوقها بذراعيه ويطبع على خدها قبلة ٠٠

فافلتت منه سريعا ٠٠ وقالت بصوت فيه رنة الغضب ٠٠

ـ لماذا تفعل هذا ٠٠ أتحسبنى رخيصة وسهلة المنال الى هذا الحد ٠٠؟

ـ ما فكرت فى هذا ٠٠ اننى ٠٠

ـ هل ظننت وانت فى جيبك الثمن ٠٠ انه من السهل أن تلقينى على الفراش ٠٠

ـ يا سيدتى أعتذر ٠٠ وساخرج الساعة ٠٠

ـ تفضل ٠٠

وأخذ يرتدى سترته وكان قدخلعها لينام ٠

ومشى الى الباب وقبل أن يفتحه أشفقت عليه من الليل والظلام وما يحدث فى الخارج ٠٠ وأمسكت بيده ٠٠ وجذبته الى غرفتها ٠٠ وأغلقت عليهما الباب ٠٠

***

وفى الصباح استيقظ لما شعشع النور ٠٠ وهو يحس بسعادةدافقة أحس بأنه قضى معها ليلة العمر ٠٠

ولبس ملابسه سريعا ٠٠ وكانت احسان لا تزال نائمة ٠٠ وتعمد الا يحدث أقل حركة توقظها ٠٠

وترك لها العقد بجوار الفراش على منضدة الزينة وتسلل بهدوء ٠٠ وفتح الباب ٠٠ وخرج الى الطريق ولم يكن يعرف أن التجول ممنوع فى هذه الساعة ٠

***

وقبل أن يخرج من الشارع ٠٠ حسبه جندى الحراسة ٠٠ لصا من الذين تسللوا الى المتاجر التى تحطمت ٠٠ أبوابها ٠٠ فاطلق عليه النار ٠٠٠

وسقط فى مكانه ٠٠٠

حديث الشهر

مع مؤلف سلوى فى مهب الريح
محمود تيمور

يقدمه

محمد عبد الحليم عبد الله

لم يكن محمود تيمور موافقا على أن أقدم له هذا الحديث لأنه رئيس تحرير مجلة القصة • لكننى ذكرته بأنه سيكون غائبا عن مصر ••• رد الله غربته ••• سيكون فى أحد مستشفيات « برشلونة » فى اسبانيا لعلاج عينيه عندما ينشر هذا الحديث ، وعند ذلك وافقنى على ما اقترحته عليه •

كانت اجراءات سفره قد تمت مساء ذلك اليوم •• حين جلست أنتظر قدومه فى أحد صالونات نادى القصة • وجاء فى بذلته السوداء ذات الصدارى التقليدى • وسمعت وقع اقدامه فقمت لاستقباله ••

لم يكن يبدو عليه قلق المسافرين حينما جلسنا لنتحدث • ولم يبد أنه خائف من شىء • وأخذت أعلل هذه الظاهرة بينى وبين نفسى متسائلا : هل سبب هذه الطمأنينة كثرة أسفاره حتى أصبحت المصاعب وفرقة الأهل والوطن « عادة » تكتم أنفاس الحنين ؟! لكن محمود تيمور لم يدعنى أستغرق فى تفكيرى كأنه أحس بما فى ضميرى ••• فأخذ يحدثنى عن رعاية الدولة للكتاب وأنه تحت ظل هذه الرعاية قد يسر له كل شىء ••• وسيعود أكثر قدرة على القراءة ••• فكأنما رعاية وطنه له قد جعلت كل غربة وطنا كريما •

وكانت رائحة القهوة تفوح فى الصالون وتيمور على كرسى عال على مقربة من النافذة ••• تلك التى أرى منها حدائق « جاردن سيتى » تظهر بوضوح وتغيب فى غموض كلما أضاء وانطفأ اعلان بأنوار (النيون) فوق احدى العمارات العالية •

كنت أتامل وداعة هـذا الرجل ••• التى لم تتخل عنه قط • يخيل الى أنه عندما يغضب يكون غضبه وديعا ايضا ••• فطرة صافية تؤمن بالرحمة والحب والسلام • يحدثك دون أن يحملق فيك • واذا أحرجته تبسم •

انيق دائما فكأنما مظهره الخارجى صورة لنفسه الأنيقة •

ما رايت شيئا فى هندامه مهملا قط ••• ترى ماذا كان فى شبابه •

لم تجعله سن السبعين ••• (وارجو الا اكون مخطئا) ••• قليل الصبر ولا سريع الملل •

رأيت ذلك بنفسي في رحلة قطعتها معه بالسيارة الى مدينة المنصورة لحضور مهرجان أدبي .

وكان تيمور يحمل معه (أناقته) في حقائب كبيرة ... وربما خرج بعضنا مهمل الهندام أو غير حليق الذقن ... لكنه خرج من حجرته في الصباح بنفس الهندام والأناقة .

يحسن الاستماع والمجاملة . ويعز عليه أن يجرح حتى الذين يجرحونه .

اذا وثق أو أحب أو عطف زالت السدود بينه وبين من وثق فيه أو أحبه أو عطف عليه .

وكان بدء الحديث الأدبي بيني وبينه أن قلت له :

ـ انني أشم منك دائما رائحة تولستوي ..

عند ذلك فتح عينيه ونظر الى وقال مبتسما وقد اصطبغ وجهه بالحمرة :

ـ تولستوي ؟! ... آ ... لماذا ؟ ... على كل حال أظن أن في هذا شرفا .

قلت لمحمود تيمور :

ـ ان أهل الفكر أسرة واحدة يشرف بعضهم بالانتساب لبعض .. كلهم ينتمون لأب واحد .. هو الأدب ... هو البحث ـ بالنيابة عن الناس ـ عن مستقبل أكثر اشراقا ، وخصال أكثر ملاءمة لأن نعيش متجاورين في سلام .

عندئذ حمل تيمور ذقنه على باطن راحته وأطرق فرأيت الوداعة الانسانية التي خلعت عليها السنون لونا من الوقار ... فتصور معي مزيجا من الوقار والوداعة .

ثم قال لي وهو شبه شارد :

ـ تولستوي !! .. انني أحب هذا الرجل !

فأجبت :

ـ وأنا أنافسك في حبه . وعلى كل فهذا جميل ... مادمت أرى فيك روائح منه . فكأنني أحببتك مرتين مرة في صورتك الأصلية ومرة في صورة الانسان الذي تشبهه .

ـ وما أحببت في تولستوي ؟!

ـ أحببت الرجل الذي نادى بأن يأخذ كل انسان من الأرض ما يكفيه ... نعم يا سيدي وأنت تعرف هذه القصة . ذا الملامح القوية والقلب الرقيق . « الكونت » الذي خاصم القيصر من أجل الشعب والقيصر ابن عمه ، وكان ذا بطش وسلطان عظيمين .

لقد ولدت فى أسرة غنية ولكنك عشت مع الناس • أحببت البسطاء والفقراء والطيبين وكذلك فعل تولستوى •

وقد جعلنى هذا أبدأ بسؤالك عن قصة « سلوى فى مهب الريح » •

ــ مالها ؟

ــ عن الملابسات والحوادث التى كانت سببا فى ميلاد هذه القصة •

تأكدت أن محمود تيمور يتذكر أشياء بعيدة عن « سلوى » ••• نفس الأشياء الذى ذكرها طه حسين عن هذه القصة يوم حملها اليه البريد فى صيف ما وهو فى فرنسا • قال ذلك طه حسين فى خطاب القاه فى مجمع اللغة العربية فى سنة ١٩٥٠ حين رحب به عضوا جديدا• قال طه حسين عن قصة « سلوى » انها جعلته ينصرف تماما عما كان حريصا على قراءته من الأدب الفرنسى ليقرأها وقد قضى وقتا سعيدا فى قراءة الأدب العربى وهو فى فرنسا •

نعم • كان تيمور يتذكر • كانت وداعة وجهه تزداد اشراقا كلما أوغل فى الذكرى • ثم ما لبث أن قال :

ــ لعل أحداث القسم الأول منها وقع فى رمل الاسكندرية أيام كنت أتردد على كازينو سان استيفانو فى صيف ١٩٣٠ ••• أيام شبابى •

وابتسم فى استحياء كمن يكتم شيئا فابتسمت مشجعا للذكرى أن تنساب نحو الأديب الكبير • قائلا له :

أعتقد أننا لسنا بصدد رصد حوادث شخصية دقيقة يا سيدى ولكن ••• الذى لا شك فيه أن هناك جزءا من حياة الكاتب يخص كل الناس •

فسارع مؤمنا :

ــ نعم نعم • اننى لا أدارى شيئا • والذى أريد أن أقوله فى صدق ووضوح ويقين هو أن « سلوى » هــذه شخصية من الشخصيات التى قابلتهـا فى كازينو سان استيفانو فى ذلك الصيف •

وكنت أيامها ألتقى بعديد من الشخصيات منها من هو شعبى ومنها من هو غير شعبى ••• من تلك الطبقة المستعلية التى لم تعد موجودة والحمد لله فى مجتمعنا • لكننى احببت سلوى هذه ••

وعاد يبتسم وهو يشير بسبابته : أحببت سلوى بمعنى أنها ملكت على تفكيرى ••• اهتممت بأمرها •• ليس حبا بالمعنى المشهور ولكنه اهتمام بالشخصية والمصير • ولعلك تذكر أن سلوى هــذه فى القصة فتاة من الشعب انحرفت أمهـا فاحتضنها جــدها ••

قلت لتيمور :

ـ هل تسمح لي أن أقاطعك لبرهة قصيرة • ها أنت ذا تصور فتاة من الشعب احتضنها جدها واسمها سلوى وكانت أمها منحرفة • فنحن الآن أمام فتاة من الشعب والانحراف ثم احتضان ورعاية من مؤلف ولد في بيت غني وجاه •

وهذا هو الذي جعلني أشم رائحة تولستوى في نادى القصة هذا المساء حتى أكاد أرى صورته على أحد الجدران وتولستوى يا سيدى صور في احدى قصصه « الانحراف وفتاة من الشعب والاحتضان والرعاية وهو من هو ، أما الفتاة التي من الشعب فاسمها « ماسلوفا » يتيمة ولدت وتربت في بيت عمتي بطل القصة •• قصة « البعث » • وهناك في القصر الريفي وقع اعتداء على « ماسلوفا » من نكليودوف الشاب الذي كان عند عماته • ولكن نكليودوف وجد نفسه ذات يوم يدافع عن هذه الفتاة ليخرجها من السجن لأنه كان أحد المحلفين في قضية اتهمت « ماسلوفا » فيها بقتل تاجر من سيبيريا وحكم عليها خطأ بالأشغال الشاقة •

ان قلب الفنان لا يعرف الاستعلاء • قلب الفنان مهاد للبشرية • عش مفروش بالزغب • حتى ولو ولد الفنان ولا يملك أحد التحكم في مولده ـ بين طبقة غنية أو مستعلية فماذا فعلت يا سيدى في قصة سلوى دفاعا عنها ؟

قال تيمور :

ـ سلوى التي كانت تابعة لبنت زهيرى باشا والتي كانت تأكل فضلات طعامها وتلبس خليع ملابسها كان لابد لها في هذا الوضع أن تحس بأن انسانيتها ليست في وضعها الطبيعي • فالعدالة الاجتماعية شيء والصدقات شيء آخر وكلاهما له ظل نفسي وأثر اجتماعي مخالف • فلسنا نعجب اذا رأينا سلوى تحقد على بنت الباشا فكان اختطاف سلوى لزوج بنت الباشا نوعا من الاحتجاج على الوضع الاجتماعي الخالي من التكافؤ •

وان كانت الحوادث الدموية في قصة البعث لتولستوى تناسب ـ بلا شك ـ خياله وذكريات شبابه فان حوادث « سلوى في مهب الريح تناسب بالضرورة خيالي وذكريات شبابي •

ـ اقنعت ؟

ـ عظيم !!

ففركت كفا بكف شأن من يتردد في سؤال • انتبه الى محمود تيمور وفحصني بعينيه الهادئتين وقال :

ـ أرى على وجهك شيئا تريد أن تخفيه •

قلت :

ـ انا لا اعرف الكثير عن ذكريات طفولتك • كل علمي أنك ابن العالم الكبير أحمد تيمور ••• فكيف كنت في ظل هذه الدوحة •

وبدا تيمور وكأنه عاد طفلا في رعاية أبيه • على وجهه أمارات براءة لا تخلو من مرارة ••• ربما كانت عميقة•

عندئذ عرفت سر القلب الذى تحدث عن حب الأبناء والأشياء وربما النساء

بتردد وحيرة • سر الذى تحدث عن الشفة الغليظة والبنات اللاهيات اللاعبات ببراءة المقدمات طعامهن للعصافير ••

عرفت ان تيمور افتقد أول امرأة فى الحياة يدور حولها القلب وتترعرع فى محرابها العواطف ، بيضاء قدسية كريمة ••• ثم ••• تتحول ••• الى حب آخر مع امرأة أخرى •• غيرها •• غير الأم • الأم •

فقد فقد تيمور أمه وهو ابن خمس سنوات • ما أفظع هذا !! وترمل أبوه وهو فى سن الثلاثين فتزوج « المكتبة » •

وحين يتزوج الرجل المرأة الثانية فانه على كل حال سيخاف منها على أولاده ولو بين حين وحين • سيفيق ليذكرهم • أما حين يتزوج الأرمل « مكتبة » فعليه العوض •
كان محمود تيمور فى حضانة المربيات • كان ـ ولا شك يتسلل الى والده وهو فى جناح المكتبة فى عين شمس أو عزبة قويسنا فيقف على مقربة منه خجلا لائذا بباب أو جدار ويحس به الأب لوهلة فيبتسم له وعندئذ لكى يخلو لنفسه يقدم له قبلة وقطعة من الشيكولاته يأخذها محمود ويخرج وقد ترك خلفه كل ما يريد • انه ما كان يريد الا والده • لكن والده مشغول ••• ولذلك فتش الابن عن شىء يشغله ومنذ شب صادق شقيقه محمد تيمور وجعله مرشدا له ، وسارا معا فى طريق الادب وكان محمد بالنسبة لمحمود الأخ الاكبر والصديق المجرب •

لكن ••• أظن أنها حياة لا تخلو من الحرمان • انها المائدة العظيمة ••• الحافلة بكل الوان الطعام لكنها مع الأسف خالية من « ملح الطعام » •

ولذلك فانني أعلل الحزن المقنع الذى يشبه التفكير فى حياة محمود تيمور بسر النشأة الأولى • لم يكن فى حياته أم وتزوج أبوه بزوجة أب لا تقهرها نساء العالم ••• بالمكتبة ••

لم نكن نشعر بالوقت ونحن جالسان • أنا ومحمود تيمور ، شعرت أننا من مواليد عام واحد • نحمل ذكريات طفولة متشابهة ••• اندماج النفوس حين تصفو • عند ذلك سألته :

لقد عرضنا لتولستوى البطل الاشتراكى الذى اعتبره غاندى نبيه • فهل من الممكن أن تحدثنا بمناسبة تولستوى والاشتراكية واعياد ثورتنا العربية عن معنى أدب الثورة ؟

كانت أنوار « النيون » فى هذه الوهلة تلقى وهجها على حدائق « جاردن سيتى » وكان محمود تيمور ينظر نحو لوحة زيتية على الحائط وكنت متأهبا لأن أكتب مايقول، فأجاب ببساطة تنفذ الى قلب سامعه :

ـ اسمع يا عبد الحليم ••• لقد رأيت ناسا يعيشون من ربع الألف فدان ورأيت آخرين معهم يعيشون من ربع (الصفر) ••• هذا شىء غير معقول • والقوانين الاشتراكية جعلتنا نعيش فى مجتمع العدل والكفاية

... نعم ... هذا جميل ... وكل كاتب يريد أن يعبر عن هذا المجتمع الجديد المطرد الازدهار لابد أن يذكر أنه كاتب • وهناك فرق بين القوانين والقصة بل هناك فرق بين القانون نفسه وروح القانون • فروح القانون يعرفها القاضي الذكي وحده وروح الحياة الاشتراكية في الفن والأدب يعبر عنها الكاتب المبدع بطريقة تشبه تطبيق القاضي البارع لروح القانون •

حتما سيعبر الكتاب عن مجتمعنا الجديد لأن القضية بسيطة أشبه بمعادلة رياضية ذات نتيجة حتمية • كاتب • ومجتمع • وتعبير •

ومن هؤلاء الثلاثة يخرج العمل الأدبي مطابقا للمجتمع حاملا سمات الكاتب • ولا يمكن أن يتخلف العمل الأدبي الا اذا انعدم الكاتب ... وبما أن الكاتب موجود والمجتمع موجود فلابد من حدوث التعبير ... معادلة رياضية •

غير أن الناس يختلفون دائما حول درجة التعبير الأدبي ومدى مطابقته لظروف المجتمع • ومن حقهم أن يختلفوا لأن العمل الأدبي والفني ليس فيه « كلمة واحدة » الكلمة الواحدة في العلم فقط •

قلت لتيمور :

ـ هذا معقول • وأحب أن أضيف اليه أن الناس يودون أن يكون الأدب في قوة قائد الثورة • وأنا من صميم قلبي أود ذلك • لكن قائد الثورة يعطي الأدب مادة خاما ينسج منها روائعه على مدى طويل وحين يكون الأدب في سرعة الثورة بحيث تسير الأحداث الثورية والأعمال الأدبية المصورة لها على خطين متوازين ـ حين يكون الأمر كذلك فان الأديب يصبح في درجة كاتب التاريخ على الأكثر • والأديب يقدم وثيقة والمؤرخ يقدم وثيقة غير أن هذه تخالف تلك • وثيقة الأديب مخلوقة وأصولها في أرض المجتمع ووثيقة المؤرخ منقولة وأصولها في أرض المجتمع •

ثم قلت لتيمور :

ـ أنت رائد من رواد القصة العربية ، كتبتها أيام كانت كتابة القصة عملا في الدرجة الثانية بعد الشعر والمقالة • فهل من ذكريات عن هذه الفترة التاريخية ؟!

ـ حركة ريادة القصة على الأصول الفنية الجديدة بدأت عندنا حوالي سنة ١٩٢٠ على يد رواد منهم محمد تيمور وطاهر لاشين • وكان أبي يلتقي برواد القصة في المكتبة السلفية عند محب الدين الخطيب ..

ثم أطرق تيمور قليلا ورفع رأسه وقهقه بالضحك فجاة • عجبت فقال دون أن أسأله :

ـ تسألني لماذا أضحك • أضحك لأنك قد لا تصدق أن والدي لم يدخل نادي محمد علي في حياته •

قلت :

ـ لأنه كان مشغولا بأشياء جدية •

فقال تيمور :

ـ كان يفضل الجلوس مع الشيخ الطويل والشيخ الزرقانى على صالونات نادى محمد على · وتوسع فى شراء الكتب وكان يجلس الى كل كتاب ومعه قلمه ليترك آثارا على هوامشه · فضلا على ثلاثة أولاد هم : اسماعيل ومحمد ومحمود ·

وكان مع محمد تيمور وطاهر لاشين حسين فوزى وابراهيم المصرى وخيرى سعيد ·

كنا مشغولين بالقصة وكانت معدودة من سقط المتاع ··· شيئا هينا لا قيمة له ، وأذكر أننى جلست مع أحد الأساتذة ودار بيننا حديث جرنا الى مجهوداتى الأدبية فقلت له ببساطة : اننى على وشك أن أخرج مجموعة قصصية جديدة ، فرد على ملاطفا خائفا أن يجرح شعورى قائلا : أعتقد أنه من الخير لك فى المستقبل أن تؤلف بحثا أو رسالة ·

قلت لمحمود تيمور :

ـ أظن أن كل فن حديث دخل الينا عانى غربة وعانى رواده نفس الغربة · وهذا شىء طبيعى ، فقد كانت النظرة الى المثل والممثلة والمغنى والمغنية فى أوائل هذا القرن شيئا مخالفا لما هى عليه الآن · وكذلك الصحافة حتى بالنسبة للرجال ·

ان الأنواع الأدبية تدافع عن نفسها فى وطنهـا أمام كل نوع وافد وذلك لاعتبارات منها الوطنية ومنها المصلحة الشخصية · ثم ··· ان هناك أنواعا أدبية تكون أكثر مناسبة لروح العصر وربما لطبيعة الفترة التى تحياها أمة من الأمم · فالشعر فى بعض البيئات قد يكون أروج من القصة ·

ولعلنا نذكر تدهور الشعر العربى فى صدر الاسـلام حين انشغل المسلمون بالكتاب العظيم ··· بالقرآن ··· عن كل ماعداه ··· وفى فترة الازدهار العباسى وتمام التزاوج بين الحضارتين العربية والفارسية بلغ الشعر أعلى قمة ، فلا غرابة اذن أن يقف الشعر والنثر فى خط دفاع مشترك للمحافظة على مجدهما أمام تسلل هذا النوع الأدبى الجديد ·

ومن الغريب يا سيدى أن الشعر العربى فى العشرين الأولى من هذا القرن أباح لنفسه ما لم يبحه للقصة · فلم يكن غريبا أن يتغزل الشاعر ويقول مايشاء ولكن كاتب القصة ـ فى هذه الفترة ـ كان يحرم عليه مايباح للشاعر ·

ضحك محمود تيمور فاستطردت :

ولعل ذلك من باب التعصب لأشيائنا ··· فالشعر من أدبنا منذ التاريخ الأول فلا عيب عليه اذا ملك حريته وأكثر ··· أما القصة ··· فهى « بنت الجيران » ·

قال محمود تيمور مبتسما :

ـ من طريف مايذكر أنه كان هناك مجلة اسمها « الضياء » لصاحبها المرحوم اليازجى · وكنت أنا صغير أقرأ هذه المجلة وكانت تنشر فى آخر صفحة بابا تحت عنوان « فكاهات » فماذا تظن هذه الفكاهات ؟

قلت : نكت أو طرف أدبية ·

فقال تيمور :

ـ لا . بل كانت قصصا : تصور ... وفى هذه الفكاهات قرأت شرلوك هولمز مترجما .

لكن الذى يذكر بفخر وعرفان هو ماعمله المرحوم حافظ عوض فى جريدة (المؤيد) فقد كان يشجع القصة . ولما لم يجد قصصا عربية فانه كان ينشر قصصا مترجمة من النوع الذى كان القراء يعشقونه فى ذلك الوقت مثل قصص المغامرات والحب .

لكن جيل الرواد كان مؤمنا بفكرته . كانت معداتنا ضعيفة الا بعض أعمال محمد تيمور . كانت سفننا صغيرة والطريق جديدة ولا أحد يشجعنا . وهذا هو الجو الذى غرسنا فيه حديقة القصة العربية ... تصور !!

وظللنا صمت . كنت أتذكر فيه ـ ولعله كان يفعل مثلى ـ كتاب القصة العرب الذين يعتز بهم الفن القصصى اليوم . وجعلنى أسأل نفسى هل ينفصل فضل الرواد حتى ولو كان عملا متواضعا جدا عن الأعمال الكبيرة التى يرتها من بعدهم . فوصلت الى أن عمل الرائد هو النواة الحقيقية للخلية الحية وأننا ان سكنا القمر يوما من الأيام فيجب أن تذكر الأعمال التى لم تنجح والتى نجحت فى المحاولات الأولى لارتياد الفضاء .

كان فى رأسى أسئلة كثيرة . كنت أشعر نحو تيمور بالتلمذة والصداقة والزمالة والأخوة . مع أنه أكبر منى فنا وسنا . وقرأته بشوق وحب وأنا طالب صغير وموظف شاب .

وكنت فى هذه الأيام أعتقد أن تيمور يقفل دونه سبعة أبواب وأن لقاءه عسر حتى رأيته لأول مرة يمشى الهوينى فى حديقة المجمع اللغوى القديم قبل أن يكون عضوا فيه ووقفت من بعيد أتأمله ... رأيته طيبا ... رأيته رقيقا ... لكننى لم أجرؤ على أن أسلم عليه . خفت يومئذ من شىء واحد هو : أن يسألنى عن اسمى !! فماذا أقول له ؟! ماذا يقول النكرة للمشهور ؟! فقنعت بالنظر اليه .

ورفعت نظرى اليه . كان لا يزال على كرسيه المرتفع فى نادى القصة والنافذة الى يمينى . والليل فى الخارج . وادع ساكن ... وسماء شهر يونية تلمع بالنجوم، وحدائق « جاردن سيتى » تظهر فى وضوح وتغيب فى غموض كلما أضاء ثم انطفأ اعلان « النيون » الملون فوق احدى العمارات .

قلت لمحمود تيمور أخيرا :

ـ لابد أنك ستزور الأندلس .

فاجاب :

ـ تلك فرصة . فرصة عظيمة لى . بعد أن أنتهى من العملية بسلام سأرحل الى الجنوب وسأرى الأندلس والحضارة العربية ... ومواقع أقدام طارق بن زياد التى لم يمحها الزمن .

فقلت لمحمود تيمور :

ـ ونحن ... نحن سنرحل معك بقلوبنا ، انك ستكون فى وطنك هناك لأن وطنك ـ الذى يكرم الكتاب ـ قد كرمك . وسنكون معك ... لأننا لن ننساك ... وبالتالى لا تستطيع أن تتسانى ... حتى تعود !!

يقظة

قصة

بقلم ضياء الشرقاوى

فى أطراف السماء البعيدة سحب قاتمة ثقيلة تتراكض ناشرة أجنحتها الرطبة • تتفرق فتبدو مثل قطط سود تحدق بفريسة ، وتتلاحم فتبدو كحائط سميك تختفى خلفه الشمس التى تصعد السماء بأقدام من الارهاق والاعياء • وكان هو واقفا، وقد أوسع مابين ساقيه، كأنه يثبت نفسه تثبيتا قويا فوق أرضه ، أرضه هو ، كان خصوما أقوياء يصارعونه ، ويريدون القاءه القاء بعيدا عنها • يريدون اقتلاعه اقتلاعا • وقد لصقت قدماه العريضتان الخشنتان بالارض وغاصتا قليلا فى الطين الرطب. وبرزت عروق كثيرة منتفخة غليظة حول ساقيه وساعديه مثل الاسلاك التى لفها هو حول خيزرانه لتزيدها تماسكا وصلابة وقوة • وتحسس صديريه الجديد بكفه ، ورمقه بلذة وسعادة • وأحس كان هذه الثياب الجديدة التى اشتراها منذ فترة قصيرة تذود عنه برد الدنيا كلها وقسوة الشتاء ، بل ، تعلن للناس فى كبرياء واعتزاز انه صار من الناس ، يراوده هذا الاحساس بغموض . كيف تعلن هذه الثياب انه صار من الناس ؟! . ألم يكن منهم قبل ذلك ؟ . وتبلل ابتسامة رطبة عميقة شفتيه الجافتين كلما شبعت هذه الخواطر كيانه • وسمرته تلتصق التصاقا عذبا بسمرة أرضه • كأنه جزء منها ، ابن لها • كأنه نبت منها • خرج من أحشائها • ولم يكن ذلك الاحساس غريبا عليه هو الذى ضمته سواعد هذه الارض منذ صغره مثل أم حنون طيبة ، أم كبيرة • وأخذ فأسه يرتفع وينخفض بقوة ، قوة حنون • كأن كنوزا هائلة فى جوف أرضه يريد استخراجها ، كنوزا مخيفة • كانت ضرباته مملوءة بالثقة ، بالاخلاص المتزايد ، بالتفانى • ان أرضه لن تعيش الا بهذه الضربات القوية • وقلبه يخفق كأنه يمنحه مزيدا من القوة والاخلاص والحياة • ويحس بخفقات قلبه تتسرب الى كل جسمه فتسرى الى فأسه وتتدفق الى أرضه لتغمرها بالحياة ، بمزيد من الحياة • وحينما همس لنفسه أنه لم يكن مخلصا لهذه الارض قبل أن يملكها ، حينما كانت فى حوزة الباشا ، غمره الخجل والاسى • وهب فى صمت يدافع عن ولائه لها • وانه كان دائما أبدا وفيا مخلصا منذ ضمته الى صدرها الدافىء أبدا • انه يحس بل يؤمن بأن صدرها دافىء دائما ولو أغرقتها مياه الترعة فى عز الشتاء • وابتسم مرة أخرى لهذه الاشياء الجديدة الكثيرة الحلوة ،

والغامضة فى بعض الاحيان ، التى يفكر فيها ، والتى تشرق فى راسه دائما رشيقة نابضة حية مثل صغار السمك الذى يعوم على سطح الترعة ، ويجرى هنا وهناك بمرح دون خوف من صائد فيلوذ بالاعماق المظلمة أو الاركان الضائعة ، أو أسفل صخرة تبدو مثل شبح مقيت · صغار السمك الذى يبدو كأنه مربوط الى أشعة الشمس ، الى خيوط النور · تبدو فجأة ، وتهبط ، ثم تطفو · هكذا أفكاره التى تهمس له انه مثل طفل صغير ولد حديثا رغم أعوامه الاربعين · انه ولد مرة أخرى ، من جديد ، يوم تسلم عقد التمليك من الرئيس نفسه . وتحول راسه مسرحا لذلك الاحتفال . لمع كل شىء فيه كأنه يحدث الآن · الآن وليس منذ شهور · لم يكن لديه شىء جديد يرتديه فى ذلك اليوم · لم يكن لديه غير الجلباب الدبلان الناصع اللون ، وبه رقعة كبيرة فوق صدره ، وقد انتهى فوق ركبتيه · وتحته صديرى مضغته الايام الكثيرة الجائعة بأسنان حادة غليظة فتناسلت خيوطه وتساقط لونه · والطاقية البنية ، وشال ابنه محمد (لفعه) حول عنقه ، و(بلغة) ابنه محمد أيضا أخذها فى قدميه · وتقدم الى الرئيس وبه خجل هائل · يود أن يعتذر له عن هيئته المزرية ويقول ان هذا كل ماعنده فماذا يفعل والاولاد كثيرون لم يتركوا له شيئا أمامه أو خلفه ·· (تسعة أولاد يا سيدى الرئيس ·· كل شىء أفعله فهو لهم ·· نسيت نفسى ·· بل أنا لهم ·· لهم يا سيدى الرئيس) ·· ورمق الناس لحظة · وكاد أبومحمد أن يهرب· ولكن احساسا دافقا دفعه دفعا الى الداخل · تقدم يا مفيد عبد الرحمن عبد المتعال بلا خجل · مم تخجل أيها الجذر القوى المخلص ؟ · تقدم لتستعد كبرياءك · لتستعد نفسك من بين هذه الايدى غير المخلصة التى تستعبدك · ارتج فى هذا اليوم فى هذه اللحظات · وارتجف · كأنه يتلاشى ثم يبنى من جديد ، ثم يتلاشى ، ثم يبنى من جديد هكذا · ألف مرة · أيها الجذر القوى المخلص · وصارت روحه أسفل ذقنه حينما بطش الميكروفون بالاشباح التى تحيط به · أنه لم يحس بها أشباحا الا فى ذلك الحين فقط · ودوى اسمه مرة أخرى كالرعد · السيد المواطن مفيد عبدالرحمن عبد المتعال · دوامة أخذته أخذا · وزأر الميكروفون باسمه مرة ومرة قبل أن يتحرك من مكانه · لم ينادوه باسمه الذى يناديه به الناس « أبو صباع » · ناس كبار ، كبار خالص ، ينادونه باحترام ، احترام كبير · وكان فى تردده قبل أن يتحرك كأنه غير واثق من أنهم يعنونه ، هو ، هونفسه· ربماكان انسانا آخر ، ولكن هذا الاسم هو اسمه الذى سماه له أبوه يوم ولد · يوم لم يكن أبو صباع · اسمه واسم أبيه وجده · الاسم المكتوب فى شهادة الميلاد وعقد التمليك · كان الورقتين شهادتا ميلاد · ولد مرتين · وأحس مرة واحدة ببغض شديد لاسمه القديم · وتقبضت نفسه حينما سمع الحاضرين فى الاحتفال يرددون اسمه « أبو صباع » تقبضت فى حنق كأنها أصابع عملاق تخنق هذا الاسم البغيض وتميته ، بل تسحقه سحقا من الوجود .وتكورت كفهاليمنى ذات الاصبع المفقود ، الاصبع الذى يذكره بأيام مريرة · لقد قطع هو هذا الاصبع يوم طلب«للجهادية» حتى لايقبل فى الجيش · فى ذلك اليوم أهوى على

الاصبع بساطور دون رحمة . بل فى حنق . وصاح فى ابيه ، وفى نفسه ، وفى أشياء كثيرة كان يحس بها تحيط به كالاشباح :

لماذا أذهب الى الجيش وأموت هناك لماذا .. لماذا ؟

هذه الكلمات القليلة هى كل ما استطاع أن يلفظه من داخل كيانه كالتنار كالمقت . ليس له شىء فى هذا البلد فى وطنه كله ، حتى يذهب ليدافع عنه ويبذل نفسه من أجله . حتى الذهاب لمجرد فكرة الدفاع والذود عن الحمى أى شىء له حتى يدافع عنه ؟ لا شىء .. لاشىء .. ولا حتى لابيه أو لجده ولجد من أجداده الكثيرين . بل كان شعورا غامضا يملأه فى ذلك الحين وهو أن يأتى هؤلاء الاعداء الذين يدفعون بأمثاله كى يقاتلوا ، حتى يقتلوا الباشوات . عبودية بعبردية لامبالاة . لماذا يدافعون عن أرض الوطن ؟ . لماذا ؟ والباشوات يدفعون البدل ليعفوا من الجيش ويتركوا الأمر لهؤلاء المضوغين ، الموطوئين . وطار اصبعه فى ذلك الحين ولم يحس بأى ألم فى نفسه . بل احس كأنه ينتقم يتشفى ، وعندما تقدم من المنصة اكتسحه الخجل والأسى . كان عينى الرئيس تسألانه فى صمت عن تاريخ هذه الاصبع المبتورة ـ ولو أخفاه فى قبضته المتكورة ـ وكأنه سيسأله فى صمت أيضا «وهل تريدنا أن نمنحك قطعة من الارض انت الذى ضننت بنفسك من أجل الدفاع عنها ؟ هل تريدنا أن نمنحك قطعة الارض ثمنا لخيانتك ولأصبعك التى قطعتها .

وتألم السيد المواطن مفيد عبد الرحمن عبد المتعال . وما زال يرن فى رأسه الصوت القوى المدوى الذى انطلق من الميكروفون هادرا كأنه يعلن للناس كلهم اسمه الجديد الذى يعنى أشياء كثيرة .. كثيرة جدا . وفوجىء أبو محمد بالرئيس يمد له يده مصافحا ؛ وارتبك عليه أن يمد له يده اليمنى ، ذات الاصبع المفقودة . كأنه حين مد يده اليه يسلم اليه تاريخا شائنا رديئا طافحا بالظلام والخوف والجبن . هذا التاريخ المظلم الحافل بالاصابع المبتورة الضائعة . واحس بكفه فى كف الرئيس . أحس بها فجأة هكذا لايدرى من الذى وضعها فى كفه تلقائيا ، فى طمأنينة . احساس غريب . كأنه سلم الرئيس كفه بعد أن تمازجت سمرتها . فقد وجد أبو محمد أن الرئيس أسمر مثله . كأنه فوجىء بهذه الحقيقة مفاجأة هائلة . ليس مثل الباشا الذى نصفه تركى وتجرى فى عروقه دماء اجناس عديدة مختلفة غريبة سمرة تهمس فى ثقة للسيد المواطن أن أرضا واحدة هى التى ولدتنا . هكذا شعر مفيد . وربما لهذا وجد كفه فى كف الرئيس يتصافحان فى اشتياق ، فى حب .

وانفجر مفيد حينذاك ضاحكا فى سعادة وأحس بأصابعه تتشابك فى أصابع الرئيس ، وابتسامته تمتزج بابتسامته كأنهما يمتزجان . وأحس بورقة نظيفة كبيرة ملفوفة بعناية تملأ كفه . أحس بها مثل أصبع كبير نظيف ينبت فى كفه بدل الاصبع المفقودة .

وضحك مفيد ضحكا عميقا ، وساقت هذه الموجات المتلاحقة من الاحاسيس موجات عالية من القرقرة .

وغمس نظرة فى عينى الرئيس كأنه

يبحث عن معانى التأنيب التى لامفر منها لما فعله مفيد فى شبابه • ولكنه لم يجد تأنيبا وكان العينين تقولان له :

ـ عفا الله عما سلف • وضـــمه الى صدره ضمةقويةوالتحما وتراءيا كعملاق كبير • لن ينسى مفيد هذا اليوم طول حياته • واسرع بعد ذلك واشترى بيتا لاسرته ، وتركوا البيت الذى يملـــكه الباشا ، واشترى ثيابا جديدة لهم جميعا وبدأ الناس ينادونه باسمه «مفيد» •

بدأ يفيق • يستيقظ •• واعتدل فى وقفته واستند الى فاسه وجذب نفسا طويلا ومس حدودأرضه بعينيهمسا رفيقا كأنه يتأكد من انهـــا لم تنقص شبرا واحدا • وارتطمت عيناه بقادمين من بعيد وانتابه الفضول فدقق النظر ، وأخذت ملامحهم تتضح • الباشا ، الباشا الذى كان يعمل عنده من قبل وانحنى عـــلى على فاسه بسرعة كأنه يخفى نفسه •• وتولاه الخجل • وانتفضت كبرياؤه • مم يختفى؟ • ولم يختفى ، فعاد وانتصب كأنه يريد أن يبدو له ولمرافقيه عملاقا ، أكثر عملقة • ودفع بساقيه الى الامام ، كأنه يقول :

ـ انا هنا •• انا هنا •• وهـــذه ارضى ••

وجذب الباشا السابق لجام حصانه فتوقف هو ومرافقوه على بعد خطوات قليلة من مفيد وقال بجفاء :

ـ ولد ياابو صباع ، لماذا لم ترسل امرأتك وأولادك كى يقشروا الذرة ؟

فشدت أصابع مفيد حول يد الفأس بقوة ، بغضب ، وصاح :

ـ أبو صباع هذا كان زمان • كان أيامكم ياحضرة •••

فصرخ الباشا :

ـ اسكت ياكلب .

وزعق مرافقوه :

ـ هل ترد على الباشا ياأبو صباع ؟

فصاح مفيد :

ـ أبو صباع هذا كان أيامـكم •• هل تفهمون ؟

ودق الارض بفأسه كأنه ينذرهم • وتساءل أحد المرافقين ساخرا :

ـــ وما اسمك الآن ياسيدى ؟ : حضرة العمدة ...

وزعق مفيد بأعلى صوته :

ـ الرئيس ، الرئيس نفسه ، نادانى بالسيد المواطن •

فقاطعه الباشا قائلا :

ـ لابد انه لم ير أصبعك المقطوعة •

وكان كل السحب السوداء القاتمة التى تملأ السماء ملأت عينيه فى تلك اللحظة ، فاهتز فى موقفه وشدد قبضته على الفاس ، كان ضربة قوية غادرة عاجلته من الخلف • وأحس كان أصبعه المبتورة أخذت تقطر دما• احس كأنه هو كله أصبع مبتور • وانطلق يصيح :

انا اسمى مفيدعبد الرحمن عبدالمتعال •• السيد المواطن مفيد عبد الرحمن عبد المتعال •

ـ أبو صباع هذا سيريكم من هو ؟ امرأة مفيد وأولاده أسيادكم •

فهمهم الباشا :

ـ والله عال .. هل ستهدم بدنيا باصبعك المقطوعة ؟

وانطلق ومرافقوه ، ودمدم مفيد .. ودق الارض بفأسه فى ثورة .. وود لو ينطلق ويقضى عليهم بفأسه، بل يسحقهم سحقا .

ـ سيريكم أبو صباع ماذا سيفعل ؟

***

عندما اشتعلت معركة بورسعيد .. كان هناك عملاق ريفى كفه اليمنى ذات أصبع مفقودة .. متمدد على بطنه فوق الارض يمطر الاعداء بالرصاص بشدة واصرار وثقة .. وبه احساس أنه يفى بوعد . انه يرد دينا كبيرا كان عليه .. انه يدافع عن شىء له ، عن ارضه ، ارضه هو .. احساس هائل يملأه بأن رصاصه وهو فى بورسعيد يملأ سماء قريته . يملأ قصر الباشا . يملأ آذان الناس جميعا .. وان اولاده الآن فخورون . وان كلمة «أبو صباع» تعنى انه هو الذى قاتل فى بورسعيد بشجاعة . وانه هو الذى يستطيع أن يفعل كل شىء .. وانه هو الذى يدافع عن وطنه الآن ، هو الذى هرب من الدفاع منذ سنوات ، أى انه صار شيئا ، شيئا كبيرا عملاقا قويا . وانه هو وأولاده هم هم الذين يمتلكون الارض . وان لهم الحق كل الحق فى ان يكونوا أصحابها . وعندما أحس بدم دافىء يبلل كتفه ورأى هذا الدم يمتزج بالتراب الاسمر أمامه أحس بمزيد من الشجاعة ، من السرور ، وببساطة وضع فوق جرحه حفنة من التراب . وحينما التفت اليه جاره قائلا :

لقد قضينا على الدفعة الثانيـة من جنود المظلات .

ابتســــم مفيد من اعماقه وهزته ابتســـامته واحس بثقة متزايدة بانه يستطيع ان ينتصر بالرغم من أصبعه المفقودة ، وان ينتصر الى الابد . ورفع يده اليمنى ليحملق فى أصبعه المفقودة وبه شعور جامح ان أصبعا عملاقة كبيرة نبتت مكانها وسأله زميله :

ما اسم سيادتك ؟

ـ مفيد عبد الرحمن عبد المتعال .

أهلا وسهلا ياسيد مفيد .

وامتلأ كيانه بمــادة هائلة وأجـال بصره فى السماء بتحفز وثبات وطمأنينة وقوة ، وردد فى نفسه :

أهلا وسهلا بك ياسيد مفيد .

وضغط على كلمة « يا سيد » بقـوة وثقة وسعادة .

الوك .. الوك .. الوك ..

للقصصي السوفياتي : جورجي جوليا

ترجمة : خيري حماد

« جورجي جوليا ، شاعر وقصصي سوفياتي حديث · ولد في عام ١٩١٣ ، وشرع في الكتابة وهو في السابعة عشرة من عمره · أصدر قصته الأولى « الانتقام » في مطلع الثلاثينات ، وما لبث أن أعقبها بقصة ((حكايات الموقد)) . لكن شهرته لم تذع الا بعد أن أصدر قصة « الربيع في ساكين » ، وهي القصة التي قوبلت بعاصفة قوية من الاستحسان عند القراء ، والتي تحدث فيها عن مسقط رأسه في جبال القفقاس ، حيث تنتشر الثلوج فوق هامات الجبال وقممها ، وحيث تجري الانهار ، مارة بالوديان والاخاديد ، لتقذف بمياهها الى البحر الأسود ·

« وسرعان ما توالت قصصه وفي مقدمتها « المدينة الطيبة » و « الضيوف السود » و « كاما » و « البيت الكستنائي » · وقد وضع عددا من القصص التاريخية استقاها من مصر وبلاد الاغريق وبلاد الرافدين والقفقاس ···

·· وهذه القصة القصيرة التي نتولى تعريبها اليوم ، هي من أحدث القصص التي وضعها ··· »

***

تدفق الناس كالسيل العرم ، وسرعان ما اكتظ فندق القرية ، بالوافدين وقد تعالى ضجيجهم ، واشتدت جلبتهم · واضطر أصحاب الفندق الى اخراج كل ما في خزائنهم من فراش وأغطية ، بينما ظل « السماور » مشغولا باعداد الشاي للنزلاء · وهرع عمال الكهرباء الى اصلاح كل ما في الفندق من مصابيح ، بينما سارع النجارون الى تصليح النوافذ واحكام اغلاقها طلبا للدفء في طقس يناير الشديد البرودة ، اذ تراكمت الثلوج حتى وصلت درفات النوافذ المطلة على الفناء الخارجي ·

وقد اجهدت العمة « باشا » نفسها في الاشراف على كل شيء ، فما حلت الساعة العاشرة من الليل ، حتى كان كل ما في الفندق على أحسن ما يرام · وبدا أن جميع النزلاء قد سارعوا الى غرفهم ، اذ أضيئت الانوار الكهربائية في كل حجرة من الحجرات ·

وراحت العمة تعد السجلات ، وتهيء « فواتير » الحساب للنزلاء الذين اعلنوها

عن عزمهم على مغادرة الفندق فى الصباح. وكانوا قد وصلوا الى فندقها يستقلون الزلاقات والعربات التى تجرها الكلاب، أو فى شاحنات مكشوفة اصطلت أسنانهم فيها من القر أثناء رحلتهم الشاقة من لننجراد • وبدت الغرفة الارضية الدافئة حيث جلسوا يتناولون طعامهم، مريحة لاعصابهم المجهدة •

وخرج أحد النزلاء من غرفته ، ينقر باصبعه باب غرفة الخدم الدافئة ويقول ••• هل لى فى الدخول طلبا للدفء ؟

وسألته باشا ••• وهل أحسست بالبرد فى غرفتك ؟

ولم يجب الرجل على سؤالها • وبدا البريق فى عينيه وكأن الفرح يغمرهما لسبب لا تعرفه • وجلس قبالتها مطاطئ الرأس ، وقد أسند مرفقيه الى المنضدة التى تجلس اليها • ثم ارخى ذقنه على راحتيه •

وظل الرجل لا ينبس ببنت شفة، وان تعلقت عيناه بها مبتسما طيلة الوقت• ولم تعره العمة اهتماما خاصا، وان بادلته الابتسام ، المرة تلو المرة • ولم تفارق نظراته وجهها الذى سرعان ماعرته حمرة الخجل• وأحست بالاحرف تتراقص أمام عينيها، وبالسطور تتواثب أمامها ••• انها باتت عاجزة عن المضى فى عملها••

وازاحت الاوراق من أمامها برفق وهى تقول•• « لا أستطيع أن أعمل •• ترى ماالذى يدعوك الى اطالة النظر الى على هذا النحو ؟»

ولم يحر جوابا • بل تناول لفافة تبغ من جيبه واشعلها ويده ترتجف وكأن شيئا يضايقه • كانت ملامحه تشير الى أنه فى الاربعين من عمره• عيناه زرقاوان وصورته جميلة ، وان لفحته بعض السمرة • وذكرتها بعض ملامحه ، بالشاب الذى أقسمت على أن تنتظره حتى نهاية الحرب • ولكن الحرب قد انتهت ، وانقضى على نهايتها نحو من خمسة عشر عاما ، ولم يعد الرجل الذى تنتظر • وشرع الناس منذ أمد قصير يطلقون عليها اسم العمة باشا • فلقد كبر سنها الى حد ما ، وان كانت لم تلحظ كيف تحولت الى «عمة» من العمات وسرعان ما ألفت التسمية ، وغدت تدهش اذا آثر أحدهم أن يناديها باسمها المجرد •

وبذلت قصارى جهدها لكى تستأنف عملها ، ولكن محاولاتها منيت بالفشل• وبات عسيرا عليها أن تعمل ، وعاتان العينان مركزتان عليها• وطوت أوراقها، ووضعت قلمها فى مكانه وقالت ••• « لا تنظر الى على هذا النحو ••• أرجوك ! »

وبدا وكأنه لم يسمعها • فقد غاص فى أعماق التفكير بشؤونه ••• وفجأة راح يسألها ••• « ما عمرك » ؟

ــ آه لقد كبرت •

ــ ولكن أهو سر تخفينه ؟

ــ لا • وما السر فى عمرى• اننى فى الثامنة والثلاثين •

ــ انك لا تصدقين •

وراحت تسأله مداعبة ••• وهل يعجبك أن أقول اننى فى الاربعين ؟

فقال وعلائم الجد بادية على محياه •• لا انك اصغر من هذا بكثير •

ومدت يدها دون أن تنطق بحرف واحد الى حقيبة يدها • واخرجت جواز سفرها ، وقدمته اليه ••• وفتحه ثم أخذ يقرأ ••• « زيمستوفا براسكوفيا ايلاريونوفنا ••• عام الولادة ••• حقا

انك صادقة ··· ثمان وثلاثون ···»
واعاد الجواز اليها ···

وقالت ··· هل اقنعك هذا ؟

فرد وهو يحدق فيها بناظريه ·· لا ··· انك أصغر من هذا بكثير يا براسكوفيا ايلاريونوفنا ··· لا تطلعى أحدا على هذا الجواز ··· لا سيما وان الصورة فيه غير جميلة ···مع انك فى منتهى الجمال ··· ترى هل تعرفين كم أنت جميلة ؟

فقالت ··· محتجة ·· « أرجوك·· انه خطأ منك أن تسخر منى · أرجو أن تحدثنى عن نفسك بدلامن هذا الحديث·

ـ ولكن جواز سفرى معك · اننى فنان · وصحيح ان الجواز لا يدل على ذلك ··· ثم اننى أستلطفك ، وأجد من العسير على أن أقول شيئا ··· ولكن ليس فىجواز سفرى شىء من هذا أيضا ··· انظرى الى يديك ، أرجوك !·· انهما ارستقراطيان··· كما كان الناس يقولون فى الماضى ·

واختطفت يديها من أمامه وانزلتهما فى حضنها ··· وقالت ··· انهما راحتان عاديتان ··· انهما تكثران من العمل ··· وتكثران من غسيل الملابس والاطباق ···

ومضى الفنان يقول ··· « اتسمحين لى برسمك ؟ لم أر عينين كعينيك منذ أمد طويل · اننى أقرأ الحزن فيهما ··· وأقرأ الملل ··· أيضا ··· ولكن فيهما شيئا من السعادة ···ألا تصدقيننى ؟ اننى أعنى مااقول ·· وانا اقرأ السعادة فيهما » ·

وهزت رأسها نفيا ، دون أن تجيب·

وقال الرجل ··· أتعرفين يا باشا، اننى مررت وأنا فى طريقى الى هنا بعدد من القرى الصغيرة· اتعرفينها؟ اتعرفين ما راموروشكا مثلا ؟ أو تعرفين قرية تسمى ألول ··· أليس هذا الاسم جميلا ؟·· الول ؟

ـ حقا انه اسم جميل ···

قالت ذلك وهىتائهة فى تفكير طويل عما ذكرهعن الحزن والسعادةفى عينيها· وخيل اليها انه يهزأ بها ، وانه لم يكن جادا على الاطلاق ··· اذن فهو يريد أن يسخر من نظراتها الساذجة··· اذ هل يفعل أن يتحدث انسان عن الجمال والعيون بالنسبة الى امرأة نصف فى الاربعين من عمرها ·

وراح يقول وقد لاحتعلائم الجد على محياه ·· وعندما كنت أمر بتلكالقرية، تصورت ما عليه اسمها من عذوبة لو أطلق على امرأة جميلة ···

وهب الرجل على قدميه ومضى الى الباب ، وكأنه يعتزم الخروج من الغرفة لتوه ··· ثم قال ··· سأناديك منذ اليوم ··· الول ·

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اسمعى يا الول! انظرى الى نفسك ··· ان بعض الشحوب يعلو محياك ·· وعيناك ·· انهما اجاصتان ·· أجل اجاصتان ناضجتان ·· وشعرك غزير يكفى لثلاث فتيات ·· انظرى الى تلك « الكعكة » التى عقدتها فوق هامتك ! أو تظنين انى لا الحظ كل شى ؟ لقد رتبت أمرى على أن أرى كل شىء ··· وانى لأرى ان ارسمك وكأنك شابة نبيلة من فتيات الاسر الارستقراطية ·· هذا ما أريده ···

ـ آ ·· أرجوك ! ما هذا !·· أأنا جميلة ؟

ـ أقسم أنك جميلة يا الول ··· أجل أنت جميلة · وجميلة حقا··· انه

جمـال نابع من الغاب ٠٠٠ أو يعجبك أن أقبلك ؟

وهمست وقد ارتسـم الرعـب على وجهها ٠٠ ٠ماذا ؟ ماذا قلت ؟

ودلفت الى الغرفة نزيلة أخرى انها التى تسكن الحجـرة رقم (٥) ٠ جاءت تطلب بعض الماء الساخن ٠٠٠ واضطر الفنان الى الخروج من المكان ٠

وحملت النزيلة صفيحة الماء الساخن ومضت الى حجرتها ٠

وظلت باشا وحيدة ٠٠٠ ولكنها لم تستطع أن تعمل شيئا ٠٠ انهـا تفكر فيه ٠ حاولت أن تبعده عن خاطرها فلم تفلح ٠٠٠ أى طراز من الرجال هـذا الانسان؟ أو كان يصدقها القول؟ ولكن ترى ما الذى يدفعـه الى الـكذب ؟ انه سيغادر نزلها فى الغد ، وقد لا يلتقيان من جديد ٠٠٠ وراحت تحدث نفسـها بقولها ٠٠٠ يا لى من حمقاء ٠٠٠ كيف سـمحت لنفسى أن أحمـل أقواله على محمل الجد ٠٠٠؟٠٠٠ انه رجل يحب المزاح ٠٠ وقد شاء أن يسخر منى ٠٠٠

ولكن الايمكن أن يكون محقا فى قوله ٠٠٠ لقد بدا رجلا صادقا ٠٠ وكانت ملامحه توحى بالثقة به ٠٠ الا يجوز لها أن تختبر ، لترى اذا كان صادقا ؟

ولم تضع دقيقة واحدة ٠٠٠ وهرعت تصعد الدرجات الى غرفة نومهـا ٠٠٠ وربطت منديلا تملؤه صور الازاهير على رأسها ، ونثرت المساحيق على وجنتيها ، وصبغت شفتيها بأحمر الشفاه٠ وتطلعت الى المرآه ٠٠ انها ترى وجها فتيا ، وعينين مضيئتين براقتين ٠ لا ، انهـا ليست بالعجوز ٠

وكانت الساعة قد جاوزت الحـادية عشرة والنصف ٠ وستقطع شركة النور التيار الكهربائى عند منتصف الليل ٠

وعندما ينتصف الليل ستغلق باب غرفة الخدم على نفسها وتستلقى على الاريكة الصلبة ٠٠٠

ولكن لم كان ينظر اليها هذه النظرة الغريبة ؟ ولم كلف نفسه عناء التحدث اليها بكل ما قاله ٠٠٠؟

***

وعاد الرجل اليها ثانية ٠٠٠ ودلف الى الغرفة دون أن يقرع الباب هذه المرة ٠٠٠ وقـال وكأنه لم يلحظ أى تبـدل فيهـا ٠٠٠ لقد جئت يا الول ، لأراك ثانية ٠٠٠ أرجو ألا يسيئك هذا ٠

وأرادت أن تقول له شيئا ، ولـكن الكلمات توقفت فى حلقها ٠٠٠ عليه أن يفهم أن الوقت متأخر للغـاية ،وأنه لا يليق به ، أن يظل متسكعا فى غرفة الخدمة حتى هذه الساعة المتأخرة ٠٠٠ لقد نام الجميع على أى حال ٠٠٠

أرادت أن تقول له هـذا كله ٠٠٠ ولكنها لم تستطع ٠٠٠

وقال والأسى يبدو على ملامحه ٠٠٠ انك لا تفهمينني يا الول ٠٠٠ لقد رأيت كثيرا من النساء فى حياتى ٠٠٠٠ ولكن ٠٠ انت ٠٠ أجل أنت ٠٠ اننى عاجز عن التعبير ، واختيار الكلمة الصحيحة ٠٠٠ هل أنت متزوجة يا الول ٠٠٠

وردت بسرعة ، وقد بان التردد على وجهها ٠٠٠ أجل ٠٠٠

وقال وهو يغتصب ابتسامته ٠٠ هذا هو نصيبى ٠٠٠! اننى أصـل متأخرا دائمـا ٠٠٠ الـول ٠٠٠ اننى لا أكـاد أصدقك ٠

وخيل اليها أنهـا تحس بالمرارة فى حديثه ، وان بدا مبتسما أمامهـا ٠٠٠ لم لاتصدقه القول؟ كان عليها أن تعترف له ، بأنها ما زالت تجهل الحب ، وانهـا قضت حياتها كلها ، متلهفة اليه ٠٠٠

وانها تجاوزت سنى الشباب ، وهى ما زالت تنتظر ٠٠ كان عليها أن تقول له، بان كل ما يستهوى المرأة عادة ، قد- مات فى قرارة نفسها ٠٠٠ انها لم تعد « باشا » ، بل « العمة باشا » ، وليس فى هذا شك ٠٠٠ ارادت أن تقول له هذا ، ولكنها لم تستطع ٠

وأحست بالارتباك ٠ وارتبط لسانها فهى لاتستطيع النطق٠ وبدا انه لم يكن أقل منها حيرة واضطرابا ، وقد وقع فجأة أسير جمال هذه المرأة البسيطة الساذجة ٠

واقترب منها ، ثم مال عليها ، وهو يهمس فى أذنها ٠٠٠ « أرجوك ٠٠٠ على اى حال ، قد أحرم من رؤياك مدة طويلة ٠٠٠ »

وقالت وهى ترتعش ٠٠٠ وما الذى تريده ؟

ـ اريد تقبيل يدك يا الول ٠٠٠

وراح يقبل يدها ، دون أن يسمع موافقتها ٠٠٠ وبدت وكأنها تقاوم هذه الرغبة ٠٠٠

ـ انك الول ٠٠٠ هل تسمعين ! انك الول ٠٠٠

وهرع الى الباب ، فأمسك بمقبضه بقوة ٠٠٠ وتوقف عنده لحظة واحدة ٠٠ ثم دلف خارجا ٠٠٠

وأحست وكأنها معلقة بين الموت والحياة ٠٠ ووقفت وقد تصلب جسمها ولم تتحرك الا عندما وصل الى مسامعها وقع خطاه ، وهو يسير فى الممر ٠٠٠ وأدارتالمفتاح فى قفل الباب ، واغلقته، ثم استقلت على الاريكة ٠٠٠

احست وكأن النار تأكل كل جزء من جسدها ٠

ولم تمض دقائق ، حتى كان النور قد انطفأ تلقائيا ، اذ انقطع التيار الكهربائى عند منتصف الليل ٠

وتوافد النزلاء عليها فى صباح اليوم التالى يطلبون جوازات سفرهم ٠ ودفع كل نزيل حسابه ٠٠٠ كان الانتعاش باديا على وجوههم ، والضجيج يسود النزل كله ٠٠ وانقضى وقت طويل٠٠٠ قبل أن يجيئها ٠٠ كان آخر من يدلف الى الغرفة من النزلاء

وبادرها بقوله ٠٠٠ صباح الخير يا الول !

كان الشحوب يعلو وجهها ٠٠ ولكن شحوبها زادها جمالا فى عينيه ٠ واسلمته جواز سفره ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وتناولت معه النقود ، واعادت اليه ما يتبقى له عندها ٠٠٠

وراحت تسأله بصوت خفيض ....

وعلت الدهشة وجهه وهو يقول...

ما ظنك فى ... هل انت غاضب على ؟

ولماذا اغضب منك يا الول ، بحق السماء؟

ـ هل نسيت ؟ لقد قبلت يدى .

كانت على مقربة منه .... ولكن يديها ظلتا وراء ظهرها ٠٠٠

وقال الفنان ... «انك جميلة... بل انت رائعة .... يجب ان يكون اسمك عذبا كاسم الول .... الوداع يا الول .... لنأمل فى ان نلتقى ثانية عما قريب ... هل تعرفين الانتظار ؟

وسمعت أصدقاءه ينادونه .. كانوا قد اخذوا مجالسهم على ظهر الشاحنة ... وكانوا يودون الاسراع فى السفر.

ومضت خارجة الى الفناء ... تشيعهم .. وبدأت الشاحنة حركتها، عندما قفز الفنان اليها .. وعاد يلتفت اليها وهو يناديها بصوت كله سعادة.. الول .. الول .. الول ..

ووصل مدير الفندق فى التاسعة.. ورآها تقف على النافذة..كانت هادئة ساكنة ، تنظر الى الثلج المتساقط .. انه كالعهن المنفوش ، تلذ مرآه لكل من يقبع وراء زجاجالنافذة فىغرفة دافئة.

وهتف بها المدير قائلا ... ياعمة باشا !

وبدت وكأنها لم تسمعه .

ـ ياعمة باشا ...

والتفتت اليه بتمهل..كانت الدموع تملأ عينيها .. وبدت آثار المساحيق على وجهها الشاحب الاسمر .. وكانت حمرةالشفاة لا تزال على شفتيها ... بينما كان شعرها منسدلا بنظام على كتفيها .. انها ترتدى أحسن ما لديها من جوارب ... والحذاء جديد جميل .. ولباسها ، على غير عادتها ، محتشم جميل . وقد اتشحت بوشاح قرمزى لفت به عنقها ... وبان نحرها الذى تعودت ان تخفيه ، ابيض كالثلج ، بل كالسكر الناصع البياض .

وذهل مدير الفندق ... لقد وجد من العسير عليه ان يتميز فى هذه الفتاة الجميلة التى يراها ، العمة باشا ، التى يعرفها .. انها فتاة ، خلقت من جديد ولا تشبه العمة باشا .. ولم يكن هذا المدير الذى نقل الى الفندق ، من مؤسسة كبيرة ، قبل وقت قصير ، يؤمن بالمعجزات .. ولكنه الآن يكاد يذهل من هذه المعجزة التى يراها ..

وراح يسألها .. احقا انت الرفيقة زيمتسوفا ؟

واحنت رأسها بالايجاب ...

ـ ولكن هل حدث ما يزعجك أيتها الرفيقة ؟

وقام من مجلسه .. وقدم اليهــا مقعده ..

ولكنها ركضت خارجة من الغـرفة وهى تجهش بالبكاء ... لقد خرجت فتاة جميلة ... اسمها الول ...

ومسح المدير جبينه بيده ، ثم تناول سماعة الهاتف .. وسرعان ما أعادها الى مكانها ... فقد غير فكره ... ووقع نظره على ورقة بيضاء امامه .. ليس فيها الا كلمة واحدة ... انها الول...

وحلق المدير فى أجواء الخيــال ... وهو يحدث نفســه ... انها امراة جديرة بك ... وهل ثمة من اصدقائى من هو أعزب حتى الآن ؟ ... آه ... يا لها من امراة ... ماكرة ... لقد كانت تتظاهر بأنها امراة نصف ...

وراح يركض وراءها .. وهويهتف بها ... الول .. الول ..

أفراح صغيرة

متولى

بقلم : أحمد عثمان بهلول

اجتاز الكوبرى الذى يربط المدينة بالطريق المتفرع من نهاية المبانى ، ثم وقف عند المفترق ، وراح يمد بصره وسط الظلام يريد ان يبلغ به قريته البعيدة عنه مسافة أميال ثلاثة . وينقضى من الوقت ربع ساعة ، فنصف ساعة ، فساعة ، وكل دقيقة تشير فى ركابها دقيقة ، والدقائق تعصر روحه المشوقة وقلبه الملهوف ، ولاتحفل بحيرته . ويتململ فى مكانه ، ويغرس تأملاته فى الظلمة الضاربة من حواليه لعله يلمح قادما يشاركه الطريق .

وتمر دقائق اخرى ،ويتحرك كل مافيه سوى قدميه ، انه متسمر فى مكانه فى انتظار معجزة تنهى حيرته . سيارة ، او عربة او اى شىء ، فقط هو يريد ان يبيت بين أولاده ، ولكنه لايريد ان يجتاز الاميال الثلاثة الباقية من رحلته الطويلة وهو بمفرده ، ان الظلمة تجسم المخاوف والطريق الزراعى خال لايحرسه غير نقيق الضفادع ونباح الكلاب .

ومن حين لحين كان يلمع نور سيارة ، ويتجدد أمله ، ثم ما يلبث أن يترع امتعاضه لانها مرت به ولم تحفل بوجوده ، ولو كان الطريق آمنا لسار على قدميه وحده ، ولكنه عاجز عن امتحان جسارته على اقتحام المخاطر ، فاليوم اول الشهر ، وفى مثل هذه الساعة المتاخرة يحلو للاشقياء ان يتسلوا على استلاب اردية البسطاء وجيوبهم ، وربما حياتهم ، ثم يتركون فريستهم عارية او صريعة ، ويتخيل كل هذا فيرتعد ويتحسس جيبه فى هلع ، ثم يشعر بشىء من الراحة حين يطمئن الى ان الجنيهات العشرة مازالت فى حوزته ، عشرة كاملة ، مازاد عنها من راتبه انفقه فى السفر من قرية «أم صابر» مقر عمله حتى مكان وقوفه ، وايضا .. انفق بضعة قروش فى ابتياع شىء من خيرات المدينة . اصابع صفر من الموز وقطوف حلوة من العنب . فمع اول كل شهر ، يكون كل البيت على موعد بلقاء حبيب . امه ، وابوه ، واولاده الثلاثة ، بينهم ولده الكسيح «رضا» وحين يتذكره تند عن صدره آهة ، هذا الصغير تخطى عامه الثالث ، ومازال لسانه عاطلا ، وساقه عاجزة ، ولكنه ينتشى كثيرا لاصابع

الموز ، مايكاد يرى اللفائف حتى يمزقها ويبعثر محتواها ، ويملأ قبضتيه بأصبعين لم تنخلع القشرة عنهما ، ويهم ليطوحها فى فمه فى مرح ، فيتضاحك اخوته ، ويتضاحك الجد ، والجدة ، وفى غمرة من المؤانسة تصنع الاسرة افراحها الصغيرة :

ولكن ... هاهى الاميال الثلاثة تعطل افراحه ، انها سفر طويل فى طريق موحش مشحون بالمخاوف ، والجنيهات العشرة وحياته كلاهما فى خطر لو خطا فى الطريق خطوة واحدة ، ويلزمه ان يحمى حياته من اولاده فليس لهم سواه . وأن يحمى جنيهاته من أجل قوتهم ، وايضا ... لانها ثمن العرق طيلة شهر عريض ، كيف يخاطر ؟ وهو يكاد يرى من خلال خواطره زوجته وهى تستقبله ، لها قلب الزوجة الوفية ولها عقل المراة المدبرة ، ودائما هى تتفحص جنيهاته بأناملها مثلما تفرقه شوقا بهمهماتها ، البيت كله منذ العصر يتهيأ لاستقباله بجنيهاته ، كل شىء تنظفه الزوجة وترتبه ، وتكنس كل الدار حتى مدخل الحارة ، وتخلع على الصغار اردية مغسولة ، وتنشر على الفرش الملاءة المحلاوى الملونة ، وحتى هى ... تنزع عنها جلبابها الاسود . والاب الشيخ لايمل جلسة «المصطبة» طول النهار ليكون أول من راى ولده . والام تنشغل باعداد طعام يشتهيه ابنها ، والصغار يستلهمون من الحركة النشطة ميقات أبيهم ، ومنذ رحل عنهم لم تتغير عادته فى الوصول لهم قبل مغيب الشمس . فقط هذه المرة هى التى خانه الوقت فيها رئيسه كلفه بمهمة فتأخر ميعاد سفره ، ولكنه تشبث بأن يقضى ليلته وسط اسرته ولو وصلها فى منتصف الليل . ومنتصف الليل لم يأت بعد . ممكن ان يكون بينهم قبل أن يثقل النوم عيونهم ، وتنطبق جفونهم على قنوط ويأس من عودته . فقط تواتيه معجزة . ويفيق من خواطره على ظلمة حالكه من حواليه وعلى الدقائق بلا توقف ، فيلعق ابتئاسه وينتظر .

ويحس بوخز فى ذراعه ، فيتنبه الى اللفائف التى أثقلتها كيزان الذرة المشوية وأصابع الموز وحبات العنب ، ومن قلب ابتئاسه تنسل الى داخل نفسه ومضة ارتياح لانه لم ينس الكيزان التى يشتهيها أبوه . اكثر من اى شىء ، ان قريته مملوءة بالذرة الخضراء ، ولكن .. هذه مشوية على الفحم ولها طعم يتلذذ منه الشيخ الضارب فى السبعين ومازالت اسنانه قادرة على أن تنهش الحبات فى مهارة .

وينتحى باللفائف ويضعها بجانبه ، ويريح قدميه ، ويجلس فى انتظار الفرج ويشعل سيجارة ، وكأنه يحاول ان يهيمن بأنفاسها على روحه القلقة . ومايكاد يستقر فى مكانه حتى تمرق من امامه سيارة ، فينهض واقفا فى هلع ، ويلوح بذراعيه فى توسل ، ولكن ... من الذى يهتم لشبح تنشق عنه الظلمة فجأة ؟

ويعود لجلسته ، ولفائف سجائره ، ويهتف لنفسه : ماأحلاك يا «أم صابر» هذه القرية الجديدة ، فى الارض الجديدة فى الحياة الجديدة التى دبت على سطح الرمال وسط الصحراء ، فى اى مكان تقف وتشير بيدك لاية سيارة قادمة ، فى اى وقت من الليل أو النهار ، تتوقف

وتعرض خدماتها عليك ، وتحملك لاى مكان مادمت فى طريقها ، وبلا اجر ، وبلا تردد ، اسرة واحدة ، تعمل فى حقل واحد ، وفى ساحة واحدة ، ودنيا جديدة اسمها التعمير ، لايسالك السائق من انت الا ليعرفك ، وفى لحظات تتوالد صداقة جديدة ، وعاطفة جديدة تربط الغرباء الذين وفدوا من كل بلد ، ومن كل مركز ، مثلما ربطهم العمل الجديد ، وجمعهم الامل الجديد بساعد واحد ، وعزم واحد ، وطاقة واحدة ، ويوم غادر قريته مسقط راسه ،تركها بلا مال ، او حتى قيراط زرع ، وضاقت به وبقوت عياله قريته ، ففكر فى المديرية الجديدة ، ووجد العمل ، ووجد الرمل الاصفر يتحول الى زرع اخضر ،واحس بانه يمتلك كل شىء ، وان كل المساحات البعيدة من الحقول ، ومن الاشجار ، ومن الثمار ملك له لانها من غرس يده هو وكل الذين معه ، يحلبون مثله العرق يقطر من جباههم قوتا شريفا لهم ولاولادهم ، الحياة حيث تركها حلوة وسهلة ، وناسها هناك طيبون ، ليسوا كهؤلاء الذين يهملونه تاركين الانتظار القلق يلهب ارتياحه .

ومن جديد اشعل سيجارة ،وماكادت الذؤابة تلمع حتى غشيت مكانه اضواء ساطعة ، وكانها قبضة عاتية لطمت حلكة الطريق فازاحتها فى قسر وفى حركة مضطربة القى بسيجارته لايعرف لماذا . وراح يلوح من بعيد وقد اعترض بكل كيانه السيارة التى اندلع بوقها لينبه هذا المجنون الذى تسمر امام العجلات ، وقريبا منه توقف السائق، مغيظا متوجسا ، وتفاجئه توسلات منهوفة تكاد تخانقها الدموع . وبعد تردد حذر يلين السائق ويقبل ان يحمله الثلاثة اميال نظير اجر نريم .

وتبدأ السيارة فى المسير ، ويدير سائقها جهاز الراديو ، تتناهى الى سمعهما اصوات تعج بالمرح والسعادة، ويتذكر أن الليلة موعد حفل اول الشهر حفل تسهر فيه مع عشاق فنها مطربة كبيرة ، ولم يتبرم لانه لايجد ثمن السهرة فى رحابها ، مجرد امنية طافت بخاطره للحظة ، ولكنه أحس بروحه معهم ، تصفق وتطرب مثل طربهم ،ومن جديد يخرج علبة الدخان ، ويشعل سيجارة له وأخرى للسائق النشوان من الصوت البديع ، ويهمس للسائق فى دعابة وكأنه يشهده على حلم جميل راوده فجأة : ياريت يااسطى عندى راديو . . . يابختك .

وتنتهى المسافة ، ويهبط من السيارة ، وينسى كل شىء فى الدنيا ، الا انه سيلتقى بأولاده ، وفى خطوات اعماقه يتحرك راقصا مزغردا ، ويتابع مسيره فى دروب ضيقة لايخطئها . ويبلغ الدار ، وكل المشقات قد انزاحت عن صدره ، وفى رفق يدق الباب مرة وثانية وثالثة ، واخيرا ينفتح ، ويكاد ينفجر بالضحك وزوجته تعصر عينيها براحتها وبسمة الترحاب على شفتيها تغالب بها النعاس . ويتقدم من المكان الذى يضم كل الجماعة التى كانت فى انتظاره ، وكانت طرقاته قد ايقظت الكبار . اما الصغار فقد انحنى عليهم يبارك غفوتهم وكانه يعتذر لهم بقبلاته من انتظارهم الطويل .



ورفع عنهم قامته ، ثم وقف واجما ان ذراعه ليست ثقيلة كما عهدها وهو على الطريق، ودار بعينيه حول الوجوه التي تطلعت اليه حين سكنت حركته فجأة ، واطرق الى الارض بعد أن رسم على شفته شبه ابتسامة ، فقد استخذى ان يعتذر عن لفائفه التي نسيها في قلب الظلام .

الشبيبة

متولى

بقلم
راشد رستم

كان ذلك بدار السينما فى احدى ليالى القاهرة فى جو خريفها اللطيف وكان (راتب) قد تناول العشاء على مائدة صديقه (عزمى) وزوجته السيدة الفاضلة (كليرة هانم) التى كانت تزين المائدة رونقا وبهاء بروحها المرحة وحديثها الشهى ، أزهى واشهى من تلك الزهرات الجميلات ومن هذه المتقنات من الصحاف والمشهيات .

امتد حديث المائدة مما جعلهم يصلون الى دار السينما بعد ابتداء العرض .. فاتخذوا سبيلهم فى الظلام الى مقصورتهم المحجوزة من قبل .

ولما انتهى القسم الاول من العرض أنيرت الصالة وبدأت حركات الاستطلاع بين الجمهور ، واخذ الحاضرون يتبين بعضهم بعضا . وهى عادة كانت لها أهميتها البالغة عند رواد السينما المصرية فى ذلك العهد ، وبالاخص فى حفلات المساء المعروفة بالسواريه .. حيث تقصدها العائلات فى المقصورات ، وكم من التعارف وكم من الصداقات بل كم من الزيجات تمت فى تلك الأجواء مثلها مثل شواطىء البحار والبلاجات مع فوارق كبيرة بين هذه وتلك .. بين الدور المقفولة وبين الطبيعة المفتوحة ، الطبيعة السافرة المكشوفة التى تهيىء فى المصايف كل أنواع الاختلاط بين مختلف الناس والاجناس لأيام طويلة مقمرة ومظلمة، ليلا ونهاراً ، بحرا وبراً.

أشعلت كليرة هانم سيجارة من سجايرها الفاخرة واعطت واحدة لراتب ثم اجالت ببصرها فى الصالة ، واذا بها تعود مسرعة من جولتها .. وكأنها كشفت شيئا غريبا أو وقفت على أمر جلل .. ثم أقبلت على زوجها السيد عزمى فى كثير من الاهتمام باللطافة والرقة ، تسترعى نظره الى احدى المقصورات القريبة ، وأبدت اشارة لطيفة خاطفة بغمزة العين الذكية عرف منها عزمى انه ليس هو المقصود بكلامها وانما الكلام الى صديقهما راتب على حد قول المثل ، الكلام لك واسمعى يا جارة وكان راتب قد لحظ هذه المناورة الخفية وأدرك ما تقصده كليرة هانم من المداعبة، ولكنه تظاهر بالتجاهل وكأنه لم يلحظ شيئا .

عزمى ـ (مبتسما) كن معنا يا سيد راتب .

راتب ـ انني معكما اسمع وأرى ·

كليرة هانم ـ أبدا ، انت لست معنا ·· أنا أعرف أين أنت الآن ـ كما أعرف انك حقا ترى ولكنك حقا لاتسمع ·· معذور، ان من كانت عليه العيون والانظار فله حق التسامى وحق البغددة ·

عزمى ـ ماذا فى الامر ؟ ايه الحكاية؟ خبرانى ·

كليرة هانم ـ ان سيدة جميلة مع جماعة من السيدات والرجال فى احدى المقصورات القريبة منا تشير الى راتب بنظراتها ·· ثم تتحدث عنه كثيرا · · وتلفت نظر من معها اليه ·

عزمى ـ وماذا فى هذا ؟ ثم كيف ادركت ذلك ؟

فتقول انها تكاد تجزم بذلك رغم انها لاتسمع الالفاظ لبعد المسافة ثم تقول : هذه أمور تعرفها نحن ولا تعرفونها أنتم ، ومن يدرى ياسيد راتب ، لعل الفرج قريب فلا نعود نراك وحيدا فريدا ·

***

وهنا انتهت فترة الاستراحة ، وأطفئت الانوار وعاد الظلام فاتجهوا الى الشاشة وقد أخذتهم طلاوة الرواية والمناظر والموسيقى والتمثيل ·

وعند انتهاء العرض كان أولئك الذين يحتلون تلك المقصورة قد تركوا أماكنهم فى آخر الظلام وقبل الزحام · والله يعلم وتلك السيدة تعلم وراتب يعلم وربما آخر يعلم لماذا قامت تلك السيدة مسرعة بمن معها قبيل انتهاء العرض وقبل اضاءة الانوار ·

وفى الحق ان راتبا يعرف تلك السيدة أكمل معرفة ·· ولكنه أراد التغطية وقد أتقنها اتقانا ببراعة فائقة ، وكان قد عقد النية من زمان بعيد على الاحتفاظ بسره مع نفسه، غير انه جعل يفكر بماذا كانت تتحدث عنه · · ولماذا تعمدت التظاهر بذلك ، مع انه كان أولى بها ألا تفعل ذلك على الاقل بل على الاهم ان زوجها معها ، ثم لماذا هى تبدى ذلك النوع المايع من الابتسامات «الجوكندية» ·

عاودت راتبا الذكريات وشعر انه يسايرها فى النظرات ، يختلسانها اختلاسا مع تبادل التيارات النفسية الخفية التى تختزنها القلوب التى فى الصدور ·

وانى لألقاها وقد سر طرفها
بطرفى بما يخفى وان لم تكلم
وتبخل على بالسلام وعينها
تشير بها نحوى وان لم تسلم

وهذه «المقابلة» التى لم يعلم بها احد سواهما ، والتى لم يكن يتوقعها راتب أو يريدها جاءت بعد هذه السنين الطويلة التى كانت قد سكنت فيها لواعجه وهدأت عواصفه وكان قد ربط اثناءها على قلبه ليكون من الصابرين الناسين لولا الحنين وصدى السنين ·

والليلة وقد أطلت الذكريات من خلال هذه النظرات بعد طول هذه السنين يتذكر راتب ويذكر ما يعتقده دائما من أن ذكرى الشقاء شقاء وذكرى السعادة شقاء ·· ذلك ان الذكريات انما هى حسرات ·

ومن النفوس ما ليس لها الا ما هو بين يديها، وقد تتقلب مع الجهات «الاربع» دون تمنع أو تقنع بل وفى تحد وتصنع

مع القدرة على النسيان ، هذا النسيان الذى قد يحيى الانسان ولكنه يميت الوجدان ٠

واما السيد راتب فهو من أولئك النفر الميامين النادرين الذين لا تموت العاطفة عندهم أبدا ٠٠ يعيشون بالحب وهو دفين ، لايطرأ عليه تبديل أو تحوير أو تغيير ، مهما زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها ، ومهما طال عليهم القدم أو تعرضوا لشتى المحن ٠٠ « يجيء الزمان ويروح وانت حبيب الاجل » ٠٠ الخ ٠٠

والآن، أليس من الخير للمرء أن يحب ويتعذب ويفقد من ألا يحب أبدا ؟ ثم هل فى طوع المرء أن يحب وألا يحب ؟ هل يستطيع المرء الذى يحب ألا يحب ؟ تلك أسئلة وأمثالها لاتزال قائمة دون أن تكون لها اجابات قاطعة حاسمة ٠

حاول راتب ألا يشغل باله بتلك المقابلة المفاجئة ولكنه سهر الليل فى قلق ، ونفى عنه الكرى طيف ألم ٠ ٠ واستعان على قلقه وأرقه باسطوانة « لحن الحب » الشهيرة لاحد أكابر الموسيقيين الغربيين ، فاذا به لايستسيغ سماعها الليلة وقد كان يرتاح اليها كل ليلة ، وجعل يقول ، ما أجرأ هذا الموسيقار ، انه يريد أن يقحم لحن حبه على حب غيره ألا يدرى أن لكل محب حبا وان لكل حب لحنا ؟

***

وفى الصباح التالى اذا بكليرة هانم تطلبه تليفونيا وتقول له بعد تحية الصباح بأنها حاولت الاتصال به ليلتها فلم توفق ، ثم هى تؤاخذه على عزوفه عن الناس أحيانا كثيرة ، مع انه بطبعه الاصيل رجل اجتماعى يحب الناس وتحبه الناس ٠

ثم تخبره بأنها عرفت كل شيء يخص حادثة السينما وحديثها ٠٠ وانه برىء مما كانت تتهمه به فيشكرها راتب لاهتمامها ، ويسألها زيادة الافصاح ٠٠ فتقول :

كليرة هانم ـ بعد ان تركناك أمس أخذنا مقعدنابمترو مصر الجديدة من أول محطة شارع عماد الدين لقربهـا من سينما ديانا ٠٠ واذا بنا فى مواجهة الجمـاعة اياهم الذين كانوا فى تلك المقصورة ، وتبادلنا التحيات ، ومما جرانى على ذلك اننى وجدت تلك السيدة التى كانت تتحدث عنك ، وجدتها سيدة لطيفة ، كريمة التحية ، طيبة اللقاء ، لها جاذبية وفيها دعة كما لاحظت ميلها الى المعاشرة والاختلاط وكذلك الرغى ٠٠ الذى أميل أنا كذلك اليه ٠

راتب ـ سبحان من وفق وجمع ٠٠ ثم ماذا ؟

كليرة هانم ـ لماذا تتعجلنى هكذا ! ٠ هل فيمـا فعلت شيء لا يرضيـك ؟ ان أعصابك فى هذا الصباح هى بين هادئة وعاصفة ٠٠ على رأى تنبؤات الجو ٠٠ فما بالك طوال اليوم ٠٠ اهدأ يا أخى اسمع ان المسألة بسيطة وان كانت غريبة ، يظهر انه كان لك شبيه يقربك كثيرا فى الشبه والشكل والحركات ٠

راتب ـ ماذا ؟ شبيه !! من هو هـذا الشبيه ! شيء جديد ٠

كليرة هانم ـ نعم ، وماذا فى هذا ، يخلق من الشبه أربعين ، انك عصبى المزاج اليوم ٠٠ المسألة تنحصر فى انهم كانوا يظنون انك اياه لدقة ما بينكما من

الشبه ، ولكن تلك السيدة هى التى كانت تقنعهم بأنك لست هو ·

راتب هكذا ! وهل هى تعرفنى ·

كليرة هانم ـ انك غريب الشأن · هى لم تقل انها تعرفك ، هى تقول انها تعرف ذلك الذى كان يشبهك ، ذلك الشبيه ، والذى تقول انه مات منذ عشرين عاما ·· فهل ارتاحت نفسك الآن ·· كن يا أخى طويل البال ، واسع الصدر ، حسن الظن ·

راتب ـ (متهكما) غريبة ! يظهر انها قوية الذاكرة ·

كليرة هانم ان تقارب التشابه هو الذى أثار الحديث ·· ولكن دعنا من هذا (مداعبة متهكمة) ان الامر أجل وأعظم لقد سألتنى عنك ومن تكون وهل أنت متزوج ·· و ··· و ···

راتب ـ ما شأنها ؟

كليرة هانم حيلك ·· على رسلك · انها أحاديث السيدات ، وقد أخبرتها بكل شىءعنك وعن زواجكوموت زوجتك من زمان بعيد ، وانها كانت شابة جميلة أصيلة ، مهذبة ، ان حبكما كان نادرا ·· حتى انك ترفض سيرة الزواج ·· الزواج ، وترفضه منأجلها رغم المحاولات معك وقد أعجبت بذلك وامتدحتك ·

راتب ـ شكرا ، وبالاخص فيمايتعلق بالزواج والتزوجكما يفعل الكثيرون مرة بعد مرة !· قل كل يعمل على شاكلته ·

كليرة هانم ـ الهدوء ·· الهدوء ·· ألا تحضرتقضى اليوم معنا! أرجوكوعزمى يرجوك ، وأنا آسفة لاثارة موضوع المرحومة زوجتك ، هذا ونسيت ان أذكر لك بأننى سأزورها بناء على الحاحها ·

راتب هكذا بسرعة ! متى ؟

كليرة هانم ـ سنتفق تلفونيا ·· هل فى هذا غرابة ! أقول لك الحق اننى استلطفتها · ثم قل لى ياأخى ، هل بينك وبينها ثار ·· ماهذا ! اسمع نحن فى انتظارك ·

راتب ـ لاثار ولا غيره، ولكن ألا يكفى انها أماتتنى وأنا حى ·

كليرة هانم ـ قلت لك مرارا انها لاتقصدك ·· انها تتحدث عمن كانت تعرفه ·

راتب فليكن · ولكن ألم تسأليها عن ذلك الشبيه !

كليرة هانم ولماذا أسألها ·

راتب ـ فى باب أحاديث السيدات·· على انى أرجوك رجاء خاصا أن تسأليها عنه ، أريد ان أعرف ذاك الشبيه ومن يكون ! «وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم الا اتباع الظن »·

كليرة هانم ـ سأفعل · اطمئن جدا ، اهدأ ، ألا ترى يا أخى انك موضع الاهتمام ومحط الانظار ، اشكر الله ·· انه شىء عظيم ·

راتب ـ لاعظيم ولا شىء ، ان البعد عن مثل هذه الانظار غنيمة على أنى هادىء مطمئن ، مؤمن راض بما قسم الله لى ·

***

ثم يذهب راتب الى تمضية اليوم عند صديقيه عزمى وكليرة هانم وتدور الاحاديث عن الناس وطبائع الناس وأحاديث الناس وليس غير الناس ويعمل عزمى وكليره جهدهما للتخفيف عنه ، أما هو فيتكلم شارحا نفسه

فيتركانه يتحدث وينصتان اليه باهتمام يرضيه ويخفف عنه فيذكر زواجه وضياع زوجته التى كان يحبها حبا لم يحبه لأحد ٠ ٠والتى كان يرجو ويعمل لان تعيش معه ، يقول : كان الحب بيننا نفسيا ، ولكن كان الزواج تعسا ٠

ويتحدث فيقول سبحان الذى يجمع بين الحب والزواج ٠٠ ويقول عنحبه أنه احتفظ به نابضا حيا قويا ، وانه استطاع بعد مجهود كبير شاق أن يفرق بينالحبيب والحب، وأن يميزبين هذاوذاك وان هذا شىء وذاك شىء آخر ٠٠ وانه يعلو بالحب عن الحبيب ، أنه مسؤول كل المسئولية عن الحب ، غير مسئول أقل المسئولية عن الحبيب ٠

***

يقول انه استطاع أن يجعل من حبه بديلا عن شريكة الحياة ٠٠ اذ هو من الموحدين، دنيا ودينا ، جعل حبه وحيده الذى يرعاه وحده ، أعز شىء لديه ٠ ٠ يؤنسه فى وحدته ويخفف عنه فى محنته ؟ بل يدفعه الى الامل فالعمل ٠٠ الى المجتمعات والندوات والقوميات والوطنيات فضلا عن الانتاج الادبى الذى هو غريزته ٠

جعل لحبه روحا وكيانا ، وكاد أن يخلق منه انسانا ٠

ويشرح رأيه يقول ، مزاجان وعقليتان ونشأتان هى العوامل الثلاثة للزواج ٠٠ لابد منالتعادل بينها ، متساندة متماسكة حتى تكون الحياة الزوجية سعيدة ناجحة فاذا اختل التعادل صعب التعامل ٠٠ واذن لكل وجهة هو موليها ٠٠ لا ضرر ولا ضرار ٠

وينتهى راتب الى فكرة تحولت الى عقيدة انطوى عليها قلبه يسير بها فى ركب الحياة وحيدا وان كان وسط المجاميع من البشر ٠

ـ «محبوبه هو حبهوحبه هو محبوبه» وكان الله يحب المحسنين ٠٠

***

أنصت كل من كليرة هانم وزوجها الاستاذ الكبير عزمى ، فى هدوء وانتباه واشفاق مع عطف أصيل لصداقة قديمة عظيمة متينة صافية سامية نامية ٠

ـ كليرةهانم (فى رقة وعطف)،تسمح يا راتب ان أسألك سؤالا أرجو ألا يثير منك ثائرة الاعصاب ٠ «انا نراك من المحسنين» ٠

راتب تفضلى ٠ اسألى ماتشائين اطمئنى انى قادر على نفسى بايمانى وارادتى ٠٠ ولأنى أرى دائما أن البادى أظلم ٠٠٠

كليرة هانم ـلماذا تضايقتهذا الضيق الشديد الذى أخرجك عن هدوئك المعهود ؟

راتب ـ (بعد فترة سكون) أن تلك السيدة هى التى كانت زوجتى ٠٠٠

ما القصة ؟!

بقلم : قصي سالم علوان

وانا أقرأ العدد الخامس من مجلة ((القصة)) الغراء ، عنت لي بعض الملاحظات حول بعض القصص فيها . ومن هذه القصص : ((بكاء)) للأستاذ أمين يوسف غراب .

والقصة تصور رجلا في العقد الرابع ، متزوجا وله أولاد ، يحب امرأة متزوجة ولها أولاد ، و ((البيت الكريم والأصل الطيب والخلق النبيل والقلب الأبي ، كل ذلك يمنع صاحبه من أن يهدم بيده ((عش من يحب)) ولا يمنع الالتقاء بمن يحب وحتى على انفراد !

ويمضي الكاتب الفاضل في وصف حال العاشق لرفيق له في القطار ، فهو رجل ((ممعود)) من كثرة التفكير الذي سبب له مرضا في المعدة ، وهو لا ينام الا في الرابعة صباحا ، بعد تناول الحبوب المنومة ، وهو يبكي بين حين وآخر ، وحتى أمام الناس ، بعد أن يطلب الاذن ! حتى صارت عيناه بلون الدم !

ولا أتصور في عصرنا هذا - ولست واثقا بكل ما روي عن مجنون .. ليلى - رجلا في العقد الرابع ، متزوجا وله أولاد ، يبلغ به الحب هذه الدرجة التي تذكرني بغرام المراهقين . المراهقين ؟! لا أظن أن الغرام يصل بهم الى درجة مرض المعدة وتناول الحبوب المنومة في الرابعة صباحا بعد أكثر من وجبة بكاء تدمي العين .

والشيء الآخر في القصة ان هذا العاشق يروي قصته لرفيقه في القطار ، الذي كان هو الآخر عاشقا ، ولكن بلا مرض ولا حبوب ولا بكاء دام ..

ويمضي كل في حبه حتى تمرض امرأة متزوجة وتنام في المستشفى فيزورها الثاني بعد ان ((فرغ المستشفى من زحام الأهل والمعارف الذين كانوا يلازمونها ليل نهار .. اذ هي حبيبته ، فيجد الأول أمامه ((بجانبها بجوار السرير يقدم لها كوبا من عصير البرتقال وكأنه يقدم لنفسه سعادة الدنيا بأسرها)) فنعرف أن الاثنين يحبان واحدة هي المريضة !

والسؤال ، كيف استطاع الاثنان ان يذهبا لزيارة امرأة متزوجة ذات أولاد في مستشفى بين ((زحام الأهل والمعارف الذين كانوا يلازمونها ليل نهار)) ؟ !

ثم .. نحن نراها تتدارك الموقف وقت مجىء الثانى ــ رفيق القطار ــ اتقدمه للأول على أنه « صديق ماما وبابا وصديق زوجي والعائلة جميعــا » (! !) تبرر ذلك مراعية لشعور هذا الجالس ومفوتة عليه الأمر .. فمن تحب هى ؟ ؟ وماذا عن شعور هذا الذى جاء ؟ ؟

* * *

أما القصة الثانية فهى ((القفص)) للاســتاذ زهيرى البيومى ، وهى الأخرى موضوعها الحب !

فتاة تبلغ الثامنة عشرة ، تتزوج رغم ارادة والديها ، تترك البيت ، وتترك فيه منديلها الذى بقيت فيه آثار دموع عدة شهور ! وتترك فى البيت أيضا عصفورين فى قفص . والوالد يتحمل الأمر متظاهرا باللامبالاة ، فهو « الرجل العسكرى الصلب الارادة ، القوى الشكيمة)) .

وذات يوم ينتبه ــ الوالد ــ الى صوت العصــفورين و ((ينتبه)) ، بعد أن ((يتصور العلاقة التى تنشأ عن وجود هذين العصفورين فى قفص واحد ، اذ يتصور الضوضاء التى يمكن أن تحدث فى البيت اذا ما أنجبا طيورا أخرى وعلى الفور أمر الخادمة بشراء لفة من السلك من احد المحال المجاورة واخــذ يصنع بها حاجزا فى منتصف القفص ووضع كل عصفور فى ناحية)) ثم تأتينا بقية القصــة لتروى لنــا أن احد العصفورين قد مات متأثرا بآلام الفراق .. ! وأن العصفورة الأخرى ، البنت الفارة مع حبيبها ، ((قد أنجبت بنتا وأنها سعيدة فى حيــاتها)) ولكننا نجد الزوج يقول فى برقيته الى الأب الصافح الذى تعلم درســا من العصافير ، يقول الزوج ((عصفورتى ضربت أروع مثل فى ذلك أيضــا)) ! ! فماذا يعنى ذلك ؟ ! أهى ماتت كعصفورة القفص ؟ ولماذا وهى سعيدة مع زوجها القريب ؟؟

وما دام الحديث عن العصــافير والطيور فلنقرأ بداية القصة . انها تبدأ : ((فى ليلة مقمرة من ليالى الصيف بينما كانت الطيور تغرد على غصون الاشجار ..)) أما كيف تغرد الطيور فى الليل ؟ ولماذا ؟ فلا أحد يدرى ..

وختاما تحياتى للاستاذين غراب وبيومي ، وتمنياتى الطيبة ((للقصة)) ،

من الأدب الهندى

السيدة لاجونتى

للكاتب الهندى
ملك راج أناند

ترجمة : خديجه قاسم

فى اليوم الأول من شهر مايو ، فاضت روح لاجوانتى كفيضان اللهب فى قلب السماء ٠٠٠ وبدت الشمس تزفر نسيما ملتهبا خانقا كأنها توقفت عن الحركة ٠٠٠ وكان شقيق زوجها يقف وكأنه يحثها على العمل ، وهو فى الحقيقة يلفت نظرها اليه ٠٠

كان العرق يبل يديها ، وشددت قبضتها على القفص الذى يقبع فيه طائرها « مينا » فى صمت واستسلام لضغط الحرارة وصممت أن تجر نفسها الى قرية جورجاون حيث كانت تأمل أن تلحق « بالأمنوبيس » فى طريقها الى منزل والدها فى باتودى ٠

ـ خذنى يا « مينا » ٠٠ قل شيئا ٠

ورفرف الطير ، ولعله أراد أن ينبىء لاجوانتى بأنه لا يزال حيا ٠

ـ سأعطيك ماء بمجرد أن أصل الى محطة الأمنوبيس » ٠

وأسرعت الى ظل شجرة مانجو وحيدة ، تبعد قليلا عن طريق جورجاون ـ مهرولى ، بينما كانت الحرارة تلسع أقدامها العارية من بين ثقوب الحذاء ٠

وحين وصلت الى الظل نفثت أنفاسا ساخنة ، ومسحت عنقها بطرف غطاء رأسها ، ومسحت وجهها بقماش الدوباتا القذر ، ولعقت طبقها بلسانها ووضعت القفص على الأرض ونظرت فى اتجاه جورجاون ٠

كان ضباب الحر يحيط بكل شىء ، وكانت تستطيع أن ترى ملامح قصر قديم يطلقون عليه القافلة القديمة ، على بعد ميل فوق كتلة خضراء من شجر المانجو ٠

ورفعت القفص بسرعة ٠٠٠ ومضت كان احساسها يؤكد لها بأن جاسوانت سوف يلحق بها كشعور حماتها بأنه سوف يبحث عنها بعجلته حينما يحدث أن تتأخر فى البئر أكثر من ساعتين ٠٠

وهمست لاجوانتى :

ـ تعال الى يا صغيرى « مينا » ٠٠ سنصل حالا ٠٠

كانت المبانى الصغيرة فى قرية جورجاون ، تحرسها الأسوار القصيرة ، والأشجار الضخمة الشاهقة ، وكانت الأوراق الخضراء كأنها سائل بارد يتسرب الى روحها ٠٠ وبدا لها عن بعد محل بيع المشروبات ٠٠٠

قد تستطيع أن تشرب فيه كوبا من السوبيا ، وتقدم لطائرها بعض الماء والغذاء ٠٠٠ ومع ذلك فان المرحلة الأخيرة فى رحلة السير على الأقدام هى أصعب مراحلها ٠٠٠

كانت تجر أقدامها وآثار الحروق فى قدمها لا تحتمل ٠٠٠ وامتلأ عقلهـــا تماما بالخوف من أن جاسوانت سوف يلحق بها ، وكادت تفقد قواها ، ورغم ذلك واصلت السير وكان شيطان الهرب قد تملكها ٠٠٠ وأصابهـــا لحظة من الضعف حين أصبح الطائر لا يتحرك ، وأحست دون أن تنظر أن الطـائر قد يغمى عليه ويموت ٠

وخلال هذا الرعب أحست بالذنب يسد حلقها الجاف كان يمكن أن تتحمل المهـــانة ٠٠٠ ويمكن أن تســـتسلم لجاسوانت ويمكن أن تغمض عينها وهو يعتدى عليها ، وكان زوجها بالوانت فى الكلية ، وحماها لا يعلم ٠٠٠ أما حماتها فكانت تريد أن تصبح جده أكثر من أى شىء آخر ٠٠٠

كانت لا تكترث حتى ولو علمت ٠٠ لأنها كانت تفضل جاســوانت الذى يعمـــل فى الأرض على بالوانت الذى يريد أن يصبح موظفا ٠٠٠

ـ حدثنى « يا مينا » ٠٠٠ لا تتركنى ٠٠٠ اذا ذهبت سأنتهى ٠٠

ولم يتحرك الطائر ، فكاد قلبهـــا أن يسقط ، وغرق جسدها فى العرق ٠

قالت لنفسها :

ـ لعلنى أومن بالخرافات ، ولـكننى سأحتفل فى مفترق الطرق عند هاوس خاس اذا وصلت خلال ساعة الى باتودى وحين ذلك يبدد الله شمل أعدائى ٠٠

ورغم ذلك فقد شاء القدر أن يطيل المسافة بينهـا وبين باتودى ، فأحست وهى تواجه الفراغ أن الأرض كلهـــا تعارضهـــا وأرادت أن تركع لله القوى ليغفر لها كل الذنوب التى اقترفتها ٠٠ قالت فى قرارة نفسها :

ـ أرنى طريق الخلاص ٠

وحينئذ ســـمعت صرخة جاسوانت اللعين ٠٠

ـ قفى أيتها المجنونة والا قتلتك ٠٠

لم تنظر وراءها لأنهـا كانت تعرف حقيقة صوته ٠٠ وبغريزة الفرار ، جرت بعيدا عنه نحو جمع من الرجال كانوا يستريحون الى جوار بائع المشروبات ،

وهز الطائر جناحيه بقوة ، وصرخت كأنها تلمح كارثة ٠٠

قال صوت اللعنة غاضبا :

ـ قفى ٠٠

وســـــقطت لاجوانتى فى بئر من الاضـــطراب ، وضاعت فى غابة من الأحاسيس ٠ كانت عـــذابات الجحيم تنتظرها ٠٠٠ لعلها تستطيع أن تقاوم

وصاح جاسوانت فى صوت أهدأ ٠٠

ـ لا جوانتى ٠٠٠

أصابتها الدهشة ، وأثارت فيهـــا الضعف والأسف ، لأنها لم تستسلم ٠ وجرت بسرعة حوالى عشرين ياردة أمام محل المشروبات ، ومر بها جاسوانت وهو على دراجته ونزل منها ٠٠ وأمال الدراجـــــة على الارض ، واعتـــرض طريقها وابتسم ابتسامة مرعبة بوجهه الثقيل المصاب بالجدرى ٠٠ وانحرفت فى الطريق فسبقته الى منحدر الحفرة ، ثم توجهت الى بائع الحلوى الذى يقع فى نفس هذه الجهة ٠٠

وأفلتت منه ٠٠٠

وسحب دراجته ، وأسرع فى اتجاهها ٠٠٠ وحين وصل الى محل المشروبات ترك الدراجة ، وجرى نحوها ، وسقطت لاجوانتى بين ذراعيه الممدودتين كأنها فريسة مختارة ولكنها حين أدركت قبضة الوحش الساخنة ارتدت وخلصت نفسها من قبضته ٠٠٠ وجرت ٠٠٠

واندهش ، وتعقبها ٠٠٠ ثم أمسكها

من غطاء رأسها قبل أن تستطيع الجلوس على الدكة الخشبية جوار محل المشروبات ..

سألها :

ـ لماذا جريت .. ألا تخجلين .. !! انظروا يا خلق ...

ونظر اليها الفلاحون دون اكتراث ، ودون أن يتقدموا ولكن ثلاثة من الطلبة جاءوا ... وحملقوا ..

قالت لاجوانتى دون أن ترفع نظرها عن جاسوانت ..

ـ دعنى ... أريد أن أذهب الى بيت أبى ..

وخفق الطائر فى قفصه ، وصاح جاسوانت غاضبا ..

ـ لا .. ستعودين الى بيت زوجك

ولوى ذراعها ، وهى تحاول أن تتخلص من قبضته .. وصرخت :

ـ وحش ...

ونهنهت دون أن تذرف الدمع .

ـ دعنى وحدى ... دعنى أعطى بعض الماء للطائر ... واشتدت وحشيته بينما زاد ضعفها ، وصاح فى عنف ..

ـ عاهرة !! امرأة سيئة !! تهربين ماذا يظن أشقاؤنا ... تلحقين بنا العار هكذا ... وانهارت لاجوانتى تحت أقدامه ... وركلها شقيق زوجها وحينئذ قام بائع الحلوى عن مخدته المزينة وقال :

ـ لا تضربها ... حاول اقناعها ..

وبينما كانت المرأة تجلس دون أن تنطق ، تركن انفعاله الغاضب فى ارادته العنيدة الخائبة ، فلطمها على رأسها بيده اليمنى .

واستسلمت لاجوانتى ،وجلست لاتنطق ، وهى تكتم نهنهتها .

وحينئذ تجمع بعض المارة ليستمتعوا بالمشهد ، ولم يتدخل أحد ، وكانت المخاوف تزحف مع الضوء أمام عينى لاجوانتى .

***

توقفت عربة الجيب التى يركبها المهندس دين ديال فجأة على بعد ٢٠ ياردة من محل المشروبات ، فعلا صوت الفرامل واحتكاك العجلات ..

وأمرت شريماتى ديال زوجها .

ـ اذهب حالا ... لقد رأيته يلطم المرأة ... وقال المهندس :

ـ دعينا نرى الأمر قبل أن ننفعل .

والتفت الى بائع المشروبات وقال :

ـ ماذا حدث ... من هؤلاء ؟؟

ـ سيدى ... يبدو أن الفتاة قد هربت من حمويها وتريد أن تذهب الى منزل أبيها ، ولكن شقيق زوجها جاء وأمسكها ...

وقفزت شريماتى ديال من الجيب ، وتقدمت زوجها ...

ـ جبناء ... تنظرون ... وكأنكم فى مهرجان ...

وتفرق الجمهور ، وظهر جاسوانت ممسكا لاجوانتى من غطاء رأسها ، وقد لف ضفيرتها حول يده ..

وقالت شريماتى ديال :

ـ دعها وشأنها ..

وقال جاسوانت :

ـ بالقرب من مهرولى .

ـ على الأقدام أربعة عشر ميلا ... امشت ؟؟؟

وهز جاسوانت رأسه ... والتفتت شريماتى ديال الى زوجها وقالت :

ـ لن أترك الفتاة تموت من ضربة شمس ... ناخذها معنا فى السيارة الى المنزل ..

وقال جاسوانت فى خجل ، ولكن بمواجهة : ـ

ـ لن أسمح بذلك .

وهددته شريماتى ديال قائله :

ـ سابلغ البوليس ... وأسلمك له

وقال المهندس لجاسوانت :

ـ على أى حال تعال معنا نتدبر الأمر وحاول أن تقنعها بالعودة معك ... لا ترغمها على ذلك ...

وقالت شريماتى ديال :

ـ هيا ..

وهى تخلص شعر الفتاة الذى التوى فى قبضة جاسوانت ...

وقال جاسوانت لزوجة شقيقه :

ـ أعطنى الطير لأمسكه .

واكتفت لاجوانتى بأن هزت رأسها نفيا ...

وتقدمت الى ظلال « الفراندا » الباردة للفيلا التى يملكها المهندس ديال ... وانتزعت لاجوانتى الغطاء من رأسها ، وكشفت عن عينيها الرقيقتين المليئتين بالدموع وقالت : ـ

ـ أعطينى يا والدتى بعض الماء من أجل الطائر ..

ونادت شريماتى ديال على الخـــادمة وقالت :

ـ هاتى بعـــض الماء المثلج .. بل عصير ليمون وبعض الماء للطائر ..

أدركت جوركا كل شىء من نظـرة واحدة ، وذهبت الى المطبخ ، وسـألت شريماتى ديال جاسوانت : ـ

ـ لماذا تضرب الفتاة .

فقال جاسوانت :

ـ لقد قلنا لهـا مرارا انه لم يبق على زوجها سوى عام ليتم دراســـته الجامعية ... ولكنها تريد أن تكون معه أو تذهب الى منزل أبيها ...

وصرخت لاجوانتى :

ـ انه كاذب .

قال المهندس ديال :

ـ لابد أنكم عذبتموهـــا كثيرا حتى تقول ذلك ..

وقال جاسوانت :

ـ لقد ... نحســـن معاملتهـــا يا سيدى انها تنحدر من أسرة فقيرة .. ان أبى هو شريف القرية كلها ... أنا لى زوجة أيضا .. ولكنها طيبة .

وصرخت لاجوانتى : ـ

ـ كالجاموس ... وتريد زوجـــات كثيرات ...

وقال جاسوانت :

ـ لا تنبحى ... امرأة لا تخجل .. والا جذبتك ... وهنا وقفت شريماتى ديال بعد تدبر ، ولطمت وجه جاسوانت بشدة ...

ـ ما رأيك فى هذا ... اذا ضربك شخص ..

وذهـــل الرجل ، وفغر فاه دون أن يتكلم ...

ولوت لاجوانتى رأسهـــا بعيدا عن المهندس وهى تقول :

ـ هذا ما كان يجب أن أفعله ، حين حاول الاقتراب منى .

قال المهندس :

ـ من الواضح ان هذه الفتاة ليست سعيدة فى عائلتكم فدعهـــا تذهب الى بيت أبيها حتى ينتهى زوجها من دراسته وحينئذ تستطيع أن تعود اليكم .

وأضافت شريماتى ديال :

هـــذا حق ... لن أترك الطفلة فى قبضتك ... تســـتطيع أن يكون لك زوجـة واحدة لا زوجتان ، وهذا عرف فى ميزان الحياة ، وما يقتضيه صوت الحق .

وأحست لاجوانتى للمرة الأولى خلال هذه المناقشة بالعدالة ·· ولأول مرة بالراحة منذ سنوات ··· ولكنها أحست فى الحال من انتقام جاسوانت من اللطمة التى أصابته ··· ونظرت الى الطائر دون أن تتكلم ···

– لو أن هناك مكانا باردا يا ملاكى فى جهة ما من العالم نستطيع أن نستقر فيه ··

وقال جاسوانت :

– اسألوها لتقرر ··· اذا أرادت أن تعود الى بيت أبيها ، فلن تعود الينا ، أما اذا عادت معى فقد نرسلها الى بيت أبيها بعضا من الوقت ·

وقالت شريماتى ديال :

– قولى ··· ماذا تريدين ··

فأجابت لاجوانتى :

– أريد أن أعود الى بيت أبى ··· ولا أريد أن أضع قدمى فى بيته ···

فقالت شريماتى ديال :

– اليك ··· هذه اجاباتها ··· اذا كنت مهذبا عد الى دارك ، وسوف أصحب الفتاة الى الأمنوبيس الذى يذهب الى باتودى ·

ومالت على زوجها حتى يؤيد قرارها وقال المهندس :

– صحيح ··

ونادت شريماتى ديال على الخادم الذى أحضر عصير الليمون وبعض الماء ، وبعض حبوب الكمون للطائر ··

***

وصلت لاجوانتى وفى يدها الطائر الى بيت أبيها فى الوقت الذى كان الرجل يزمع الخروج بثوره ليغسله من ماء بئر ·· ففتح عينيه ، وفمه وهو يسأل نفسه اذا كان ما يراه هو ابنته أم شبح ··

وحين انحنت لتمسح الغبار من قدمها ، استطاع أن يشم رائحة عرق الصيف الشديد فى ملابسها ، وعرف انها لاجوانتى ولم يجرؤ على النظر فى وجهها لأن ابنته تعود الى بيتها دون أن يحتفل بها ·

كان لطيفا كعادته ، فلم يسأل أية سؤال ، ولكنه نادى على ابنه الصغير الذى كان يعد التبن للثور ··

– هندو ··· أختك الكبرى جاءت ··· أيقظ أختك الصغرى موتى ··

وأحست لاجوانتى بالحزن من أجل أبيها ، فقد حمل شيكنيو هارى ضغط السنين ليعيش على فدان وثور ··· فقد ماتت زوجته ، وتركت له طفلين صغيرين ·· ولا يستطيع أن يستقبلا ابنة متزوجة كبيرة تعود اليه وهى لا تحمل شيئا حتى الغيار ·

وترك هندو الساطورة ، وهو ينظر الى قدمها وكأنه يرى شبح أمه تقف الى جانب الباب ·

لقد كانت لاجوانتى تشبه أمها تماما ، ولكن الأم كانت قد أصبحت ذكرى جميلة ··

وانهمرت الدموع من عينى لاجوانتى من شدة دفء العناق وقالت :

– لا توقظ موتى ··· وانظر الى الطائر المسكين ·· لقد جاء معى طوال الطريق من نيودلهى ···

وتناول الفتى الصغير القفص من شقيقته ، وسرعان ما نسيها وهو يحاول التأثير على لاجوانتى لأخذ الطائر منها ·

_ ساعطيه بعض الحبوب ليأكل ...
وبعض الماء .. قالت لاجونتي ...
وكانت تجلس على حافة الفراندا ...

_ سوف تتكلم معك ... وان كنت أتمنى الا تطيل الحديث معك ... وسيعرف الجيران كل شيء . ولما كانت قد وصلت، فقد أحست بشيء من الرغبة في العودة كانت تعلم أن أى انسان يعلم كل شيء عن الآخر في هذا المكان الصغير لم تكن تأمل أن تهرب من الألسنة التى اندلعت حولها قبل زواجها والتي كانت تقول انها تلعب مع الصبية من سنها ، وانما كانت نادرا ما تغطى رأسها ...

كان الكبار يسمونها لاجونتي المجنونة ، بينما الصغار يسمونها « مينا كورى » على اسم بطلة السينما التى كانت تشبهها . كانت تريد وهى تجلس أن تعرف ما يدور فى قلب أبيها واذا كان يفهم ارادتها الغريبة ، وغريزتها التى تحتها دائما على أن تفعل أشياء شاذه ..

ودفع هندو بكوب من الماء فى قفص الطائر ..

وبدا الطائر فى الحديث وسأل الفتى : _

_ ماذا يقول الطائر ..

وابتسمت لاجونتي وهى تنظر الى السماء ..

***

عاد الأب وربط الثور ، ووضع الماء وما أعده هندو أمام الحيوان ... وأخذ الساطور ليعد بعض التبن .

لم يكن الأب من النوع الذى يعاتب أحدا ، ولم يشعر بالرغبة فى لوم ابنه ، لأنه انفعل بمجيء شقيقته ، وحين اطمأن الى أن الثور قد أحس بالرعاية تقدم فنقع فى الماء حبات العدس لوجبة العشاء ، وتقدم ليشعل النار .

قالت لاجونتي :

_ سنفعل ذلك يا والدى .

فأجاب :

_ لا يهم يا ابنتي ..

وذهب بعناد ... واستدار لابنه قائلا : _

_ اعط شقيقتك حصيرة تجلس عليها .

كان يخفى أحاسيسه وراء وجهه المجعد الهادى ، ورأت الشحوب على شفتيه ، وعلمت انها ليست مرغوبة فيها ، لأن الحصيرة لا تقدم الا للضيوف

كان الظلام يملأ الفناء ... ولاجونتي تستطيع أن ترى الغيوم التى اصطبغت باللون الأحمر وكان العالم يشهد جريمة قتل فحاولت أن توقف أنفاسها وهى تخاف من نفسها ...

وقال هندو :

_ لقد أحضرت لك دلوا من الماء لتستحمى ...

واستيقظت لاجونتي على صوت أخيها ... وزحفت وقبلته ...

وقال الأب :

_ ان الأطفال فى حاجة الى الأم ، وكان لابد ألا أتخلى عنك ، وأن أبقيك هنا ، لو لم يبدأ الناس فى الحديث عنك ...

وسكت لحظة ... ثم قال وهو يهوى على النار .

ـ أنا الآن أبوهم ... وأمهم ... أما عنك فاننى سأعيدك الى بيت حميك ... سأنحنى على أقدامهم سأطلب منهم الصفح ... ان عار ترملك دون أن تصبحى أرملة عار لا يحتمل ، فسوف ينادونك بأوصاف قبيحة هنا .

***

بعد يومين وصل الى والد لاجوانتى خطاب كتبه جاسوانت بالنيابة عن أبيه قال فيه :

« ما دامت لاجوانتى قد هربت دون اذن من زوجها أو من حميها ، فانهم يعيدون الملابس التى أحضرتها فى زفافها .. ولا أحد فى دلهى يريد أن يرى وجهها الأسود » .

كان شيكينو هارى العجوز يحاول أن يجد أحدا ... أو يحاول العثور على أحد يعتنى بثور ابنه ، وابنته حتى يستطيع أن يصحب لاجوانتى الى حميها ، فارسل يستدعى القابلة التى ولدت جميع أبناء ولاية باتودى لأنه لم يكن يعرف أحدا فى القرية الصغيرة يقبل هذه المهمة دون أن يقبض شيئا من المال ، ولحسن الحظ وصلت تشامبا القابلة فى نفس الصباح الذى وصل فيه الخطاب ، وأبدت ترحيبها بالمهمة وقالت :

ـ لقد كنت أتمنى أن أرى لاجوانتى ببطن كبيرة .

وكنت أنتظر أن أستدعى الى سريرها حتى تلد ولدا ... ولكنك الآن يا حبيبتى هنا ... ولا علامات فى عينيك لهذا الحدث السعيد ... اسرعى بالذهاب يا عزيزتى .. على الأقل من أجل خاطر روح أمك العزيزة ... وتعالى هنا وحجرك ملء بالأطفال .

***

قال هارى العجوز لتشولد تيجرام :

ـ انى أضع عمامتى عند قدميك ..

ورفع عمامته فعلا ، ووضعها عند حذاء الرجل .. وقال تشولد تيجرام :

ـ تعال وأجلس معى ..

كان يدخن النرجيلة تحت ظلال الشجرة وابتعدت لاجوانتى قليلا ورأسها مغطى ، وحولت نظراتها عن حميها الى اتجاه الحقول الحارة .

كان قلبها فى فمها ، فقد يظهر جاسوانت فجاة ، وربما تجىء حماتها قبل أن يسامحها حموها ، ولكنها كانت تعلم فى نفس الوقت أنها لن تحصل على مغفرة .. سينتهى الأمر بهزه مترددة من الرأس كأنها تستطيع البقاء ومع ذلك ، جاءت الموافقة متأخرة ، لأن تيجرام ظل صامتا بعد أن دعى هارى للجلوس بجواره ... وكانت نرجيلته تهتز ، وحينئذ أحست لاجوانتى بالعرق يتجمع فوق رأسها وأصابتها دوامة .

ونظرت الى الببغاء فى القفص ، لترى اذا كان لا يزال حيا .. لقد كانت الرحلة أسهل هذه المرة ، لأنهم جاءوا بالأمنوبيس من باتودى الى جورجاون ، ثم انتقلوا من جورجاون الى القرية الصغيرة التى يسكن فيها حموها وتبعد نصف ميل من محطة الأمنوبيس

ـ قل لى يا طائرى ... ماذا سيحدث الآن ... ان قلبى يرتجف كما ترتجف أنت حين تخاف من القط الذى يريد أن يفترسك .. لست أدرى اذا كان جاسوانت سيتركنى ولن يتعبنى بعد ذلك ، ولكن ربما لأن أبى قد أعادنى

... سأترك نفسى للافتراس ... ان العار سيكون كاملا ... آه لو اننى حذرت رجلى الذى كان لا بد أن يعلم .. لقد هزمت تماما ، وحتى الكلمات لا تفيد وفى داخلى رغبة وحياة ... نهر من الأحاسيس يشبه نهر ساراسواتى القديم الذى غاص ماؤه تحت الأرض واختفى من السطح .. كيف يمكن أن أتحكم فى هذه الأحاسيس من هؤلاء السجناء الذين يريدون الانطلاق ..

وفتحت عينها لتتأكد ...

كان ماتراه حقيقيا ، فأغمضت عينيها دون ارادة .. وزفرت تنهيدة ... ثم سحبت غطاء رأسها ... وانطلقت شرارة مثل النجوم من رأسها .

كان اضطراب أعصابها يفرز عرقا غزيرا ... كانت تعلم أن مجموعة النجوم فى السماء ثابتة كآلامها وعذابها

وجاء صوت المرأة التى عادت من البئر بدلو فى يدها اليمنى وآخر فى يدها اليسرى ..

– قد عادت الميتة ..

لقد اضطرت الى أن تتحمل الذهاب ... وتحمل ... وتفعل كل شىء فى غياب لاجوانتى ، ولذلك انطبع صوتها بالمرارة ..

قال هارى العجوز : –

– انها ابنتك .

وقد خيل اليه من فرط سذاجته أن تلك الحماة هى سبب فرار ابنته ، لقد أعادها ...

وتذكر أن القابلة تشامبا قالت :

– ان الفتاة قد ارتكبت بعض الاخطاء وقالت الحماة :

– لاشك ... ما دام بالوانت لايعود من كاليش الا لبضعة أيام ... فى كل مرة أرجو ألا تكون قد استخدمت سحر عينها الرماديتين لشخص آخر ..

لقد قال جاسوانت انه رآها تغمز بعينيها للزوار على قارعة الطريق ..

وقال تشول تيجرام ليؤكد كلام زوجته : –

– اننا قوم محترمون ...

وقال هارى رام بمسكنة :

ماذا أقول ... تمنيت لو أن القدر لم يخلقها بهذا الجمال ، ولكننى حضرت اليوم ... تستطيعون أن تقتلوها اذا نظرت لآخر .. اليك خاتما لابنى بالوانت فلست أستطيع أن أدفع مهرا كثيرا ... والآن سوف أعوض قليلا عما يناله الأولاد ...

وبين استسلامها لمصيرها .. أحست لاجوانتى باندفاعات قوية لتقول الحقيقة ، حتى انها ارتجفت قليلا وكادت تقول لهم الحقيقة المخيفة .. لقد أغضبها أبوها حين أهان نفسه وانحنى أمام عائلة زوجها .. وانتهت الانقباضات من أحشائها ، وأحاط الغضب عقلها بالضباب ، ونادت الحماة على ابنها الأكبر جاسوانت وقالت :

– جاسوانتينا !! الأشباح فى الحقل ...

واستدار ... ثم رفع يده ليرى .. وفهم .. وبدأ فى العودة وارتعشت لاجوانتى فى صمت اللعنة ، وكان شياطين الجحيم قد أطلقت الثعابين والعقارب على جسدها ..

وأحست فى لحظة استسلام للجنون،

كأنها تنام على سرير زوجها البطل ، وقد التفت ذراعاه حولها ... وكانت تعلم الحقيقة أن بالوانت جبان لا يجرؤ على أن يرفع رأسه في وجه شقيقه الأكبر .

قال جاسوانت وهو يمضغ الكلمات في فمه ، ويلقي بالفجل الأحمر على الأرض ، بالقرب من باب المطبخ الخارجي

ـ لقد عادت ..

وقال هاري العجوز

ـ لم تستطع أن تقول لك أنها تريد أن ترى القابلة .. لقد كانت علامات طريفة ..

وأجاب جاسوانت : ـ

ـ ولكن القابلات هنا أيضا ... وهنا أيضا مستشفى سفدار جونج ... لا تخدعك حكاياتها يا عمي .. لقد نظرت الى أكثر من رجل قبل أن تتزوج ... انها فتاة خبيثة .. الطريقة التي أهانتني بها حين ذهبت لأحضرها ، لقد كانت تجلس هنـــاك ، وترد علي !! وسمحت لزوج هذه المرأة بأن يصفعني على وجهي .. عاهرة ..

وقال تشولد تيجرام ليوقف الفتى :

ـ كفى يا ابني .

قال جاسوانت وهو يضرب لاجوانتي على ظهرها : ـ

ـ خذي هذه ... لأنني ضربت ..

. وصرخت الأم :

ـ جاسوانت !!

وارتعشت لاجوانتي ونظرت حولها ، ثم صرخت من الفزع قبـل أن تنتبه ، وصرخ جاسوانت .

ـ انك تستحقين الضرب بالحذاء ..

وأقبل على الفتاة وكأنه نسر شرير ... ينقض على الفريسة بعنف وقسوة وحقد ... ومد ذراعيه وكأنه يريد أن يضربها مرة أخرى ..

وصرخ أبوه .

ـ ابتعد !!

وقال هاري :

ـ دعه يعاقبها ... اذا كان يظن أنها ارتكبت خطأ ... دعها تقع على قدميه ... ان ابنتي طاهرة ..

أحس هاري رام ، بعد أن قال ذلك بلطمات التأنيب لجبنه ... ثم اجتاحته أزمة ســعال حادة ، وامتلأت عيناه بالدموع ..

وقالت لاجوانتي من تحت أنفها :

ـ مينا ... لا أستطيع أن أتحمل كل هذا ..

وقال جاسوانت :

ـ يا خادعة ... أيتها العاهرة الماكرة وأتجه نحو أبيها .

ـ خذها .. لا فائدة لها هنا بعد أن أصـابتنا بالعار أمام عائلتنا وقال تشولدي تيجرام :

ـ يا بني كفاك كلمات غاضبة ... لقد عاقبتها بما فيه الكفاية ..

وقالت الحماة :

ـ دعها تقوم لتعمل ..

وقال هاري رام :

ـ فليبارك الله كلامك العاقل !! .. كنت أعلم أن قلبك رحيم .. وأتركها الآن في رعايتك اقتلوها ان شئتم ولكن لا تتركوها تعود دون أن يكون في يدها طفل ... لن أستطيع الحياة من العار

٠٠ اذا عادت مرة ثانية ٠٠ سألت لاجوانتي طائرها وهى تغسله فى القفص ٠

ـ من الذى سيتكلم معك اذا ذهبت ولم أعد ٠٠٠ كان الطائر يرتجف ليتفادى الحمام ٠٠ وسألت لاجوانتي :

ـ هل تختنق اذا غرقتك فى الماء يا صغيرى ؟؟

وابتعد الطائر كانه يجيب وجلست على حافة البئر بعيدا عن الحياة المضطربة التى تحيط برأسها وعقلها الذى أصبح مشوشا ٠٠ وأحست بانها توقفت عن التفكير فانها لن تفعل ذلك مطلقا ٠

الآن ٠٠٠ أو مستحيل أن يوجد أحد غيرها والطائر ، لقد انتهت نساء القرية من أخذ الماء اللازم للمساء وسوف تظلم القرية بعد برهة ٠٠٠ تكفيها حركة بسيطة من حيث تجلس ٠٠ لكن لا ٠٠٠ يجب ألا تنتظره أكثر ٠٠٠ وبحركة من خلف رأسها وهى حائرة دفعت نفسها داخل البئر ٠

كان اندفاعها بعنف فاصطدم ذراعها الأيسر بالحجر قبل أن تسقط تماما داخل البئر ٠٠

خلال لحظات أحست بألم فى ساقها ٠٠٠ وغمست داخل الماء من وقع السقوط ٠٠ ولكنها أحست بجسدها يرتفع ٠٠ ولسوء حظها كانت تجيد السباحة ، ولم تستطع أن تكتم أنفاسها وظهرت برأسها فوق الماء ، ووجدت نفسها تستخدم ذراعيها لتقوم ٠

ـ لازالت هناك فرصة ٠٠٠

وارتفعت ثم غاصت وهى تمسك أنفسها بأصابعها ثم بقيت دقيقة تحت الماء وحاولت أن تغرق نفسها بأن رفعت يدها من أنفها المسدودة ٠٠٠ وارتفع رأسها فوق سطح الماء ٠٠٠ تبحث عن الهواء ٠٠ وجاء صوت حماتها مرتجفا ٠٠

ـ لاجوانتي ٠٠٠ لاجوانتي ٠٠ اخرجي ٠٠ ليست هذه طريقة الناس المحترمين ٠

لم تكن فى البئر مكان تستطيع أن تضع رأسها فيه ٠

كيف ظهرت العجوز ٠

لو تركت وحدها لغرقت فى المحاولة الثانية أو الثالثة وحتى فى الظلام ٠٠ لن يوجد مهرب ٠٠ ان الحياة فوق الحائط ستكون أسوأ من جهنم ٠٠ أسوأ مما مضت ٠٠وتركت نفسها بسهولة٠٠ وبدأ الماء يملأ فتحات أنفها وفمها ٠٠ وبدأت تغرق ٠٠ وقبل أن تفقد وعيها أحست بنفسها تماما فى الوحل ٠٠ بالقرب من البئر ٠

كان يجلس أحدهم على بطنها ، ويضغط عليه ، وكان الماء يخرج منفمها وأنفها ٠٠ وكان مذاق الهواء القديم فى حلقها ٠٠ مذاق أنفاس الحياة حين كانت تنام وهى تذوب تحت أجفانها الثقيلة٠٠ بدأت مرارة أنفاسها ٠٠ وأخذ النوم يثقل عيونها فى نظرة ثابتة ٠٠ ومع ذلك فقد خرج مزيد من الماء فى أنفها وفمها ٠٠ وبدأت جفونها المثقلة بالنوم تفتح ٠

استطاعت أن ترى الببغاء الى جوارها ٠٠ وقالت بكلمات غير منطوقة خلال الالم فى رأسها وارتجافة فى قلبها :

ـ لا طريق للخروج ٠٠ لقد حكم على بالحياة ٠

أنت صغير

بقلم: محمود الحسيني المرسي

انزوت القرية تئن وتتوجع كالهرة الكسيرة .. يلفها ظلام بهيم .. يشع منها الخوف والرهبة ويخيم عليها سكون عميق تحاول الضفادع أن تبدده بنقيقها الصخاب .. وهى تربض بأطراف الجداول المحيطة بالقرية .. وبين الحين والحين يعلو نباح كلب أو كلبين اذا ما اشتمت قدما غريبة .. فى هذا الظلام .. وفى ذاك السكون .. جلس « عم شحاته » .. الذى بدأ المشيب يخط فى رأسه .. وبدأت التجاعيد تحبو على وجهه .. جلس على المصطبة « أمام الدار .. وقد ارتدى جلبابه الصوفى الوحيد .. ينحسر عند صدره عن شعر غزير .. وطاقيته البنية اللون تكاد تغطي أذنيه .. يتهادى الى سمعه فحيح أشجار الكافور ... وهدير القناة التى تصب ماءها فى قناة أصغر منها .. ونسمات كليلة تهب عليه فتلفح وجهه المكدود .. وتعيده الى ماضيه ... جلس شاردا يراقب الأطفال وهم يلعبون وينشدون أناشيد رمضان .. حاملين فوانيسهم الملونة يملأون القرية صخبا وصياحا .. فرحين مهللين فى انتظار « أبى طبلة » .. ظلوا هكذا تحت الفانوس المعلق فى أول الحارة تعبث به النسمات ويرسل شعاعه الواهن الضئيل المتراقص خلال زجاجه المهشم يحاول تبديد الظلام دون جدوى .. فينعكس ضوؤه المتناثر على جلاليب الاطفال فيبدون كالأشباح المتحركة فينهمك معهم بفكره وذهنه .. ويستعيد حياته .. فى مثل هذه الليالى .. ليالى رمضان منذ حوالى خمسين عاما مضت .. كان مثلهم يلعب كما يلعبون .. يجوب معهم حارات القرية ينشد كما ينشدون .. كان فانوسه أكبر فانوس فى « الشلة » .. بل كان هو زعيم «الشلة» ينشد وهم يرددون خلفه .. وكان هو الآمر الناهى .. لا يرد أمره .. ولا يخالف رأيه .. اذا جلس جلسوا .. واذا مشى مشوا خلفه .. حتى اذا جاء « عم عبده » المسحراتى تزايد صخبهم وعلا صوتهم .. فرحين بلقائه .. وساروا خلفه يرددون الدعاء التقليدى « بعوده وأنتم طيبين ... أحياكم الله الى كل عام » .. وتنبه عم شحاته « من ذكرياته على صوته الذى خرج عن وقاره ...وهو يردد فى سخرية .. « احياكم الله الى كل عام » ثم تنفس بحقد دفين على تلك الايام التى لا تستقر على حال .. كساقية لا تكف عن الدوران .. ثم شرع بنظره يرنو نحو الأطفال الذين علا صخبهم وتزايد لفظهم

لاقتراب ميعاد « أبى طبلة » والى ابنه « صلاح » الذى برز صـوته عن باقى « الشلة » وهم يرددون « رمضـان تحت التل بيزرع خل محدش شافه » ‥ « رمضان تحت الكوم بيزرع توم محدش شـافه » ‥ » ثم ما لبث عم شحاته « أن جذبته الذكريات ‥ الى حيث كان يلعب كما يلعبون ‥ وينشد كما ينشدون ‥ الى عهد الطفولة الذى ولى مأسوفا عليه ‥ كان يسير خلف أبى طبلة الذى يقف أمام كل دار ‥ ويصيح باسم عائل الاسرة ‥ حتى اذا وصل الى دارهم صـاح « عم عبده » المسحراتى بأعلى صـوته « عم ابراهيم يوحد الله » ‥ فكان شحاته يلح عليه أن يذكر اسمه هو أيضا ‥ ولم لا ؟ أليس هو زعيم « الشلة » ‥‥ انه أكبر أفراد « الشـلة » جميعا ‥ انه ليس صغيرا ‥ ولكن « عم عبده » كان فى كل مرة ينهره قائلا « انت لسه صغير يا شحاته ‥ السنة الجاية وعليك خير » ‥ فكان بذلك يثير سخرية الاطفال فيتمنى عندئذ لو كان رجلا حقا ليصفعه على وجهه ‥‥

وظل الحال هكذا ‥ يوما بعد يوم يلح على عم عبده أن يذكر اسـمه ‥ وعم عبده مصر على الرفض بحجة أنه ما زال صـغيرا ‥ وبعد أن يأخذ « أبو طبلة » سـبيله لباقى بيوتات القرية ‥ يدخل شحاته « البيت منكس الرأس ‥ محطم الفـؤاد ‥ تتزايد ضربات قلبه ‥ وكأنها تقول ‥ أنت صغير ‥ أنت صغير ‥ انت صـغير وكان شحاته يشكو أباه ذلك ‥ ولكن أباه يقول له أيضا ‥ « انت لسـه صغير يا شـحاته » ‥ فيزداد غيظا وحنقا ‥ ويقسـم يمينا بالله أنه لن يتناول سحورا الليلة ‥

ومرت الايام تلو الأيـام ‥ وهـو يعيش على أمل يخفق بين جوانحه ‥ أمل صبيانى أنه يريد أن يشعر بلذة النصر أمام أقرانه وعم عبده يصـيح بأعلى صوته ‥

ـ عم شحاته يوحد الله ‥

وانقضى العام ‥ وأتى العام التالى ‥ « وأبو طبلة » مصر على أنه مازال صغيرا ‥ فكان شحاته لا يتمالك نفسه وهو يصرخ فى وجهه بأنه أكبر منـه ‥ فيقطب « عم عبـده » حاجبيه ‥ ويصيح فى وجهه غاضبا ‥

ـ اشمعنى انت اللى عامل شـملول قوى ‥ يعنى فالح يا أخى ‥ معدش كمان اللى الصغار » ويهوى على الطبلة بعدة طرقات ثم يمضى سبيله بين البيوت المتناثرة فى انحـاء القرية ‥ يوقظ الفلاحين ‥‥ وكان فى بعض الاحيان يذهب شحاته « الى أمه ويناشدهـا الحقيقة ‥ أهو صغير حقا ؟ ولكن الام كانت تبتسم له فى سذاجة وهى تقول

ـ لا يا ابنى انت ما شاء الله راجل ‥

فيعجب شحاته من أبى طبلة المجنون ومن أبيه ‥‥ ومن أصحابه الصغار ‥

ثم استطرد شحاته متأملا ‥

وفى احدى الليالى ‥‥ بعد مضى حوالى سنتين انبعث فى جوف القرية صوت مكتوم معلنا نبأ موت الشـيخ ابراهيم « ‥‥ والده ‥ وكان ذلك قبل رمضـــان بحوالى شهرين وجاء رمضان يسـابق الايام ‥‥ واجتمع

الأطفال فى أول ليلة من لياليه ··· فرحين مهللين · فى انتظار أبى طبلة ·· وشحاته معهم فرحا مهللا ·· فلقد تناسى موت أبيه ·· بل كان يحمل فانوسه الملون ويتزعمهم كالعادة ·· وجاء أبو طبلة ·· تدوى طرقاته من بعيد وتقول فى عناد واصرار ·· أنت صغير ·· أنت صغير ·· انت صغير ·· ومشى خلفه الاطفال يرددون الدعاء التقليدى « بعوده وأنتم طيبين · أحياكم الله الى كل عام » ·· أما شحاته فقد تجهم وجهه ··· وتقلصت عضلاته ·· وتطاحنت دقات قلبه ·· ثم يطلب من الله فى نفسه أن يكون رجلا فى هذه المرة ··

ووصل « أبو طبله » الدار ·· وقف مشدوها مبهوتا ·· فلقد سمع لاول مرة فى حياته اسمه يدوى فى ردهة أذنيه حتى ليكاد يصمها ··

ـ عم شحاته يوحد الله ···

دهش الأطفال ·· ولم يصدقوا آذانهم ·· وراحوا يتهامسون ·· عم شحاته ؟ كيف ذلك ؟ ·· لقد كان فى السنة الماضية صغيرا ·· أصبح عم شحاته مرة واحدة ··· وكانت هذه الليلة أسعد ليلة فى حياة شحاته ·· وفى تلك اللحظة ·· دوت طرقات أبى طبلة ·· وقد ازداد صياح الاطفال وهم يهرعون اليه فرحين بلقائه ··

وانتشلت طرقات الطبلة ·· « عم شحاته » ·· من ذكرياته فتنهد بهم دفين ·· وتململ فى مكانه جزعا ·· انه نفس عم عبده المسحراتى ·· ونفس صوته الأجش ونفس الطبلة ·· ونفس الطرقات الكريهة التى ما زالت تقول فى عناد واصرار ·· انت صغير ·· انت صغير ·· انت صغير ·· وانتفض ·· عم شحاته ·· يتأهب للدخول وهو يمصمص بشفتيه بعد أن سمع « عم عبده » المسحراتى يرفع عقيرته صائحا ···

ـ عم شحاته يوحد الله ···

ثم أعقبها بعدة طرقات ·· وكانها على أم رأسه ·· ثم مضى سبيله ·· وخلفه الاطفال يرددون ·· « بعوده وأنتم طيبين ··· أحياكم الله الى كل عام » وتخلف عنهم ابنه « صلاح » ودلف الى البيت خلف أبيه ··· لتناول السحور ··· حاملا فانوسه الملون الكبير ·· يطيح به فى الهواء ··

وحول الطبلة « اجتمعت الأسرة تتناول السحور ·· وفى غمرة انهماكهم فى تناول الطعام ··· صاح صلاح ··

ـ اللى قوللى يا با ·· هوه عم عبده مبيندیش على اسمى ليه ؟ ·

ولكن الأب ظلا صامتا ···

الزبون

بقلم : صوفي عبد الله

كانت عيناه الباهتتان معلقتين بيد الطبيب وهو يكتب تذكرة الدواء ، بينما كل أنملة فيه ترتجف تحت وقع الحمى التى تاكل جسمه حتى احالته الى هيكل عظمى •

ماذا قال له الطبيب ؟

كيف تهمل صحتك يارجل هذه الشهور الستة تنهش فيك الحمى دون أن تعرض نفسك على طبيب ؟

عجبا ! الم يعرض نفسه على طبيب ؟

الم يقل أهل حيه ان « الدكتور على » أفضل من أى طبيب لقد عالجه بكل ذمة ولكن مرضه كان ميئوسا منه •• كل الذين عالجهم من أبناء جيرته نالوا الشفاء على يديه، لم يحدث أن أخطأ الباشتمرجى على فى علاج أحد ، محمد ابن بائعة الفجل •• واحسان بنت الحاج احمد ماتا من الاسراف فى الطعام قبل أن يتماثلا للشفاء تماما ،وليس هذا ذنب الباشتمرجى على ، أن أمعاءهما كانت ضعيفة ـ كما قال ـ من أثر المرض مما تسبب عنه موتها •

ولكن ألا يحدث أن يعالج أمهر الاطباء انسانا ثم يموت ؟ هذه ترهات، والاعمار بيد الله ، ثم ان طبيبنا على قدر الحال •• بعشرة قروش يكشف ، باقل يكشف ، والا ماذا كان فى مقدور «الغلابة» مثلنا أن يفعلوا ؟

وراحت عيناه الحابيتان تحاولان اللحاق باصابع الطبيب •

كم صنفا من الدواء كتب ؟ لقد امتلأ وجه التذكرة وهاهو يقلبها على الوجه الآخر ! الله وحده يعلم كيف جمع الجنيهين قيمة الكشف ••• ليته كان يعلم لكان اقتطع من الخمسة جنيهات التى اقترضها من المعلم قرنى هذين الجنيهين بدلا من أن يدفع احدهما «للزناتى» لعمل حجاب له وبالآخر يشترى طلبات الجان التى أوصوا بها الزناتى • •منذ ذلك اليوم لم تتقدم صحته •

كان يظن أن أجر الطبيب جنيه •• لم يصدق سمعه حينما طلب منه التمورجى جنيهين، ولكنه دفعهما صاغرا وماذا كان بوسعه أن يفعل ؟ هل يمشى ويتركه ! وحتى اذا أراد أن يمشى لن تسعفه قدماه •• فهو لا يقوى على مجرد

الوقوف ·· محمد خميسى الله يستره·· احضره فى سيارة التاكسى التى يعمل عليها وتركه على أن يمر عليه بعد ساعة ليعيده الى البيت، ثم انه يريد أن يعرف مابه ·· يريد أن يتأكد من العلة التى تنهش عظامه ·· انه يحس بالموت يدنو منه يوما بعد يوم ·· من يربى أطفاله الستة وامهم لا تحسن عملا ؟ ·· من يعولهم ؟ ابراهيم أكبرهم لم يبلغ التاسعة بعد ·· بينما مصطفى لم يزل وضيعا ·

مصطفى هذا أس البلاء ، منذ ولادته ركبتـه الامراض لايفيق من بلوى حتى تعقبها أخرى ·· كل شىء كان يهون فى نظره الى أن أقعده هذا المرض اللعين ، وهد كيانه واسلمه للفراش ! لكم قاوم ولكنه تغلب عليه أخيرا ، ولو انه من أول الامر ذهب الى أحد الاطباء المشهورين ، ربما لم يكن الداء قد استفحل معه على هذه الصورة ·

ماذا قال له الطبيب ·

ان العلاج الذى كنت تستعمله علاج الانفلونزا ، بينما أنت مصاب بالملاريا من الذى شخص لك هـذا التشخيص الخطأ ؟

أيستطيع ان يقول له ان الباشتمرجى على هو الذى كان يعالجه ، وعالجه أيضا على أساس ان مابه ضربة شمس ، ثم قلبت بانفلونزا حادة ؟·

الله يسامحك يادكتور على ·· خربت بيتى ·

فى الصباح حينما حضر محمد خميسى ليصحبه الى الطبيب قالت له زوجته :

ـ ليس فى البيت مليم واحد ، ولا كسرة خبز ، وعم متبولى البقال رفض أمس أن يعطينى جبنا وحلاوة على الحساب قال بصوته الجهورى حينما استعطفته أن ينتظر لاول الشهر « لاياست ام ابراهيم «بطلنا نشكك» عوضنا على الله فيما فات

ثم عقبت :

ـ كان الاولاد سينامون بدون عشاء ، على لحم بطونهم لولا ـ الله يسترها ـ أم محمد جارتنا أرسلت لهم طبق بليلة حينما سمعت بكاءهم ·

وماذا فى وسعهأن يفعل؟ هل سيقطع نفسه ! انه لايستطيع العمل ·· حتى القروش التىكان يأخذها من عمله المنهك كان يحمد الله عليها مع الصحة ·· ولكن راحت الصحة وراحت معها النقود ! ·· ترى ماذا حدث للطلب الذى قدمه للعمل فى السد العالى ؟ هل سيكتب له القبول أم سيرمى فى سلة المهملات كما حدث لطلبات كثيرة أخرى قدمها لهيئات ومؤسسات عديدة فلا يجد لها صدى لسبب لا يدريه ·· لن ينتشله من أزمته الا أن يفتح الله عليه بقبول طلبه هذه المرة ·

لديه احساس أن شفاءه سيأتى على يدى هذا الطبيب ·· صحيح ان كشفه «حراق» ولكن لاباس بجملة ما أنفق ما دام سيعيد اليه صحته ·

ياسلام ·· لايوجد فى الدنيا أثمن من الصحة ·· حينما كان بصحته لم يكن يغلبه شىء ·· كان يعمل طوال النهار

لا يحس كللا، كان يأكل الفول والبصل وقديد الخبز ·· كانت معدته تهضم الزلط ·· لم يرقد يوما فى فراشه ·· كان يضحك من الشبان الذين يمرضون



كان يرقد فى العراء ، لابردا يحس ولا شمسا يتحاشى .. ماذا أصابه ؟

الله يسامحك يادكتور على .. خربت بيتى .

لو لم يسمع كلامه .. لو لم يذهب اليه برجليه .. كان صداعا بسيطا الذى أحسه . .محمد خميسى هو الذى دفعه دفعا الى الذهاب .

ـ تعال ياشيخ ، ده الباشتمرجى على أفضل من الف طبيب لم يخب علاجه مرة .. تعال ولو من باب الاستئناس برأيه اذا لم يعجبك كلامه لاتستعمل علاجه .. والمسألة كلها لن تكلفك أكثر من عشرة قروش كشف ، افرض أنك اشتريت بهم حلوى لمصطفى .. ودواؤه من أرخص ما يكون .

الله يسامحك ياباشتمرجى على . خربت بيتى .

خرجت من عنده لاأدرى برأسى من رجلى .

ـ ضربة شمس قوية يارجل اذا لم تعالجها ستقلب بحمى .. لا تستهن بضربة الشمس فهى أخطر من الامراض المستعصية للذين يهملونها .. اشتر هذه الاقراص والحقن ولا تترك فراشك حتى الصباح .. لاينزل شىء معدتك .. سأعطيك الآن حقنة ، وفى الصباح باذن الله سأمر عليك قبل ذهابى الى العيادة ، واعطيك الحقنة الثانية وأقرر ان كانت حالتك تسمح بذهابك لعملك .. ولو انى أفضل ان تستريح فى البيت يومين على الاقل حتى تشفى تماما .

ـ الله يسامحك يادكتور على.. خربت بيتى .

خرجت من عنده لأرى الطريق أمامى .. أحسست أن أمراض العـــالم قد لبستنى .. لم أشعر فى حياتى بمـــا

شعرت به هذه الليلة ، قشعريرة وبرودة يهتز لها جسمى ويهتز معه السرير «كالمريوح» ولا ينفع معها البطانية واللحاف ولا أم ابراهيم وهى تجلس فوقهما لتمنع جسمى من الارتجاف كان عفريتا قد لبسه . ثم سخونة فظيعة أحس معها نارا تصعد من جسمى ورأسى ولا أطيق حتى ملمس هدومى ، فادفع أم ابراهيم والاغطية معها واحاول ان أتخفف من ملابسى واصرخ أن تغيثنى بماء مثلج .. الا أن القشعريرة تدهمنى مرة ثانية فاصرخ أن تسرع بتغطيتى . . وهكذا حتى طلع النهار وانا غير مصدق اننى على قيد الحياة .

الله يسامحك يادكتور على .. خربت بيتى .

ظل يعالجنى وكل يوم أصبح فى حال .. لم تنصلح صحتى منذ أن وطئت قدماى أرض بيته .. ستة أشهر زرت خلالها الشيخ مرزوق والشيخة هلالية والشيخ أحمد أبو كيفه والاولياء والاضرحة .. لم تسمع ام ابراهيم على أحد الا واخذتنى اليه واستنزفت كل مامعى .. ومددت يدى للقريب والصديق أنا الذى كان أهون على أن أدفن قبل ان امد يدى لانسان .. ماذا أفعل ؟.. المرض مر والحاجة أمر منه .

وأخيرا أتانى محمد خميسى أيضا يعرض على أن يأخذنى الى هذا الطبيب.. سد أذنه عن توسلاتى أن يتركنى لأموت وكفى ما تركته لأولادى من الديون والله أعلم ماذا سيحدث لهم بعدى .. ولكنه استطاع ان يؤثر على أخيرا .

عل الله أجد البركة والشفاء على يدى هذا الطبيب ، يظهر عليه أنه ابن حلال « شاطر » . . هل سيكتب لى أن أشفى وأعمل فى السد وأسدد ديونى ؟ .

هاهى تذكرة الدواء ، يجب أن تواظب على كل دواء فى موعده ، اياك أن تهمل اذا كنت تريد أن تسترد صحتك وعافيتك .

ورفع عينيه الكليلتين الى الطبيب ، وقال بصوت واهن على قدر ما أسعفته حنجرته :

ـ الله يخليك ويعمر بيتك ، ولا يحرمك من صحتك أبدا .

ودون أن ينظر اليه الطبيب قال وهو يضغط على الجرس :

ـ اياك أن تهمل .. الامراض منتشرة هذه الايام ، أوبئة يحصد الناس حصدا .

ومد يده يتناول التذكرة من يد الطبيب ولاول مرة ينظر فى عينيه فاذا وميض السرور يلمع فى انسانيهما .

ـ أوبئة ؟ .. ياستار يارب .

فأجابه الطبيب وهو يتطلع الى عينيه بعينين لامعتين من غير أن يراه ، ويده على الجرس ايذانا للممرض أن يدخل « الزبون » التالى .

ـ أشكال وألوان .

وتوقف الطبيب لحظة .. لحظة صغيرة جدا ، ثم استطرد بحرارة كأنه يحدث نفسه :

ـ الحمد لله !

من أقاصيص الأولين

اختيار وتقديم
سامية زكي

هذه نماذج من اقاصيص الأولين تكشف عن قيم عربية اسلامية لانزال في حاجة اليها .

ان الشخصية العربية واضحة تماما في هذه الاقاصيص وان العدالة المطلقة والتضامن الاجتماعي ، والحرص الشديد على قول الحق مهما يكن شان القول في حقه ، والتمسك بالقيم الروحية الخالدة في شان العلاقات بين الناس — ان ذلك كله واضح تماما في هذه الاقاصيص .

واني لارجو ان يجد فيها القارىء شيئا آخر غير ما تقدم هو الاسلوب العربي ، المشرق ، الجميل .

انها نماذج في الاساليب التي كان ينهج نهجها الاقدمون من أبناء الأمة العربية .

انه النثر المرسل ، الأقوى الأسر ، الجزل اللفظ ، الذي يكتب فيه الانسان وكانه يتحدث ، أو يتحدث فيه الانسان وكأنه يملي .

الأقصوصة الاولى

رفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه ، كثير الخيل والجند ، يخشى على المملكة منه .

وكان الرشيد يومئذ بالكوفة .

قال منارة خادم الرشيد : فاستدعاني الرشيد وقال : اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام ، وائتني بفلان الأموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله له الا اذا امتنع عليك ، فاذا أجاب فقيده ، وعادله ، بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به ، واذكر لي حاله وماله . وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ، ولاقامتك يوما — افهمت ؟

قلت : نعم .

قال : فسر على بركة الله .

فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا ، لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق .

ولما فتح الباب دخلت قاصدا دار الاموي ، فاذا هي دار عظيمة هائلة ، ونعمة طائلة ، وخدم وحشم ، وهيبة ظاهرة ، وكرامة وافرة ، ومصاطب

متسعة ، وغلمان فيها جلوس ·

هجمت على الدار بغير اذن ، فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم : ان هذا رسول أمير المؤمنين ·

ولما صرت في وسط الدار ، رأيت أقواما محتشمين ، فظننت أن المطلوب فيهم وسألت عنه ·

فقيل لى : هو فى الحمام ·

اكرمونى ، واجلسونى ، وامروا بمن معي ومن صحبنى الى مكان آخر ·

أخذت أنقد الدار وأتأمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول ، وشبان ، وحفدة ، وغلمان · فسلم على ، وسألنى عن أمير المؤمنين ·

أخبرته أنه بعافية ، فحمد الله تعالى · ثم أحضرت له أطباق الفاكهة ، فقال : تقدم يامنارة كل معنا ·

عجبت كثيرا اذ لم يكنني وقلت : ما آكل ·

فلم يعاودنى ـ ورأيت مالم أره الافى دار الخلافة ·

ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ، ولا أعطر رائحة ، ولا أكثر آنية منه ، فقال : تقدم يامنارة فكل ·

قلت : ليست لى به حاجة ·

فلم يعاودنى ·

نظرت الى أصحابى فلم أجد أحدا منهم عندى ، وحرت لكثرة حفدته وقلة من عندى ·

ولما غسل يديه ، أحضروا له البخور فتبخر ، ثم قام فصلى الظهر ، فاتم الركوع والسجود ، وأكثر من الركوع بعدها · فلما فرغ استقبلنى ·

وقال : ما أقدمك يا منارة ؟ ·

فناولته كتاب أمير المؤمنين ·

فقبله ، ووضعه على رأسه ، ثم فضه وقرأه ·

ولما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه ، وخواص أصحابه وغلمانه ، وسائر عياله ، فضاقت الدار بهم على سعتها ·

طار عقلى ، وما شككت فى أنه يريد القبض على ·

قال : الطلاق يلزمه ، والحج ،والعتق والصدقة ، وسائر ايمان البيعة ـ لا يجتمع منكم اثنان فى مكان واحدحتى ينكشف أمره · ثم أوصاهم على الحريم، ثم استقبلنى ، وقدم رجليه ، وقال :

هات يامنارة قيودك ·

دعوت الحداد فقيده ، وحمل حتى وضع فى المحمل ، وركبت معه فى المحمل وسرنا ·

فلما صرنا فى ظاهر دمشق ابتدأ يحدثنى بانبساط ، ويقول :

هذه الضيعة لى تغل فى كل سنة بكذا وكذا · وهذا البستان لى وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لى منها كل سنة كذا وكذا ....

فقلت : يا هذا ، ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أنفذنى خلفك وهو بالكوفة ينتظرك ، وأنت ذاهب اليه ما تدرى ماتقدم عليه ؟ ـ وقد أخرجتك من منزلك ، ومن بين أهلك ونعمتك ،



وحيدا ، فريدا ، وأنت تحدثنى حديثا غير مفيد ولا نافع لك ، ولا سألتك عنه، وكان شغلك بنفسك أولى بك ٠

فقال : انا لله وانا اليه راجعون ٠ لقد أخطأت فراستى فيك يا منارة ، وماظننت أنك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوفور عقلك ، فاذا أنت جاهل لا تصلح لمخاطبة الخلفاء ٠

أما خروجى على ما ذكرت فانى على ثقة من ربى الذى بيده ناصيتى وناصية أمير المؤمنين الذى لايضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى ، فان كان قد قضى على بأمر فلا حيلة لى بدفعه ، ولا قدرة لى على منعه ، وان لم يكن قد قدر الله على بشىء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضرونى لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى ومالى ذنب فاخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان ، وأمير المؤمنين كامل العقل ،

فاذا اطلع على براءتى فهو لا يستحق مضرتى .

يامنارة . على عهد الله لا كلمتك بعدها الا جوابا .

ثم أعرض عنى وأقبل على التلاوة .

وما زلنا كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر — واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف أخبارنا .

ولما دخلت على الرشيد قبلت الارض بين يديه . فقال :

هات يا منارة ، أخبرنى من يوم خروجك عنى الى يوم قدومك على .

ابتدأت أحدثه بأمورى كلها مفصلة، والغضب يظهر فى وجهه ، فلما انتهيت الى جمعه لأولاده وغلمانه وخواصه ، وضيق الدار بهم ، وتفقدى لاصحابى فلم أجد منهم احدا اسود وجهه ، فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه ، فلما قلت : انه قدم راحلته أسفر وجهه واستبشر ، فلما أخبرته بحديثى معه فى ضياعه وبساتينه ، وما قلت له ، وما قال لى .

قال : هذا رجل محسود على نعمته، مكذوب عليه ، وقد أزعجناه وأرعبناه ، وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله . احرج اليه وانزع قيوده ، وفكه وأدخله على مكرما . ففعلت .

ولما دخل قبل الارض . فرحب به أمير المؤمنين ، وأجلسه ، واعتذر اليه . فتكلم بكلام فصيح .

فقال له أمير المؤمنين: سل حوائجك.

فقال : سرعة رجوعى الى بلدى ، وجمع شملى بأهلى وولدى .

قال : هذا كائن ، فسل غيره .

قال : عدل أمير المؤمنين فى عماله ما أحوجنى الى سؤال .

فخلع عليه أمير المؤمنين ، ثم قال :

— يا منارة ، اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذى أخذته منه .

قم فى حفظ الله ورعايته ، ولا تقطع اخبارك عنا ، وحوائجك الينا .

***

الأقصوصة الثانية

لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب اليه أمانا واشهد شهودا — قال عبد الملك لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه اذا ضاق به الأمر :

— ما رأيك فى الذى كان منى ؟

قال : أمر قد فات دركه .

قال : لتقولن ..

قال : حزم لو قتلته وحييت .

قال : أولست بحى ؟

قال : ليس بحى من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد .

قال عبد الملك : كلام لو سبق سماعه فعلى لأمسكت .

***

الأقصوصة الثالثة

كان معاوية يداول بين سعيد بن العاص وبين مروان بن الحكم فى ولاية المدينة ، فكان مروان يقارضه .

ودخل سعيد ذات يوم على معاوية فقال له : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ يعنى مروان .

قال : تركته منفذا لأمرك ، مصلحا لعملك .

قال معاوية : انه كصاحب الخبزة كفى انضاجها فاكلها .

قال سعيد : كلا يا أمير المؤمنين ، انه من قوم لا يأكلون الا ما حصدوا ، ولا يحصدون الا ما زرعوا ٠

قال معاوية : فما الذى باعد بينك وبينه ؟

قال سعيد : خفته على شرفى ، وخافنى على مثله ٠

قال معاوية : فأى شيء كان له عندك؟

قال سعيد : أسوأه حاضرا ، وأسره غائبا ٠

قال معاوية : يا أبا عثمان : تركتنا فى هذه الحروب ٠

قال سعيد : حملت الثقل ، وكفيت الحزم ٠

قال معاوية : فما أبطأ بك ؟

قال سعيد : غناك عنى أبطأنى عنك، وكنت قريبا ، لو دعوت لأجبناك ، ولو أمرت لأطعناك ٠

قال معاوية : ذلك ظننا بك ٠

ثم أقبل معاوية على أهل الشام فقال: يا أهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامهم

ثم قال لسعيد : أخبرنى عن مالك ، فقد نبئت أنك تتحرى فيه ٠

قال سعيد : يا أمير المؤمنين ، لنا مال يخرج لنا منه فضل ، فاذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته ، وان كان كثيرا فكذلك ، غير أنا لا ندخر منه شيئا عن معسر ، ولا طالب ولا مستحل ، ولا نستأثر منه بفلذة لحم ، ولا مزعة شحم ٠

قال معاوية : فكم يدوم لك هذا ؟

قال سعيد : من السنة نصفها ٠

قال معاوية : فما تصنع فى باقيها ؟

قال سعيد : نجد من يسلفنا ، ويسارع الى معاملتنا ٠

قال معاوية : ما أحد أحوج الى أن يصلح من شأنه منك ٠

قال سعيد : ان شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زدت فى مالى مثله ماكنت الا بمثل هذه الحال ٠

فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم وقال : اشتر بها ضيعة تعينك على مروءتك ٠

فقال سعيد : بل أشترى بها حمدا وذكرا باقيا ٠ أطعم بها الجائع ، وأزوج بها الأيم ، وأفك بها العانى ، وأواسى بها الصديق ، وأصلح بها الجار ٠

فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم ٠

فقال معاوية : ما فضيلة بعد الايمان بالله هى أرفع فى الذكرى ، ولا أنبه فى الشرف من الجود ٠٠ وحسبك أن الله سبحانه وتعالى جعل الجود أحد صفاته٠

***

الأقصوصة الرابعة

دخل الزهرى على الوليد بن عبدالملك فقال له الوليد :

قال : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟

قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

قال : يحدثوننا أن الله اذا استرعى عبدا من رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات ٠

قال : باطل يا أمير المؤمنين ــ أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبى ؟

قال : بل نبى خليفة ٠

قال : فان الله تعالى يقول لنبيه داوود عليه السلام : ؛

يا داوود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ٠

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبى خليفة فما ظنك بخليفة غير نبى ؟

قال : ان الناس ليغووننا عن ديننا٠

من الأدب الأمريكي

النيابة ضد ايب ناثان الملون

تأليف: ارسكين كولدويل

ترجمة: بديع عزيز حنا

كان العم ايب يدرى القمح فى المعلف عندما نزل اليه لوثر بوليك من البيت الكبير الأبيض على التل وأخبره أن يحزم امتعة منزله ويترك المزرعة . وكانت آذان العم ايب قد أصابها بعض الصمم فلم يسمع فى البداية ما قاله لوثر .

وقال العم ايب « آذانى عادت تزعجنى مرة أخرى . الواقع أنى لا أحسن السمع الآن كما كان عهدى فى الماضى .

ونظر لوثر الى الزنجى الذى كان قد انتصب واقفا قرب باب المعلف لكى يسمع أكثر وضوحا وقال بتجهم « قلت اننى أريد أنت وعائلتك آن تحزموا أثاثكم وأمتعتكم وكل ماتملكونه وترحلوا من هنا » .

مد العم ايب يده الى باب المعلف لكى يسند نفسه .

وقال « نرحل ؟ » ثم نظر فى وجه صاحب الأرض غير مصدق ما سمعه وأردف بصوت مرتجف « انت لا تعنى ذلك اليس كذلك ؟ لابد أنك تمزح يا مستر لوثر » .

وقال لوثر بغضب وهو يرتد على عقبيه سائرا بضع خطوات « ان ماسمعته كان صحيحا حتى اذا ادعيت أنك نصف أصم . أريد أن تتركوا المزرعة قبل نهاية الاسبوع . سأعطيك هذا الوقت الكافى اذا لم تقم باثارة أى متاعب . وعندما تحزم أشياءك حاذر من أخذ أى شىء يخصنى والا أبلغت البوليس » .

وخارت قوى العم ايب وكاد يهوى على الأرض . استدار قليلا ثم زلق بجانب الباب وجلس على أرض المعلف . التفت لوثر ليرى ما الذى يعمله الزنجى .

وقال العم ايب ببطء « حقيقة اننى فوق الستين . ولكنى ومعى عائلتى نعمل عندك بجد يا مستر لوثر . نحن نعمل بنفس الهمة كأى فرد فى جميع مزرعتك أنت أعلم بهذه الحقيقة . لقد أقمت هنا يا مستر لوثر وعملت عندك وعند أبيك من قبلك لمدة أربعين عاما كاملة . لم أذكر أثناءها شيئا عن الأنصبة التى كانت من حقى مهما كان المحصول الذى أجنيه وفيرا . لم أطلب أبدا الكثير .. بل مجرد الكفاية لاطعامى والقليل من الملابس .. هذا كل ما فى الأمر . وقد ربيت ملء بيت من الأطفال ليساعدونى فى العمل .. ولم يسبب أحد منهم أى متاعب لك .. اليس كذلك يا مستر لوثر ؟

وأشاح لوثر بوجهه ثم لوح بيده معبرا عن نفاد صبره وعن رغبته بأن يتوقف الزنجي عن مناقشته وهز رأسه وقد بدا على محياه أنه لا يريد أن يستمع لأى شىء يقوله « العم ايب ٠

وقال لوثر « كل هذا صحيح ٠٠ ولكن على أن أتخلص من نصف مستأجرى المزرعة ٠٠ ليس فى امكانى الاحتفاظ بثمانية أو عشرة عجائز مثلك هنا أكثر من ذلك ٠٠ يمكنكم كلكم أن ترحلوا وتبحثوا عن مكان آخر » ٠

وسأله العم ايب « اليس فى نيتك أن تحرث الأرض وأن تزرع وتجنى قطنا هذا العام يا مستر لوثر ؟ ٠٠ لا زال فى امكانى أن أعمل بنفس القدرة والهمة كأى شخص آخر ٠٠ ربما يأخذ ذلك منى وقتا أطول فى بعض الاحيان ٠٠ ولكنى انهى عملى على كل حال ٠٠ ألست أدرى هذا القمح الآن لاطعم البغال بنفس الاتفاق كأى شخص آخر ؟

وقال لوثر بعصبية « ليس لدى الوقت لأقف هنا وأتناقش معك ٠٠ نقد اتخذت قرارى ٠٠ هذا كل ما فى الأمر ٠٠ والآن عليك أن تذهب الى المنزل بمجرد انتهائك من اطعام البغال وتبدأ حزم الأشياء التى تملكها كما قلت لك » ٠

واستدار لوثر على عقبيه وبدأ يسير متجها الى حوش المخزن ٠٠ وعندما وصل الى بوابة الحوش التفت الى الوراء ليجد العم ايب فى أعقابه ٠

وقال العم ايب « أين يمكن لى ولعائلتى الانتقال يا مستر لوثر ؟ ٠٠ لقد كبر الأولاد ويمكنهم أن يتدبروا امرهم ٠٠ ولكنا قد بلغنا أنا وزوجى من العمر عتيا ٠٠ أنت تعرف كم هو صعب لرجل ملون مثلى أن يجد منزل يأويه ٠٠ وأرضا يعمل فيها بالحصة ٠٠ ان بقاءنا هنا لا يكلفك الكثير فأنا والاولاد نجنى نفس كميات القطن التى يجنيها الآخرون ، وآخر مرة أثرت فيها موضوع الحصص كان منذ مدة طويلة فى الماضى ٠٠ ربما ثلاثون عاما أو أكثر ٠٠ انى راض بأن أعمل كما هو الحال الآن مقابل بعض التموين الغذائى وقليل من الملابس ٠٠ أنت تعرف أن ذلك صحيح يامستر لوثر ٠ ٠ لقد اقمت فى كوخى الصغير هناك لمدة أربعين عاما ٠٠ انه مأواى الوحيد ٠٠ لم يبق لى ولزوجتى من العمر الا القليل ٠٠ ولا يمكن أن أقوم بعمل أجير باليومية فليس لدى الآن القوة الكافية ٠٠ ولكن لايزال فى امكانى أن أقوم بزراعة محصول وفير من القطن مثل اى رجل ملون فى هذه البلاد ٠

وفتح لوثر بوابة حوش المخزن وسار خلالها ٠٠ هز رأسه ومضى دون أن يكلف نفسه عناء الانصات الى بقية حديث العم ايب ٠

لم يعرف العم ايب ماذا يقول أو يفعل بعد ذلك ٠٠ عندما رأى لوثر يسير بعيدا اعترته رعشة هزت كل كيانه ٠٠ وتشبثت يداه بالبوابة خوفا من الوقوع من هول الصدمة ٠

وقال يائسا : لن يمكننى الرحيل يا مستر لوثر ٠٠ لن يمكننى ذلك ٠٠ هذا هو المكان الوحيد الذى يمكننى أن أعيش فيه فى هذا العالم ٠٠ لا يمكننى الرحيل بأى شكل يا مستر لوثر ٠

وسار لوثر بعيدا عن الانظار واتجه

صوب ناصية المخزن ولم يعد يسمع العم ايب بعد ذلك ٠

وفي اليوم التالى بعد الساعة الثانية بعد الظهر بقليل وقفت سيارة نقل أمام منزل العم ايب المتواضع ذى الغرف الثلاث الذى كان يسكن فيه هو وزوجه وأولاده الكبار الثلاثة ، كان العم ايب وزوجه جالسين أمام المدفأة يصطليان بنارها ٠٠ كانا وحدهما بالمنزل ٠ ٠ وكان العم ايب قد سمع صوت السيارة عندما توقفت أمام المنزل ومع ذلك فقد بقى جالسا ٠٠ كان يظنه ابنه الاكبر هنرى الذى كثيرا ما كان يسوق احدى سيارات لوثر بوليك ٠

وبعد بضع دقائق سمع طرقا على الباب ٠٠ وقامت زوجه مباشرة وذهبت لترى من الطارق ٠٠كانارجلين من البيض يقفان عند الرواق عندما فتحت الباب ٠٠ لم يقولا شيئا فى البداية ولكنهما نظرا داخل الغرفة ليشاهدا من بداخلها ٠ ثم دلفا الى الداخل دون أن ينبسا بكلمة وسارا الى المدفأة حيث كان العم ايب محنيا ومادا يديه نحوها ٠

وسأله اكبر الرجلين : هل انت ايب لاثان ؟

واجاب وهو فى حيرة من أمرهما لانه لم يرهما قبل ذلك بتاتا : نعم يا سيدى أنا ايب لاثان ٠٠ لماذا تودان معرفة ذلك ؟ ٠

وأخرج .برجل قرصا معدنيا لامعا من جيبه ليثبت انه من رجال القانون ووضعه فى راحة يده أمام أعين العم ايب ٠

وقال : جئت لأقدم لك عريضة الدعوى هذه ، وكذلك هذا الامر بالقبض عليك ، الاولى بالاخلاء والثانى للتهديد باستعمال القوة لغرض الايذاء الجسمانى ٠

وفتح اعلان الاخلاء وسلمه الى العم ايب ٠٠ وهز الزنجى راسه فى ذهول شاخصا الى الورقة أولا ثم الى الغريبين من البيض ٠

وقال .برجل : لقد جئت بصفتى نائبا للمحكمة لأمرين الاول لاخلائك هذا البيت منك ثم للقبض عليك ٠

وسأله العم ايب : وماذا تقصد .. باخلاء .

ونظر الرجلان حول الغرفة للحظة ٠٠ وكانت زوج العم ايب قد جاءت خلف كرسيه ووضعت يديها المرتجفتين على كتفيه ٠

— سننقل اثاثك خارج هذا المنزل ونحمله بعيدا عن املاك لوثر بوليك ٠٠ ثم نأخذك بعد ذلك معنا الى سجن المقاطعة ٠ ٠والآن هيا كلاكما ٠٠ أسرعا ٠

ووقف العم ايب ٠٠ وقف هو وزوجته بجانب المدفأة لايعرفان ماذا يفعلان ٠

وبدأ الرجلان فى جمع الاثاث وحمله خارج المنزل ٠٠ أخذا الاسرة والمناضد والمقاعد وكل شىء آخر فى الغرف الثلاث فيما عدا فرن المطبخ الذى كان ملكا للوثر بوليك ٠ ٠وعندما نقلا كل شىء خارجا بدأ فى تكويمه فى سيارة النقل ٠

وخرج العم ايب مسرعا ورجاهما قائلا: أيها الناس البيض أرجو ألاتفعلوا ذلك دقيقةواحدة حتى اذهب وابحث عن مستر لوثر ٠٠ سيقوم بوضع الحق فى

نصابه . مستر لوثر هو المالك وصاحب الامر ولن يسمح باخذ متاعى هكذا .. أرجوك ياسيدى أن تنتظر قليلا حتى أذهب لرؤيته .

ونظر الرجلان كلاهما للآخر .

وقال النائب وهو يهز رأسه : ان لوثر بوليك هو الشخص الذى قام بتوقيع هذه الاوراق .. انه هو الذى حصل على أوامر المحكمة هذه ، باخلاء المسكن من أثاثك ثم وضعك فى السجن .. والآن هل يفيدك فى شىء أن تذهب للبحث عنه ؟ .

وقال العم ايب : أوضع فى السجن ؟ وماذا قال عن الداعى لذلك ؟

وقال النائب : لتهديده بالايذاء جسمانيا .. أى تهديده بالقتل .. كضربة بعصا أو قتله بغدارة .

وألقى الرجلان بباقى المتاع فى سيارة النقل وطلبا من العم ايب وزوجته الصعود الى الجزء الخلفى من السيارة .. وعندما أحجما عن ذلك دفعهما النائب الى الخلف ووخزهما الى أن صعدا الى السيارة .

وبعد خروج السيارة التى كان يقودها الشاب من الحارة مارة بمنازل المستأجرين الآخرين ، تجهت الى الطريق الطويل الذى يعبر التلال خلال أراضى لوثر بوليك ثم الى الطريق العام ، ومروا أثناء ذلك بالمنزل الابيض الكبير الذى يسكن فيه لوثر ولكنهم لم يشاهدوه .

واحتج العم ايب قائلا : لم أهدد أبدا بايذاء مستر لوثر .. لم أعمل شيئا كهذا طول حياتى .. لم أنله حتى بكلمة .. مستر لوثر هو صاحب عملى

عملت له ولأبيه من قبله منذ أن كنت فى العشرين من عمرى .. جاء البارحة ليقول انه يرغب فى رحيلى عن المزرعة ، كل ماقلته هو انه يجب عليه أن يدعنى باقيا اذ لم يبق لى من العمر الا أقل من القليل . قلت له اننى لا أرغب فى الرحيل هذا كل ماقلته لمستر لوثر .. لم أقل أبدا اننى سأحاول قتله .. هذا مايعلمه مستر لوثر تماما كما أعلمه أنا .. أسألا مستر لوثر اذا لم يكن هذا ، وكانوا قد تركوا مزرعة لوثر متجهين الى الطريق العام المؤدى الى مبنى المحافظة الذى يبعد احد عشر ميلا .

وقال العم ايب : لقد عشت هنا أكثر من اربعين عاما عملت أثناءها عند مستر لوثر .. لم انعته طوال هذه المدة بكلمة نابية سواء أمامه أو فى غيبته .. كل مايهبه لى ولعائلتى هو بعض التموين وقليل من الملابس .. انا وعائلتى نزرع له القطن .. أقوم بذلك منذ كنت فى العشرين من عمرى .. عندما انتقلت الى هنا كنت أعمل لوالده أولا مقابل حصة من المحصول .. وعندما توفى بقيت أعمل كما كنت الى الآن .. مستر لوثر يعلم أننى كنت مثابرا ومجدا فى عملى دون أن أتحرش به أبدا .. كل ما كنت أطلبه هو بعض التموين وقليل من الملابس .. اسألا مستر لوثر .

وانصت النائب لما كان يقوله العم ايب ولكنه لم يفه بكلمة .. كان يشعر بالأسى لحال الزنجى العجوز وزوجه ولكن لم يكن فى وسعه أن يفعل شيئا ، لقد حضر لوثر بوليك مبكرا هذا الصباح الى المحكمة وحصل على أوراق الاخلاء والقبض كان عمله هو تسليم الاوراق وتنفيذ أوامر

المحكمة ، ومع ذلك فلم يكن بوســـعه سوى الاحساس بالحزن لامر الزنجيين ، لم يكن يعتقد أن من واجب لوثر بوليك أن يطردهما لمجرد تقدم السن بهما ٠

وعندما وصلوا على مرأى من المدينة ، طلب النائب من السائق أن يتوقف ٠٠ واوقف السائق السيارة بجانب الطريق العام ٠٠ كان ثمة خمسة عشر أو ثمانية عشر منزلا من منازل الزنوج على جانبى الطريق ٠

وبعد أن توقفوا بدأ الرجلان الابيضان فى تفريغ الاثاث وتكويمه بجانب الطريق وعندما انتهيا من اخراج كل ما بسيارة النقل طلب النائب من زوج العم ايب أن تترجل من السيارة ، وبدأ العم ايب هو الآخر فى النزول ولكن النائب طلب منه أن يبقى حيث هو ، واندفعت السيارة تاركة زوج العم آيب واقفة فى حالة ذهول بجانب المتاع ٠

وسألهما العم ايب وهو ينـــظر الى زوجه والمتاع عن بعد : ماذا ستفعلان بى الآن ؟

وقال النائب : سنأخذك الى سـجن المحافظة ونحبسك احتياطيا على ذمة التحقيق ٠

وسأله العم ايب : وماذا تفعل زوجى الآن ؟ ٠

ـ من المحتمل أن يأويها لديه أحـــد سكان تلك المنازل ٠

ـ كم من الوقت ستحتفظون بى فى السجن ؟

ـ الى أن تقدم قضيتك للمحاكمة ٠

واستمروا فى طريقهم عبر شــوارع المدينة المتربة ثم حول ميدان المحكمة ، وتوقفوا أمام المبنى الحجرى بنوافـــذه ذات القضبان الحديدية ٠

وقال النائب : هنا تترجل ٠

وكان العــم ايب قد بلغ الضعف به منتهاه ولكنه تمكن بصعوبة أن يصل الى الباب ، وفتح الباب رجل أبيض آخر ، وطلب منه أن يسير بطول الممشى الى أن يؤمر بالوقوف وقبل ظهيرة يوم السبت بقليل وقف هنرى الابن الاكبر للعم ايب أمام مكتب رامزى كلارك المحامى وقبعته فى يده ٠٠ وستمر المحامى فى قضم قلمه الرصاص بعض الوقت قبل أن يتحرك بكرسيه المواجه للنافذة المطلة على ميدان المحكمة ويستدير ليواجه ابن العم ايب٠ وقال المحامى متجهمـــا : انا لا اريد القضية ٠٠ لا أريد أن أمسها ٠

وحملق الفتى فى يأس ٠٠ كان ثالث محام يذهب اليه هذا الصباح ٠٠ وقد رفض الآخران قبول قضية ايب بتاتا ٠

وقال رامزى كلارك وهو لايزال على تجهمه : ليس من ورائها أى منفعة مادية لن أحصل على سنت منكم أيها الزنوج اذا قبلت هذه القضية ٠٠ ثم انه ليس فى نيتى أن أكون وكيلا لزنجى فى المحكمة بعد الآن ٠٠ لقـــد كان فى ذلك خرابا لمحامين اقدر منى ٠٠ ليس لى رغبة فى أن يطلق على لقب محامى الزنوج ٠

ونقل هنرى ثقل جسمه من قدم الى الاخرى وعض شفتيه ٤ لم يعرف ماذا يقول ٠٠ وقف فى وسط الغرفة وهـــو يحاول التفكير فى طريقة يساعد بهـــا أباه ٠

وقال هنرى مؤكدا : لم يقل أبى أبدا

انه سيقتل مستر لوثر .. فقد كان يكن له الاحترام وكان دائما على علاقة طيبة به .. ولم يتسبب أى منا بوجه عام فى مضايقته فى أى وقت كان .. سيقول الجميع لك ذلك .. كل المستأجرين بمزرعة مستر لوثر سيقولون لك ان أبى لم يتحرش فى حياته به ... لم يقل أبدا انه سيحاول ايذاء مستر لوثر بأى شكل .

وأشار المحامى اليه بالتوقف عن الكلام كان قد سمع كل مايود سماعه .

وقال غاضبا وهو ممسك ببعض الاوراق وضاربا بها فى عنف على مكتبه «قلت لك انى لن أبحث القضية..لاأريد أن أذهب الى المحكمة واضيع وقتى فى الترافع فى قضية خاسرة .. ثم انه من المفيد لكم ايها الزنوج ان يأخذ كل منكم دوره فى السجن فهذا هو السبيل الى الاصلاح .. ومع كل فسيان اذا كان ايب لاثان هدد مستر بوليك أو لم يهدده فان ايب لاثان رفض مبارحة المزرعة بعد أن طلب مستر بوليك منه ذلك.. أليس كذلك؟ حسنا ان فى هذا الكفاية لادانته فى المحكمة .. هذا كل ما يود القاضى سماعه . سيرسل الى السجن بأسرع من قفزة البرغوث .. لن يشغل محام وقته فى تحضير قضية يعلم جيدا نهايتها .. اذا ماكان من روائها كسب مادى لاختلف الامر ، ولكنكم يامعشر الزنوج ليس لديكم فلس تدفعونه أتعابا لى .. لا .. لاأريد القضية .. لن ألمسها بقضيب طوله عشرة أقدام .

وترك هنرى مكتب رامزى كلارك وذهب الى السجن وحصل على جواز لرؤية أبيه لمدة خمس دقائق .

كان العم ايب جالسا على الدكة المثبتة فى حائط قفص السجن شاخصا خلال القضبان عندما دخل هنرى .. وجاء السجان ووقف خلفه عند باب القفص .

وكان أول سؤال ساله العم ايب هو «هل رايت محاميا وقلت له اننى لم أقل شيئا مثل هذا لمستر لوثر ؟

ونظر هنرى الى أبيه ولكن كان من العسير عليه أن يجيب .. وهز رأسه منكسا بصره الى الارض .

وساله العم ايب : لقد حاولت ... أليس كذلك ياهنرى ؟

وأومأ هنرى بالايجاب .

ـ ولكن عندما قلت للمحامين اننى لم أقل فى حياتى شيئا نابيا عن مستر لوثر أو عن أبيه من قبله . ألم يقولوا انهم سيساعدوننى للخروج من السجن .

وهز هنرى رأسه .

ـ ماذا قال المحامون ياهنرى عندما ذكرت لهم مدى احترامى لمستر لوثر ؟ وكيف انى كنت مجدا ومخلصا فى عملى عنده وأننى لم أطالبه أبدا بما استحقه من حصة من المحاصيل التى أقوم بزراعتها .. ألم يقولوا حينئذ انهم سيساعدوننى ؟

ورفع هنرى نظره الى ابيه محركا رأسه جانبا لكى يراه من بين القضبان، كان يبتلع ريقه عدة مرات فى صعوبة قبل أن يتمكن من الكلام كلية .

وأخيرا قال : لقد قابلت ثلاثة محامين الى الآن . وكلهم قالوا انه ليس بوسعهم عمل أى شىء وان علينا أن نترك القضية تأخذ مجراها فى المحاكمة .. قالوا انه



ليس هناك مايمكن عمله لان القـاضى سيحكم عليك بالسجن على اى حال ٠

وتوقف لحظة ونكس بصره نحو قدمى ابيه عبر القضبان ٠

ـ اذا كنت تود ان اذهب وأحاول مرة أخرى البحث عن محام يقبل أن تكون موكله فلا بأس ولو انى أعلم انه لافائدة من ذلك ٠٠ فانهم لايرغبون أن يعملوا شيئا ٠

وجلس العم ايب على دكته ونظر الى الارض ، لم يكن فى مقدوره أن يفهم لماذا لايرغب أى من المحامين فى مساعدته ٠

وأخيرا رفع بصره شاخصا الى ولده ، كانت عيناه تمتلئان سريعا بالدموع التى لم يمكنه التحكم فيها ٠

وسأل : لماذا قال المحامون أن القاضى سيحكم علىّ بالسجن على أى حال ياهنرى؟

وقبض هنرى على القضبان بكل قواه مسترجعا بذكراه كل هذه السنين التى كان يرى خلالها اباه وامه وهما يعملان فى حقول القطن للوثر بوليك ولايحصلان فيها عن هذا المجهود المضنى الا على بعض التموين القليل من الملابس ومنزل صغير يظللهما ولا شىء أكثر من ذلك ، وألح أبوه فى **السؤال : لماذا قالوا ذلك** ياهنرى ؟

واخيرا قال هنرى : اظن لاننا ملونون وانى لاأرى شيئا آخر غير ذلك ٠

وجاء السجان خلفَ هنرى ولكزه بعصاه وقال : هيا اسرع ٠٠ لقد انتهى الوقت . الوقت انتهى ٠

وسار هنرى فى الردهة بين صفوف الاقفاص تجاه الباب المؤدى الى الشارع ولم ينظر خلفه ٠

كل شئ على ما يرام

قصة

بقلم
فخرى قعوار

طال بهم الصمت ، وامتدت فترة الانتظار للحظة الحاسمة عدة أيام ، وقد شعر ياسين أبو زينه بالسأم يتسرب الى نفسه ، والتلق يستبد به ، وازاء هـذا كله ، كان الشاويش فتحى السبعاوى يقول بهدوئه البسمج :

ـ ماذا أفعل لكم ٠٠ الى ان تأتينا الأوامر نتقدم ٠

وبحث أبو زينه عن مكان يمكنه الجلوس فيه ، فالقى بجسمه على الارض بلباسه الفيتيك ، ووضع كيس «الفشك» والبندقية أمامه ، ووضع رأسه على حجر صغير هناك ، وراح يرقب زملاءه الجنود لقد اجتاحهم السأم وانتظار اللظحة الحمراء ، فراحوا يمازحون جنديا بدينا ، مترهل الجسم ، مندلق الكرش ، عينيه صغيرتين تكادان أن تضيعا فى ثنايا وجهه وكأنه مصاب بورم مخيف، كانوا يلقبونه ب «البمبة» ، ولا ينادونه الا بهذا الاسم وقد كان يبدو عليه الرضا عن ذلك ، وربما من قبيل المجاملة أو التسليم بالامر الواقع ، المهم انه كان يبدو عليه الانشراح لكل ما يوجه اليه من التاب وكلمات أليمة ، وقد كانوا ينفضون عنهم غبار السأم ايضا ، فيرددون معا أغنية عبد الوهاب القديمة «كلنا نحب القمر» بتحويل بعض كلماتها الى الفاظ بذيئة ٠

وعلى كل حال فقد كانوا مبعث تسلية ولهو فى بعض الاحيان ، ولم يكن ليجرؤ أحد منهم أن يتحدث الى أبو زينه مازحا أو متهكما ، فقد أشعرهم انه حاد المزاج، وانه رجل مسؤل عن قضايا كثيرة خلفها وراءه فى البيت ، وهنا تذكر ابنه سليمان ، فغمغم وهو يصرف بأسنانه :

ـ ملعون أبوك ٠٠ ذابحتك الوطنية ٠٠ تستاهل ٠٠

فهو لم يكن يعلم لماذا يحشر ابنه أنفه فى أمور ليست من شأنه ٠٠ وكثيرا ما قال له ان السياسة لها أصحابها ٠٠ ورجالها الذين يفهمون فيها ، ولا يعنيه منها شيء ، وكل ما عليه أن ياكل ويشرب ويذهب الى المدرسة ، ماذا يريد ما دام يجد من يصرف عليه ، ويكون مسئولا عن ملبسه ومشربه ومأكله وجميع حاجياته ؟ ثم ماالذى يدفعه ليعرض حياته للخطر ، مادام هناك من كلفتهم «الدولة» بالدفاع عنه ؟ ٠٠ ولمع جلد وجه أبو زينه الحليق ، عندما حرك نواجذه غيظا وحنقا على ابنه ٠

ـ خلاص ٠٠ فلت الولد من اليد ٠

لاشك ان نهايته المو ٠٠٠ لاحول ولا قوة الا بالله :

ــ ملعون أبوك على أمك ٠

وخيل اليه أن سليمان يهزأ من كل أفكاره ، ولا شك أنه سيقول له كعادته ، انه يحمل عقلا صدئا ، وهو يستغرب من أين يجىء ابنه باندفاعه وحماقاته ، ولا يدرى من أين يأتى بعدم اهتمامه للموت والدماء ، فاذا ما حذره من خطر ما يحيق به ، يجيب :

ــ طظ ٠٠ الهدف قبل كل شىء ٠

ماذا ، أنفعته الاعداف ؟ أأفاده الكلام الفارغ والجنون ؟ ٠٠ لا ٥ لم يستفد الا انه كاد يموت قبل ثلاثة أسابيع ، عند ماجاءته رصاصة من بندقية أحد الجنود ذوى الوجوه الحمراء ، أصابته فى كتفه اليمنى ٠ ولولا أن «الدولة» أنقذته ٠٠ لانتهى كل شىء ، كل شىء ، ومع هذا فاغلب ظنه أنه لن يقتنع بصحة أفكاره وسيظل ممعنا فى حماقته وتهوره الى ٠٠ الى ما شاء الله ٠

وانتبه أبو زينـــه الى الجنود وهم يحيطون بالرجل البدين ، ويرددون كلمة « البمبة » بمصاحبة كف ايقاعى ، وكان الرجل يصيح بهم أن يتركوه ليؤدى صلاة المغرب، الا انه لم يفلح فى اسكاتهم حتى أبعدهم عنه الشاويش سبعاوى ، فاتخذ له مكانا قصيا عنهم ، شـــمالى الخندق بامتار ، تحت شـــجرة بلوط نصفها مخضر والنصف الآخر متيبس ، وراح يصلى ٠

وتناهى الى اذنى أبو زينه دوىطائرة قادمة صوبهم ، كما تناهى الصوت الى آذان الجميع فقال الشاويش :

ــ كل واحد مكانه ٠

وعلى الفور ، حمل كل جندى عدته ، واندفع راكضا داخل الخندق ، وعندما كان أبو زينه منسدحا على بطنه ، متكئا على ساعديه وهو يمسك بندقيته ، لمح من تحت حافة «خوذته» الجندى البدين مايزال يبحث عن حقيبتـه وبندقيتـــه بطريقة تدعو للضـــحك ، فى حين أن الطائرة دارت حول الخـندق دورتين ، وهى غير مرتفعة كثيرا عن الارض ، ثم عادت من نفس الاتجاه الذى أتت منه ، وهنا قال السبعاوى انهم يســتطيعون الخروج ، على أن يظل كل واحـد على أهبة الاســـتعداد والتهيؤ لأن هـــذه الطائرة ، طائرة استكشـــافية للعدو وصاح الجندى البدين :

ــ الله يخرب بيتك ٠٠ خربت بيتنا ٠

وقال احد الجنود :

ــ حمار طول عمرك ٠

وقال آخر ٠٠ مؤكد أنهم عرفوا ٠٠

وهنا غمغم الرجل ، بانفاس مبهورة ، والعرق يتفصد من كل مسامات وجهه :

ــ والله نسيت مكان البارودة والحقيبة ياسيدى ٠

فقال الشاويش بعصبية ظاهرة ٠٠ خرج بها عن هدوئه المعهود :

ــ امش ٠ امش ٠٠ يلعن كل الدواب لأجلك ٠

وخيم عليهم صمت ثقيل لزج ، ولمعت فى عيون الجميع لمعات كئيبة خرساء ، وعلت وجوههم مســحة رمادية توحى بالشؤم وخيبة الأمل ، وأحسوا بالنهاية والفشل ، فاتخذ كل واحد منهم مكانا له ، رجلس اليه ، أما السبعاوى فقد كانت تقرأ على وجهه ملامح من يريد عمل

شيء ، ولكن ثمة قيودا تمنعه ، ولمح أبو زينه الجندى البدين يكفكف دمعتين انزلقتا على خديه ، فتقدم منه ، وشجعه ببضع كلمات ، وحاول أن يجعله يقابل المعركة المرتقبة بجراة وقوة ، وعدم اهتمام للمصير الذى يترتب على ذلك ، لكن الرجل اجابه بصوت مرتجف راعش :

انا خائف على ابنى فارس ، علمى به يريد التطوع للحرب و ٠٠٠

وحانت من أبو زينه نظرة الى غربى الخندق ، فرأى سيارة «جيب» قادمة يلفها الغبار بثوب ممتقع ، تسير على موازاة قرص الشمس، الذى يعانق الافق ويوشك أن يذوب فيه، وعرف أن «ضابط الفئة» فيها مع سائقه، وظل يرقب السيارة حتى وصلت ، وهبط منها الضباط ، كان طويل القامة ، أنيق المظهر مع انه يلبس «الفيتيك» أيضا ، له شاربان كثيفان متهدلان على شفته العليا ، أسود الحاجبين عاقدا ما بينهما وراح يرمق بعينين سوداوين حادتين وكانهما عينا عقاب ٠٠ وهو ممسك بعصا قصيرة سوداء غطيت نهايتاها بقطعتين من الفضة الكابية وهم يؤدون له التحية ، وتقدم منه الشاويش وأدى التحية أيضا ، ثم قال له عن أمر الطائرة التى أتت قبل قليل ، فهز رأسه دون أن يجيب بحرف واحد ، بطريقة من يفهم الامور بأسرع مما يجب ، ثم أدار وجهه نحو السائق وقال له بصوت نخين جميل :

ـ ورع البريد يامحمد ٠

وانشدت العيون الى شفتى الرجل وهو يقرأ اسماء أصحاب الرسائل ، ولم يكن أحد منهم يعى اسما غير اسمه ، ويتصور كيف سيتلفظ به محمد بعد قليل ، كان صوته كزعيق مجموعة من الفئران اتفقت على أداء كلمات متماثلة ، وشارباه اتخذا شكل مربع ، فكانا كظل لأنفه المعقوف ، وزعق باسم أبو زينه ، مضيفا بعدها كلمة «برقية» وكان اذ ذاك صوت طائرة سريعة فى مسارها ، يصل الى الآذان فالتقط الرجل الوريقة من يد محمد ٠٠ ولم يتمكن من فتحها ، لان أوامر الضابط جاءت بأن يلجأ كل الى مكمنه ، فأمسك الوريقة والبندقية بيد واحدة ،وراح يركض نحو الخندق ، وهو يدمدم :

ـ من سليمان ٠٠ من سليمان ٠

وانسدح على بطنه ، كما فعل الجميع وراحت الطائرة تصب حممها على مكان الاستحكام ، فاصيبت شجرة البلوط ، وانكسر نصفها المتيبس ، وهنا همس الضابط بصوت قصد منه اسماع الجميع أن جيش العدو لابد متقدم ، وكفت الطائرة عن القاء قذائفها ، وعادت من حيث أتت، فى حين تولى قيادة المعركة الجيش المشاة ، فراحوا يضربون الخندق بالقنابل اليدوية ، كما يردون الطلقات النارية الصادرة منه ٠

بعد نصف ساعة من بدء القتال ،كان الصمت والكآبة يخيمان على أرض المعركة وأنفاس العدو تلهث من كل الجهات ٠٠ وشجرة بلوط يعيش نصفها المخضر ، وسيارة «جيب» مصابة بكل عاهة ٠٠ تقف بغباء وانشداه ، ووريقة ممزقة ، كتب على جزء صغير منها : « كل شيء على ما يرام » ٠

سمراء

متولى

بقلم : حنيفه فتحى

الفتاة السمراء الحلوة مضطجعةفوق الحصير ، فىبيتها الطينى الصغير ... جفونها نصف مغمضة . وكان الوقت ظهرا .. والحر شديدا .. وقد جعلها القيظ ترتدى من‌الملابس ما هو قليل... الحقول من حولها ساكنة ... والازهار على براعمها ناعسة ... حتى الطيور فى اعشاشها هاجعة...ابنة العشرة من الاعوام والاربعة كعمر القمر ، بيتها خال الا منها وحدها ... فلقد خرج الاب الفلاح الى حقله منذ الصباح ولم يعد ... وامها قد أودعتها سحرها منذ الطفولة ، ثم رحلت الى الابد ... وان كانت هناك فى السماء...فى كل مكان ترقبها بعين ساهرة ...

الفتاة السمراء الحلوة ... قد ورثت عن أمها..شعرها الفاحم الطويل كانه ادغال مظلمة وورثت عنها عينيها السوداوين اللامعتين المترقرقة ... ورثت نهديها المرتفعين كالجبال الشامخة وجسدها السمهرى كالرماح المشرعة ورثت ايضا حبها للشمس .. أو حب الشمس لها ... حبها للغيوم والامطار حب الامطار والغيوم لها ... ورثت احلامها الذهبية لاعوامها القادمة ... وآمالها الكبار فى سنوات مشرقة ، بالرغم من سمرة قشرتها الخارجية ، فقد كانت تملك قلبا من ذهب .. من فضة ... من جوهر وعقيق ... انها ابنة فلاح‌بسيط ... ولكنها فى كبريائها عالية ، ابنة فلاح صغير يزرع الارض بيديه ويحصدها ثم يأتى فى النهاية لابنته بخبزها...ولكنها فى خصالها غالية .

... ومن الباب نصف المنفرج ...

... والهواء يدخل متسللا ...

... اطل هو براسه متلصصا ليرى من تكون تلك الفتنة النائمة .. تلك العذراء الحلوة السمراء المستلقية ، ورآها وشعاع من‌نور ملقى على وجهها ، وجسدها البكر ممدد فوق الحصير ، اجفانها نصف مغلقة وبسمتها نصف حائرة .. انها تحلم ... تحلم بالحب والسعادة ... تحلم بالخير للانسانية كلها ...

... وهو ... من هو ؟

... انه ضيف ... عابر سبيل اتى من المدينة ونزل مستجما عند بعض اصدقائه فى الضيعة المجاورة ، ثم خرج وحيدا فى الحقول الممتدة المترامية ليرى من سحر الطبيعة وجمالها ما يمحو عنه ضوضاء المدينة وضجيجها ... ما يمحو عن‌روحه كفرها والحادها ... اتى الى هنا ... الى الطبيعة والسلام ...



اتى ليرى مالم يره ... ويلمس ما لم يلمسه من قبل ... هنا الحياة الآمنة والنفوس الطاهرة ... هنـــا الهواء النقى دائما ...

ووقف امامهـــا يتفرس فيهـــا مبهورا متعبدا ... انها قطعة حية من الخيال قطعة من الفردوس فوق الثرى . وقف عند قدميهـــا بقامته الفارعة وراسه الاشقر الجميل ووجهه الابيض كقطعة من الثلج فى ذلك القيظ الشديد ...

ثم انحنى عليها ولمس ذراعيها ... ففتحت عينيهـــا ... ونظرت ... ثم ابتسمت ، وسألته عما يريد ... فقال لقد ضللت الطريق ... اننى ضيف .. صديق...أتيت من المدينة أتبع قلبى.. فقد أشار لى اليك ...

ومدت كفيها فى سلام ... وافسحت له المكان ، ثم قامت لتعد له شيئا من الطعام ... ولكنه ابى ... ثم مد يديه وامسك برسغها ... ثم اجلسها على الحصير...واتصل بينهما الحديث ... وعلم ان اباها غائب منذ الصباح ... وعليه ان يعـــود مع حلول الظـــلام . كان يلتهمها بعينيه ... يلتهم فتنتهـــا بناظريه ... وامتلأ راسه بالاوهام... وتحركت فى داخله الآثام ...من أين لها بمنقذ لو حاول أن ينالها...انها صغيرة ضعيفة ... وحيدة ... فى هذا المكان بعيدا عن العمران ... وهو قوى ... وذكى ... وثرى ...

اليس البقاء للأقوى فى هذه الحياة ؟؟

اليست شريعة الغاب هى التى تحكم وتسود مهما يبلغ بنا الرقى وتتهذب منا النفوس . انه نمـــر ... وثعبان ... بالرغم من بياض جلدته ورقة لكنته ... وهى ... من هى ؟؟ انه يدرى تماما من هى ... انها كنز ثمين ... وذهب دفين ... مهما تكن قشرته سوداء ... انها لقمة سائغة ... لقمة هنيئة لينه خلقت لمتعته...خلقت لمن هم فى ثرائه لمن هم فى فطنته .

ثم انحنى عليها...وضمها بقوة ... بلهفة وانتصار ... وخافت المســكينة ولكنه داوم الهجوم فى لهفة المحـــروم

بيد من حديد .. حول الجسم الضعيف وكشف الجسد الصغير عن كنوزه الخفية ... كنوزه العذرية...واغترف الرجل بيديه وبفمه وشفتيه .. واستنشق العبير .. بملء رئتيه ...

وظلت العذراء على الحصير مستلقية ... تنظر الى قدميه .. الى وجهه الاصفر كصحراء بلادها ... الى عينيه الحمراوين كانهما امتصتا كل دمائهما...ثم مدت اليه كفيها لكي يأخذ بها ... لكي ينهضها ويرفعها اليه ... لكي يفي بوعده مادام قد استباح جسدها فابتسم ساخرا...وادار لها ظهره... وانسل من الباب كما دخل ... وصاحت هي فجأة ... انتظر ... اقبلت لتتزود من الطبيعة بالايمان أم لتنفث فيها سمك الحرام ؟؟

وبهت الرجل واستدار ، وقال في احتقار : « انني دائما افعل ما اريد دون حساب ولا رقيب وانت من تظنين نفسك ... انسيت انك جارية ؟؟ ونظرت اليه في حزنها .. في أسفها .. ابن المدينة اكل جسدها ... مزق قلبها ... ولكن لم يستطع ان ينال من روحها ... انها الآن ليست طفلة ... انها سيدة ... لقد تحولت الى سيدة...لم تعد ابنة الرابعة عشرة... في لحظة الم تحولت الى ثلاثة قرون من الزمان ... ثلاثمائة عام ... من العذاب ... من الانتقام ... انها لم تعد على الحصير مستلقية ... لقد هبت امامه كالاعصار ... جسدها اللين الطويل كالسهام المشرعة ...

رأسها يطاول رأسه ان لم يكن اطول انها سيدة نامية واعية ... لحقها العار ... فلتنتقم ... والا فلتبق جارية ... ان كفيها قاسيتان .. بدلتهما الآلام والكرامة الجريحة من هشة رقيقة الى اخرى ضارية .. اما هو .. من هو ؟؟ ... يقف امامها باكمله .. بقوته وعظمته ... ولكنه في ناظريها ... اين هو ؟؟ حولته الشهوات والآثام الى حشرة هائمه في البراري ... في الحقول ... تبحث عن غيرها لتتغذى من الدماء الحارة... فلتكن الدماء في فمه علقما وسما ... واللحم الطري رمة بالية...انه حشرة تستطيع ان تطأها بقدميها فتقتلها ... فلتقتله ...

بكفيها ... بقدميها ... بكل ذرة من جسمها ، احاطت به وخنقته ... وانتقمت لنفسها ...

الآن هي ليست جارية ... الآن هي سيدة نفسها وعمرها ... سيدة حاضرها واعوامها الاتية .

❋❋❋❋❋

قطار نصف الليل

بقلم : جاذبية صدقى

صديقى العجوز ، قطار الصعيد هذا ! يقول لى اشياء واشياء وانا قابع فى ركنى العتيد من احدى عرباته . كل خميس تجدنى هناك . اصغى له بلا ملل وهو يحملنى الى صغارى فى العاصمة من القرية النائية الناعسة فى اعماق ربوعه ، حيث اعمل موظفا متواضعا فى تفتيش ضيعة تابعة لوزارة الاوقاف. ربما تسألنى لم لا اصطحب صغارى هؤلاء وامهم معى ، حينئذ ساجيبك ان « صغارى » هؤلاء اصبحوا رجالا الآن وشبابا يطلبون العلم فى الجامعة — الفتيان منهم والفتيات . ومع ذلك اسميهم « صغارى » — هل يلومنى احد؟ لن يغير شيئا من وضعهم هذا . ثم انهم عند ما كبروا وشبوا عن الطوق ، كبرت انا ايضا . فالنسبة محفوظة . عجيب والله امر « الصغار » هؤلاء وما يفعلونه بنفوسنا ! خذنى مثلا : اننى لم اضق يوما بنفقاتهم .. وطلباتهم .. ومشاجراتهم .. ومصالحاتهم .. ومتناقضاتهم — حتى آراؤهم التى يفرضونها على ، لم اضق بها . ولا اضيق اليوم ، مع ظهرى قد انحنى وكساني المشيب — فى شعرى المشيب، وفى قسماتى . لكنه قط لم يمس روحى. شابة ، هى هى . لقد كانت — روحى هذه — صبية تتقافز .. وتلعب الكرة « الشراب »فى الحارة .. وتهوى حلوى « المضاغة » .. واراجيح المولد ، عند ما كان « صغارى » يتقافزون ويفعلون هذه الاشياء كلها . ثم استوت روحى شابة متفتحة ... متطلعة .. مشرئبة ... منطلقة .. تتدفق بآمال وحيوية — مثل ابنائى . والآن روحى فى الجامعة — معهم ايضا . خطوة خطوة من حياتهم احياها معهم ، تنعكس على انفعالاتهم وانطباعاتهم واتجاهاتهم . اعيش شعورا شعورا كابدوه ... وتتبلور فى عينى دموع براقة كنصوص دموعهم ... واتذوق ابتسامة ابتسامة تطلقت بها وجوههم .. واستمتع بكل احساس نعموا به .. واضحك مع كل ضحكة تفجرت عنها قلوبهم الفتية . خير اكسير فى الدنيا هذا،صدقونى ! حياتى حلوة .. متدفقة .. متلونة .. متجددة ابدا لاننى اردتها هكذا ، كانما فى اعماقها عين خفية .. عذبة .. فوارة .. تغرغر بحيوية تمدها بها !

فكان ان تركتهم فى العاصمة . وارتعش بفرحة كبرى تتجدد كل خميس وانا اصعد الى القطار ليحملنى اليهم . واقبع فى مقعد واحد لا اغيره — اعنى لم اغيره طوال العشر سنوات التى عشتها وحدى . ثم اغمض عينى ، اولا اغمضها وانا الملم فرحتى حولى كانها رداء سابغ واسع فاخر وثمين يلفنى من

نمة راسي الى اصبع قدمى الصغير ! واصغى للضجيج الذى يصنعه صديقى القطار العجـــوز . من فرط امتنانى وفرحتى ، اصغى له . لعبة هذه ابتكرتها بينى وبين نفسي لتذوب الســـاعات الطويلة . حقا ثرثار هو ، صـــديقى القطار ، لكننى لا اضيق بثرثرته تلك التى ترن فى اذن غيرى صلصـــلة سلاسل لاأكثر .. ودمدمة عجلات ... وصفير .. وشهيق .. وزفير وهـــو يلهث مزمجرا يحملنا فى قلبه .. أو على تلبه .. ويجرر وراءه عرباته العجائز المتهالكة مثله والتى تتعلق متشـــبثة بعنقه هكذا ! عربات تكاد تحجـــل لا تجرى من فرط عجز ، ثم ان من شبابيكها ما لا مصراع له . فتبدو كافواه هتمـــاء فاغرة ، عن كبر أو عن ارهاق وهى تلهث وتبتلع الهواء ابتلاعا !

فابتسم فى ركنى ، وتتسع ابتسامتى وانا اتخيلها مشاجرة .. تلك الصلصلة وتلك الجلبة والضوضاء ... بين القطار وبين نسائه الكثيرات اللاتى ربط نفسه بهن أيام الشـــباب .. وغروره .. وعنفوانه .. واندفاعه ، فجثمن الآن على انفاسه فى كبره يمسكن بتلابيبه لايفلتنه! وبالفعل . كثيرا ما تهاوى المســـكين يمضي الليل بنا الى جوار قناة ، كسير البدن والنفس كأنما غشي عليه . فيلتف حوله مسئولون بقناديل كاشـــــفة ، يتحسسونه .. ويصغون لنبضاته .. ويسقونه ماء .. ويريحونه حتى يبترد ويسترد قوته ــ تماما مريض وهـــؤلاء اطباء .

واليوم كاد يفوتنى ، لكننى ركضـــت خلفه وركضت حتى لحقت به . فقفزت اتشبث بآخر عربة . وسرت عبر ممراتها الى عربة أخرى .. ثم اخرى .. ثم اخرى ، اتعثر فى سلال وغرارات وقدور تملأ خياشيمى منها رائحة الجبن المعتقة ب « المش » ... وارغفة « البتـــاو » بالحلبة ... وفحول البصل الصعيدى المعتبر . رائحة نفذت كسحب دخان قوية غير مرئية من خياشيمى الى خلايا دماغى ، تتعلق بها وبثيابى ــ تبصمنى، لتفوح منى بدورى ! ومع ذلك ابتسمت لها . لم اغضب . وهل يغضب المرء من معارفه ، عند ما يحيونه بطريقتهـــم الخاصة ؟ وتلك الروائح لى بها معرفـــة هى تاريخ حياتى . لن اتنصل منها . لن اخجل ــ احبها ، احبها ! لى معهـــا ذكريات غالية سعيدة ، تبعث دفئا فى اوصالى .

كانت تلك الافكار الهائنة تملأنى برضا ينشق له فمى عن ابتسامة لاتغيب، وانا اقفز فوق « مشنة » .. او اتفادى الارتطام « ببلاص » ... او احتضـــن غرارة ضخمة تسد الدهليز فالف حولها بحنكة ودراية . حتى وصلت الى ركنى المعتاد فى حجرة لها باب زجاجى . فما كدت افتحه حتى لطمتنى رائحة اخرى غريبة عنا وحادة .. ونفاذة ! يا الهى! ماذا دهى يومى ؟ اللهم اجعله خيرا !

ترنحت ، يدور رأسي كأنما تربصت بى قبضة غادرة فى الغبشة السادلة . غبشة لا يخفف منها سوى كوب نور يعلوه تراب سنين معلق فى الســـقف المقوس ــ نور اصفر سقيم هـــزيل يخبو ويضيء .. ثم يخبو ويخبو حتى يكاد يخمد .. ثم فجأة يضيء .. ثم مرة ثانية من فوره يخبو ، كأنه عين تقاوم النوم .

فوضعت سلة البيض الصغيرة التى

احملها هدية لأولادى عند قدمى ،حيث ربضت فى دعة واستكانة كالكلب الاليف . على حين ارتميت انا انزوى فى ركنى . فما لبثت ان سرت فى سعادة وطمانينة وانا ادور بعينى فى الحجرة الضيقة المألوفة . فتسمرتا ... عيناى هاتان ... على الرف المعلق فوق المقعد المقابل . فقد كان يطل على منه راس ضخم لغزال محنط بأحماض اغلب الظن انها هى التى تنفث تلك الرائحة الغريبة اللاسعة . راس تتلوى قرونه طويلة نافرة كأنها ثعابين كثيرة برزت الى نصفها من كهوفها ثم فجأة تحجرت باشارة من ساحر، كما فى احدى الاساطير الاغريقية المولع انا بقراءتها . او كانما تلك القرون غصون متفرعة لشجرة غريبة نادرة تنبت من قلب جمجمة الغزال !

وكانت على المقعد عينه ... تحت الرف براس الغزال المحنط .. صرة ثياب حجز بها صاحبها لنفسه مكانا . لابد انه مكافح مثلى ، امتصت شبابه المسئوليات ولعقت صحته الهموم . تطالبه اولاده بأشياء عجيبة واشياء ! انا نفسي طالبنى اولادى ذات مرة بثعلب حى ليربوه فوق السطوح ! تصوروا ! ومرة اخرى : مجموعة عقارب لابنى طالب الصيدلة . ومرة بنتى قالت لى :

— « والنبى يا ابى ، هات لى معك الخميس المقبل انثى قنفذ — صاحبتى « نعمات » عندها سلحفاة فى حجم الارنبة ، و « ميرفت » عندها أفعى بلا اسنان تخيف بها ضيوفها ونضحك كلنا ! »

هكذا الابناء . الله فى عونه ، هذا الأب الجالس امامى ! والله قلبى سبقنى اليه يرف حوله ، قبل ان أراه . لابد انه الآن وسط الزحام فى الخارج يودع اهله، او يشترى لنفسه سميذة وبيضتين . ثم يعود ليقرضهما فى ركنه كالفار . او لعله عود قصب ، ذلك الذى ذهب يشتريه . فيكسره على ركبته الى نصفين ، ويمد يده الى .. زميله فى السفر ... بالنصف الحلو الذى تتفرع منه الجذور . فأهل الصعيد يؤثرون الضيف او عابر السبيل على انفسهم . لكننى بالطبع سارفض — تأدبا ، واكتفى بمقلتين من نصف العود العلوى حيث تقل الحلاوة . لكننا سنهنأ بصحبة بعضنا البعض .. ونحن نمتص عصير القصب بقدر ما تسمح أسناننا .. ونلقى بالقشور على جريدة نبسطها تحت اقدامنا ، ثم نكورها ونقذف بها من النافذة فى وجه الليل والقطار منطلق — ولا من شاف ولا من درى ! وسوف اعطيه انا نصف الدجاجة التى حمرتها لعشائى « ام اسماعيل » التى تخبز لى وتطبخ لى ، وتغسل لى . وسوف يرفض بدوره ، لكننى سوف الح عليه الحاحا شديدا حتى يقبل . فاناوله معها رغيف « بتاو » ليضعه على ركبته ونصف الدجاجة فوقه ،كأنه صحن . ونأكل.. ونسعد .. ويمر الوقت .. ونحن نتضاحك ونحكى نوادر عن أطفالنا — خاصة عن « عادل » اصغر ابنائى . والله لو اننى اشتريت مثل راس الغزال الذى يطل على من فوق الرف المقابل ، لجاء العفريت الصغير وعلق فى القرنين الرهيبين حبلا وتارجح عليه ... !

فضحكت .

ضحكت وحدى من الصورة التى

رسمها خيالى .. والدنيا ليل .. وقطار الصعيد يزمجر ويشــق الليل والمزارع والسكون .

وفجأة ،ذاب ضــحكى . لعقته عن وجهى حقيقة قائمة ـ كيف يشــترى الرجل عود قصب أو بيضتين وسميذة، والقطار منطلق هكذا منذ ساعة ؟ اى والله ، صحيح ! كيف ؟ وممن ؟ ... وقد خلفنا المحطة وراءنا بأميال ! ثم خطر لى خاطر ، عادت معه ابتسامتى :لعله فى دورة المياه ! ولكن ، ساعة بحالها ؟ ولم لا ؟ لعل معه مجلة مسلية ـ هكذا مزاج بعض الناس !

فهززت كتفى . مالى انا وما للناس؟ واخرجت دجاجة «أم اسماعيل» ونزعت عنها الجريدة التى لفتها بها المراة مــع رغيفين من « بتاو » .ورحت آكل ، اعمل اسنانى المتناثرة فى اللحــم الطرى .. هانئا متلذذا .. اســلى نفسي بنفسي واحكى لها حكايات . حتى شبعت وحمدت ربى . لكننى لم أنسه. تركت له نصف الدجاجة لعشائه عند ما يجىء ـ زميلى المجهول فى السفر . ثم لملمت العظام التى تخلفت من نصيبى فى الدجاجة ووضعتها بعناية داخــل الجريدة المزيتة وكورتها لالقيهــا من النافذة . ولكن تلك النافذة اللعينة لم تحترم كهولتى وضعف ذراعى .قاومتنى بعناد حتى ضقت بها . فوقفت وســط الحجرة حائرا ، امسك بكرة الورق بين كلتا يدى كاننى طفل كبير ســاذج . فاطعت اول دافع راودنى للتخلص من تلك اللفافة :

انحنيت انحناءة خفيفة والقيت بهــا تحت المقعد المقابل ! ومن فورى ،ندمت. غشينى شعور بالذنب قوى اقلقنى .

فانحنيت اكثر ، اتحسس كــرة الورق تحت المقعد لاســتردها والقيها بمعاونة خادم القطار من النافذة او فى ســلة مهملات ، ان كان لديهم واحدة . اى شيء ، فقط امحو اثر ذلك الاندفاع الذى جعلنى اتصرف كتلميذ ابتدائىيتشيطن. لكن الظاهر ان اللفافة كانت قدتدحرجت تحت المقعد بعيدا عن متناول يدى . ومع ذلك لم يرحمنى ضميرى .فارتميت على ركبتى...وبخدى على الارض... رحت احدق فى الظلمة تحت المقعد .

فلما اعتادت عيناى الظلمة واســتطعت ان اميز المرئيات، دارت بى الدنيا دورانا عنيفا ..! مادت الارض تحــت ركبتى كاننى راكع على عجين ..!

فقد تســمرت عيناى فى عينين مذعورتين .. هناك .. تحت المقعد... حيث يختفى صاحبهما !

ولست ادرى كم ظللنا من وقــت هكذا : هو منبطح على بطنه كانما سقط من عل فى حيز ضيق ضيق لايسع اية حقيبة مهما صغر حجمها ، وانا ساجد كانما اصلى ـ فقط خدى هو الذى على الارض لا جبهتى !

واخيرا .. بعد لأى .. عند ما جمعت شتات نفسي المبعثرة من وقع المفاجاة.. وهممت ان اتراجع ـ بل اننى فعلا اتيت بحركة لانهض ، انطلقت يده كالســهم واطبقت على ذراعى تشلنى مكانى .

يا سيدى عبد الرحيم ياقناوى ـ مدد!

فتحت فمى لاصرخ .. لاصــيح .. لانادى احدا ما على الاقل ، فلم يخرج لى صوت ! فانا رجل على قدر حالى... وفى حالى .. لم الق من قبل فى حياتى موقفا كهذا ـ ولا اقل بكثير من هذا !

سنوات عمرى التسع والخمسون كلها..وسنوات عملى وكفاحى الخمس والثلاثون ... وسنوات زواجى التى هى توام لسنوات عملى — كلها كانت سنوات هادئة راتبة كأنها بحيرة .بحيرة فى قلب صحراء بعيدة .. بعيدة .. مجهولة الا من قليلين ، يردون على عينها يشربون .. ويأكلون .. ويستريحون.. ثم يشدون الرحال ويضربون فى الارض — هؤلاء هم أولادى،خلال سنوات زواجنا الاولى كان يرد الينا وافد جديد كل عام حتى أصبحوا دستة ! فبسطنا انا وزوجتى الطيبة المصلية اكفنا الى السماء نحمدها ونتوسل فى دعة ان تتفضل علينا بالرزق ، لا بالولد — حتى لا تجف البحيرة ويهلك واردوها ! وقد استجابت لنا السماء واكرمتنا بالستر والصحة والابناء الاثنى عشر وحسب ! توظف منهم من توظف وتزوجت منهم من تزوجت ، ولله الف حمد وشكر . طبعا ، ستر لبنات حلو . وتهادت سفينتنا كنسمة رقيقة ، قد لا يشعر بها احد لكنها هناك ... فى المؤخرة .. فى الظلال ... نعمل فى صمت ورضا وتواضع .

وهكذا. عشنا انا وزوجتى فى امان. انا قصير القامة ، وهى اقصر منى . انا مسالم ، وهى مسالمة اكثر منى .رجائى الهامس عندها امر ، وحاجتها التى لا تجاهر بها استحياء بل تفضحها بها عينها ، عندى انا واجب مقدس اذا اقترحت اقتراحا — مجرد اقتراح ، التقطته هى التقاطا ، تصغى لى مطرقة كأنها كلمات تأتيها من عل وتقول لابنائها :

— « ابوكم قال هذا ، لابد من تنفيذه ! »

ويطيع ابناؤنا .. ويكبرون .. وينجحون ..ويسعدون ... ويسعدوننا معهم .

فماذا سيفعلون الآن بعد موتى — بالاصح ، بعد مقتلى ؟ فطبعا سيقتلنى هذا الرابض فى الظلام تحت المقعد .. فى قطار نصف الليل ... والصعيد حولنا رهيب غامض ... والليل كحل ... وضوضاء العجلات تئد أية استغاثة ... واهل القطار مجهدون نائمون تائهون لاهون عنى وعن مأزقى!

فأغمضت عينى — تماما طفل يصد عنه خطرا بغمض عينيه ! ربما كان دوارا هذا الذى شعرت به ، ربما كان لاننى فعلااريد ان امحو..وان لحظات.. هاتين العينين المرعبتين اللتين ترمقاسى هكذا وتشلاننى مكانى ، كأنى عصفور فى حضرة ثعبان ! .

ثم ... يا للهول .. ما .. ما هذا ؟ انه بدأ يزحف خارجا !

تقهقرت سريعا ، أزحف بركبتى الى الخلف .. وعينى فى عينه معلقة ... ويده مطبقة لم تزل على ذراعى !

فلما استوى واقفا على قدميه ، كدت اهوى انا من طولى ! تخلخلت ركبتى كأننى مريض منذ سنوات . ووقفت جواره اكاد لا اصل الى كتفه ، مطرق كتلميذ مذنب. لكننى رفعت راسي بسرعة عند ما سمعته ينفجر باكيا ! يبكى ؟

لسانى عقد ، لكن قلبى رق له . فتى كان لاكثر — فى مثل عمر « صفوت» ابنى . عمر يدور حول العشرين .لابد

انه راكب القطار بلا تذكرة . مسكين يا ولدى ! ظروف دنيا . لا ضـــير . فأخرجت لفافة بيد ، لا تســـألونى عن مدى رعشتها ! لكننى تمالكت وقد سرى عنى شيئا . لا ، لم اكلمه .ولا كلمة . لم اضمن نفسي . فقط أشعلت اللفافة وعرضتها عليه فى صمت . فمســح وجهه الغارق فى دموعه بكلتا راحتيه المبسوطتين ، ثم تناول اللفافة منى بلهفة وان ارتعشت اصابعه هو الآخر .وراح ينفث منها حلقـــات من دخان تكاثفت متجمعة بسرعةفىجو الحجرة الضيقة ـ حلقة .. وراء حلقة .. وتلحق بالاثنتين حلقة ثالثة ورابعة ، فى تشـــكلات استعراضية : تتكور .. وتنبســـط .. وتنبعج .. ثم تتلاشي ، كأنما تلهـــو . وهو يتفرج عليها . ثم القى اللفافة على الارض قبل أن تنتهى وعركها بقدمه . والقى بنفسه على المقعـــد ـ يلهث ويلهث كأنما هوقادم منمشوار بعيد... مبهور الانفاس ... مشعث الشعر .. زائغ النظرات...مشتت الاعصاب... منهار تمام الانهيار !

فارتكنت الى الجدار من فرط دهشة عقدت لسانى .. وتفكيرى.. ومنطقى. فعقدت بدورى ذراعى على صدرى ، ارمقه فى انبهار . ومرة ثانية ،تخاذلت ركبتاى تتخليان عنى . فاستنجدت فى سرى بجميع أولياء الله الصالحين وقرات لهم الفاتحة . ثم بدا لى فجأة ان اطمئن على حلقة مفاتيحى ـ مفاتيح فىعهدتى. ربما تكون قد انزلقت من جيبى عندما اندفعت اركع بلا روية لابحث تحتالمقعد عن كرة الورق بعظام الدجاجـــة ـ حركتى تلك الرعناء ! القت بى فى ذلك لغبائى . يارب ، يارب : النبى حبيبك ، نظرة !

هنا ابتسمت عند ما اطمأننت وقـــد ارتطمت يدى داخل جيبى بحلقة المفاتيح، وانشرح صدرى لصلصلتها .

فكانت تلك الحركة القاضية !

ارتمى الشاب على ركبتيه امامى ، يضم قبضتيه تحت ذقنه فى قوة وتوتر حتى برزت عقل اصابعه شاحبة قـــد نضب منها الدم ، وهو يبتهل ويتوسل ويضرع :

ـ « حنانك ، سيدى ! رحمتك بى ! حنانك ، سيدى ! »

فلم أجد صوتى .

حنانى انا ؟ رحمتى به ـ انا ؟

من منا المذعور ؟

... وهو مسترسل وصـــوته ابح مجنون من فرط ذعر :

ـ «سوف اسلمها اليك ـ البضاعة! كلها ، كلها ـ خذها ! هاهى ذى كاملة غير منقوصة ! لم تمســـها يد ! لم انتقص منها جراما واحدا ! » جرام ؟

بماذا يهذى هذا الفتى ؟

لم افهم . ولم أخف عنه جهلى . فجأر :

ـ « آه ... تماما انت ، أنت !تماما كماقالوا لى عنك : تدعى البلادة والغباء وتنكر شخصيتك العظيمة الخـــالدة .. دائما .. ولآخر لحظة ! »

فدفعت طاقيتىالى الامام على جبهتى، لحك قفاى فى حيرة . نسيت احكى لكم

انى احتفظ دائما بطاقية « كستور » فى جيب سترتى لادفىء بها راسي أثناء السفر . ام الاولاد الله يسترها لا تنسي ابدا ان تدبر لى نصف متر من كسوة الشتاء لعمل هذه الطواقى التى لاغنى لى عنها فى رحلاتى كل خميس .

دفعت طاقيتى على جبهتى ، احك قفاى فى حيرة واحكه شاردا . شخصيتى عظيمة وخالدة ؟

فعالجت التفاهم معه . تنحنحت لاستجمع شجاعتى ، وما كدت ابدا :

ــ « والله يا بنى ... »

... حتى قاطعنى ، يزحف على ركبتيه عند قدمى ويرفع لى وجهه المتقلص من ذعر :

ــ « اليست تلك صلصلة القيد الحديدى الذى تحتفظ به فى جيبك للقبض على امثالى ؟ »

فصرخت بجزع :

ــ « قيد حديدى » وازدردت ريقى بصعوبة .. «فال الله ولا فالك يابنى!» ثم ضممت اصابعى فى طاقة أهزها تحت انفه .. « والنبى الله يهديك يا بنى ويجعل هذه الليلة تمر بخير : كف عن هذا الكلام الرهيب ! لم هذه البشرى المخيفة ! أوقعت قلبى ، الله يسامحك ! »

واستدرت لأجلس وقد كان يغمى على . لكنه انقض يحتضن ساقى وهو راكع امامى حتى كدت أتدحرج فوقه . فلما شعرت بذراعيه قويتين كأنما كبلنى بحبل ، تلوت الشهادة فى سرى مستسلما وروحى فى حلقى تتحشرج تكاد تفر ، وقد تأكد لى ان ساعتى دنت! هذا المعتوه سيقتلنى وييتم صغارى !

فصحت بأعلى صوتى من حلاوة الروح :

ــ « يارب يا معين ! .

ودفعت الفتى عنى فى محاولة اخيرة يائسة . فترك ساقى لكنه انقض يختطف يدى يلثمهما ويلثمهما بجنون ويمرغ عليهما ، وجهه وعيناه مغلقتان تسح منهما دموع ساخنة لاسعة . ثم سجنهما .. يداى المرقتان الضعيفتان بين قبضتيه الجبارتين اللتين تشبهان كلابتين من صلب ، وراح يجأر فى ضراعة :

ــ « استحلفك بكل غال يا سيدى الا تتلاعب بأعصابى اكثر مما فعلت ! انك أبرع من اى ممثل فى هذا العالم ــ هكذا قالوا لى ! تدعى التخاذل والشيخوخة والضعف ، ثم تنقض ! ولا يخيب انقضاضك ابدا ، ابدا اننا كلنا .. ارباب تلك المهنة ... نرضع مع لبن امهاتنا اسلوبك الفذ الذى لا يطيش ابدا فى الايقاع بنا ! اسلوب استاذ ضليع فى حقله متمكن من فنه بفضل علمه الغزير !

علم غزير ؟ انا « ابو صبرى » ؟ علم غزير ؟ هززت كتفى . والله راس مالى لا يزيد عن ايمان وامانة ، لذا سلمونى مفاتيح المخازن فى الضيعة التابعة لوزارة الاوقاف فى «كفر ابو طشت» !

فحاولت تصحيح معلوماته :

ــ « يا بنى انا رجل على قدر حالى ! انسان متواضع تجد مثلى آلافا يكدحون ويعملون جاهدين فى تربية حفنة ابناء تربية طيبة قويمة صالحة لننفع بهم الوطن ! »

... وهو على حاله ، كأنه اصم

لا يسمع ، يهذى ويهـذى كأنه فى أسر حمى خبيثة حلت عقال لسانه :

ــ « تماما ، تماما : انت ، بلحمـك وعظمك ! معلوماتنا عنك تفيد بأن هذا طبعك : نكران نفسك لمن يتعرف عليك ! سيدى اقبض على من فورك وأرحنى ! وقوع المصيبة ولا انتظارها ! بالله عليك كف عن لعبة القط والفأر هـذه التى تلعبها معى منذ وطئت القطار ! لقد تفتتت اعصابى وتناثرت هباء وهلكت تماما من فرط توتر وترقب ورعب طوال الرحلة من البحر الاحمر .. عبر الصحراء .. ثم هنا عندما اندسست بين المسافرين فى قطار الليل فأوقعنى سوء حظى فى الحجرة عينها معك ــ من لا اخشى فى الدنيا ســواه ! من لم يحذرنى قومى الا منه ! »

ثم رفع رأسه عن ركبتى حيث كان يمرغ وجهه عليها ويهذى ويهذى ــ رفع رأسه ليتطلع لحظة خـاطفة من خلف زجاج النافذة ، وحبـات كبار من عرق تلتمع وينضح بها وجهه مع كل خلجة من خلجاته . ثم صرخ بى :

« ها هى ذى اضواء محطة العاصمة تبدوا بربك ضع حدا لعذابى !

اعرف انى هالك معـك ــ هالك ! اعرف الا فائدة من مقاومتك !

اعرف ان قوتك بقوة عشرين ! اين القيد الحديدى ؟ اين ؟ هاهما يداى ــ كبلهما ! خذهما ! خذهما !

وكان القطار حينئذ يندفع داخلا اطار المحطة وهو يطلق صفيرا طويلا ظافرا ، كأنما اتى بما لم تأت به الاوائل !

. . . والفتى يغرغر بصوت متحشرج كأنه جمل يعذبونه .

«اقبض على ، وارحنى ! سأسير معك فى هدوء ! فلم تعد بى اعصـاب ! هدمتهـا انت بهـدوئك وبرودك : تأكل وتضـطجع لحظات .. ثم تغفو .. ثم تصحو .. وتتحرك ببساطة وحرية وانا اتلوى تحت مقعدك ! هاهمـا يداى ــ كبلهما ! خذهما ، خذهما ! »

فتلقفت يديه بين قبضتى كلتيهما ، حتى يكف عن الصيـاح هكذا ! والتفت عنه وعن هذيانه ، الصق انفى بزجاج النافذة احملق بلهفة فى الوجوه على الرصيف لعل احدا من ابنائى جاء يستقبلنى اليوم ، فيخلصنى من هذا البلاء !

وما كاد القطار يهدىء من سـيره استعدادا للتوقف ، حتى فتـح باب حجرتنا وسدت عتبته شرذمة من رجال الشرطة وعلى رأسهم ضابط .

وقد درت على عقبى بسرعة والضابط يقفز ويلقى بنفسه علينـا ويتلقف يدى الفتى منى ، ثم يطبق على معصميه بقيد حديدى غليظ ــ فى سرعة أسرع من مروق الخاطر ثم هذا كله !

ثم التفت الضابط الى مبتسما :

ــ « اقدم لك بالغ الشكر يا أستاذ أستاذ . »

فتحاملت وضربات قلبى تصم اذنى ، اضيف :

ــ «محسوبك» مدبولى البسطويسي امين مخازن تفتيش » كفر ابو طشت !

فشد الضابط على يدى بقوة وامتنان :

ــ « لقد ساعدت العـدالة لتأخذ

مجراها مساعدة أكيدة فعالة بذكائك الفذ وبفطنتك الرائعة وبسرعة بديهتك وشجاعتك الخارقة ! »

... وانا اربت صدرى ، مطرقا :

ـ « العفو ، العفو ! لاشكر يابنى على واجب » !

فأكد بصدق واخلاص :

ـ « صدقنى ، لولا أنت لافلت اللعين، ولما تم القبض على أخطر تاجر مخدرات ارهقنا سنين طويلة ! »

فتساءلت افافىء :

ـ « تاجر .. ما .. ماذا ؟ هو فتى فتى وحسب .. و .. » فقاطعنى :

ـ « فتى ؟ انه فى الثامنة والثلاثين ويبدو وكأن لم يتعد العشرين ـ وتلك آبرز صفاته ! »

ثم اشار الى جنديين :

ـ « هاتوا البضاعة ! »

فاستأذنت الضابط وارتميت على أقرب مقعد ، انكمش وألملم ساقى تحتى كأنهما طفلى المذعورين ـ وأوصالى مفككة .. وريقى جاف .. وعرق بارد غزير يغرقنى . وكادت عيناى تبرزان من محجريهما واحد الجنديين ينزل رأس الغزال عن الرف ويضربه «بالسونكى» لينشق الجلد المفرع عن « رزم » المخدر المهرب . ثم انثنى على الصرة التى ظننت بها ثيابا .

وعبقت الحجرة بالرائحة النفاذة الغريبة .

فرمانى المجرم بنظرة كالطلق النارى ، يفح من بين أسنانه :

ـ « اذن لم تكن تكذب على بشيخوختك ووهنك ! لست اذن « بحراوى »، المخبر السرى العربى العالمى الشهرة ! »

فضحك الضابط وهو يتأملنى :

ـ « فعلا ، تشبه له أنت جدا ! الا انه الآن فى « سكوتلانديارد » التى دعته ليلقى على رجالها محاضرة عن اسلوبه الفريد الذى ابتكره ويتبعه فى تفهم نفسية المجرمين وفى تعقبهم ـ فينجح دائما رغم ضآلة حجمه وقصر قامته .. وضعفه البادى ! »

... وانا فاغر فمى كالمعتوه ، ادير عينى بين المجرم والضابط !

وعندما غادرتنى القافلة الصغيرة . التفت نحوى الضابط ، يكرر شكره باسم القانون ثم الح على :

ـ « لابد ان تتوجه غدا الى المحافظة لتتسلم جائزة مالية كبيرة لمعاونتك لنا فى ضبط كميات المخدر الهائلة تلك !

فطار بالى الى بنتى رقم اربعة التى جاءها خاطب لكننا اضطررنا للاعتذار ، نتعلل بأمور كثيرة الا الحقيقة ـ مع أن البنت فى عزها ، والشاب متعلم وابن حلال !

وعندما تخيلت فرحة أمها لحظة تسمع منى بالنقود التى هبطت علينا من عند ربنا ، هتفت فرحان جذلان :

ـ « والله رزقك فى رجليك يا » «بدرية» يا بنتى ـ جهازك حضر ! » .

الم اقل لكم منذ بدء الكلام انه صديقى العجوز ـ صديقى جدا ، قطار الصعيد هذا ؟

جذور الحياة

قصة

بقلم عائشة ارناؤوط

كان السلم الذى أصعده طويلا جدا، ويدى المعروقة تتزحلق ببطء على الدرابزين العتيق المنخور ..

اننى تعبة رغم الحياة الجديدة التى تعترينى ، رغم الشعور الخفى الذى يتمزق فى أعماقى مانحا النبع الفنى لحياتى الشعور الذى يقول بأن ابنتى ستعود .. ستعود يوما ما ..

يترامى الى من بعيد ، من خلال الأبواب الكبيرة المغلقة فى هذا البيت الموحش صوت «لانا» ضاحكة مع المربية، ولا أستطيع ازاء هذا الشىء الا أن أرسم ابتسامة ما .. بالوان قاتمة ، هذه الابتسامة كنت أقابل بها ضحك لانا دوما .. وكانت تكلفنى الكثير ..

أواه يا حفيدتى الصغيرة ، لم يبق لك سواى ، ولم أبق الا لك ، كلهم رحلوا تاركين فى أعماق هذا البيت الأسود العتيق .. ربيعا وشتاء ..

وصلت الى المنحنى .. حيث الباب الكبير ، وتدفقت أصابعى من جيبى الى المقبض .. وأدرته ، الوجه الصغير الأبيض ، والشعر النابع من قلب الشمس ، والعينان البنفسجيتان . كل هذه الأشياء تتصلب أمام عينى بمجرد دخولى .. طارت لانا الى أحضانى ، وهى تتمرغ بثيابى التى تحمل رائحة البرد الجافة .. وعانقتها أشباح حلمى .. ، وبللها مطر شتائى الذى يفنى تاركا الربيع يدوس جثته فى النهاية ..

دون ارادة ، كنت أحس أننى اريد أن أكون وحدى لفترة ما .. نظرت الى المربية كانت تفهم كل ما اريد أن أقوله لها من نظراتى .. وبهدوء عجيب وصمت أرعبنى توجهت نحو لانا وقالت لها:

ـ تعالى ياحبيبتى .. فقد حان وقت النوم ..

رفضت لانا بادىء الأمر هذا الشىء ، كانت تريد الجلوس فى حضنى أمام الموقد الكبير المشتعل .. كانت تريد أن أقص عليها الحكايات عن أمها الراحلة التى ستعود يوما ما .. سيضعها طائر أبيض كبير على السطح وستهبط الينا حاملة ياسمين السماء الفضى ، أو ستنزل من سيارة سوداء مجهولة فى المنعطف القريب من الدار وستصعد الى البيت الكبير مجتازة الحديقة التى لم يعد يعتنى بها أحد .. بعد موتها

كنت أحس تماما بان هذه الأشياء

وحدها تعتمل فى صدرها من طريقة انتصابها الجامد وسط الغرفة ٠٠

نظرت اليها ٠٠ وقلت لها ببرود « ليلة سعيدة ٠٠ » وأدرت ظهرى ٠٠ وأخيرا ٠٠ لم تجد بدا من أن تمد يدها للمربية وتخرج دون أن تقبلنى قبلة المساء ٠٠

البيت الكبير غارق فى غابة من الصمت ،والنيران انطفأت ومات لهيبها فى حنجرة الموقد السوداء ولأول مرة توجهت نحو غرفة ابنتى الملاصقة لغرفتى ، ولأول مرة ٠٠ أجرؤ على فتح بابها منذ قتلت بظروف غامضة ٠

كان للباب أزيز حاد هزنى ٠٠ وما أن فتحته على مصراعيه حتى انسابت الى أنفى رائحة العفن الرطب ، تعانق رائحة عهد قديم منسى ينبع من حضنه ذكريات ٠٠

دخلت ، كان كل ما حولى تنسجه عناكب الظلام بصمت ، وبيد مرتجفة أشعلت الشمعتين ، كل ما فى الغرفة ميت ٠٠ وحزين ٠٠ وأسود ٠٠

سريرها وقد علته طبقة من الغبار ٠٠ الأرض وعليها بضع نقاط من الدم الأسود ٠٠ والخاكى ٠٠ وبضع اسطوانات ٠٠ والموقد والرماد ، والسقف الذى صار ماوى للعناكب ، وصرير السوس الذى يقرض الخشب يمزق السكون الرهيب بنعومة خافتة ٠٠

كانت عيناى تتلقفان كل ذلك ، وتجتران اليأس المرير القاتل ، ستأتى اليوم ٠٠ ! وستطأ قدماها أرض هذه الغرفة ٠٠ أجل ٠٠ انها ستأتى وها أنا أنتظرها ٠٠

اقتربت من نقاط الدم ، وانحنيت ٠٠ مفكرة بشكل لا ارادى ٠٠ وارتسم وجهها الأسمر ٠٠ يبتسم ٠٠ عابقا برائحة الشمس المحترقة ٠٠ ويتكلم :

ـ أتذكرين شجرة الحور التى اقتطعها زوجى قبل أسبوعين ياأماه ٠٠!

ـ أجل ٠٠

ـ لقد لاحظت اليوم ٠٠ وأنا أنظف الحديقة أن عدة أغصان صغيرة تنبت من بقايا الجذع ، لقد هزنى منظرها ، وشعرت بأن شيئا غريبا يمكن أن يحدث فى هذا العالم مادامت الارادة ٠

انها الجذور التى تربط كل شىء بالحياة ٠٠

كنت منحنية يمر أمامى كل شىء ويكرر مرة أخرى مختلطا مع النقاط الدموية وفجأة تحول وجهها الأسمر الباسم ٠٠ الى وجه شاحب يبكى ٠٠ لقد مات زوجها ، التهمته عجلات سيارة مجهولة سوداء ٠٠ وبقينا وحدنا نحن الثلاثة بعده ٠٠ ، أنا ولانا ٠٠ وهى ٠

رائعة كانت رغبتها بالحياة ٠٠ ولا ازال أذكر سهراتنا كلها واحدة فواحدة ٠٠ على ضوء القمر فى الحديقة ٠٠ فى جبين الصيف ، أما فى الشتاء ،فقد كانت الغرفة المغلقة تضمنا ، والنوافذ تخبئنا عن أعين الليل وشروره لاأزال أذكر الموقد المشتعل ٠٠٠ وبخار الشاى المتصاعد من الأقداح ، كانت رائعة ٠٠ وكنت أحبها ، أحب التصميم المرتسم فى عينيها ، والشموخ المعشش فى جبينها ، كانت جبارة وعنيدة ٠٠ عندما تتدخل ارادتها فى شىء ٠٠ فياويل السدود ٠٠

كانت تحب الحياة بشكل عنيف لأنها تريد أن تبنى لابنتها لانا .. حياة زاخرة بالسعادة .. فكل الخيوط التى تربطها بالعالم .. تمر من المحور «لانا» التى لم تكن قد تجاوزت آنذاك السنة والنصف من العمر ..

كانت تريد أن تعيش لأجلها .. ولاتزال كلماتها ولايزال صوتها ينساب كأنه نابع من فمها فى هذه اللحظة الصامتة ..

ـ أريد أن أعيش لها أن أشعرها بأنها لم تحرم من الأب قط ، أريد أن أعطيها حنانين .. وحبين وقلبين .

كانت قوية الثقة بنفسها لاتريد من أحد أن يساعدنا فى أعمالنا .. فمنذ الصباح الباكر تغسل الجواد ، وتعتنى بزهور الحديقة ،وتنظف الممرات وتطبخ ، كانت كل شىء فى دارنا الكبيرة ، كانت الرجل .. وكانت المرأة .. ان حبها للحياة أعطاها هذه القوة الهائلة السحرية .. والآن .. الحصان هزيل ..يرعى الحشائش الطفيلية النابتة .. والزهور .. لاتزال هناك متلاحمة بيأس مع الشوك .. تنتظر يدا تقطعها وتحملها الى البيت ..

لكن كل هذه الآمال ستبقى آمالا ميتة .. والحصان لن يطعمه أحد والحديقة ستظل نهب الأشواك والحشائش التى ستبتلع الزهور يوما ما .. والممرات ستظل مملوءة باوراق الأشجار الجافة ... والقبر .. الذى يحتم موت الأمل .. القبر الصغير .. فى الحديقة .. الذى ضمها منذ سنتين ضم أملها .. وارادتها .. ونبذ حياتها .. لقد ماتت مقتولة هنا فى هذه الغرفة بخنجر قديم صدىء . وكانت ميتة بشعة وعنيفة ، ولم تكن تحب ميتة كهذه .. كانت تقول « ان الميتة الحلوة .. هى التى تكون بأنين.. برفة هدب .. وينتهى كل شىء » لكنها ماتت بعنف وفى الظلام ولم يعرف القاتل .. ولم تعرف الأسباب .. كانت مؤامرة مجهولة لم تنسج الا لقطع الخيوط الحلوة .. وفى هذا البيت الرائع ..

ورفضت بادىء الأمر أن أصدق أنها ماتت ، ان هذه الشعلة من الحركة والحياة قد انطفأت الى الأبد .. خطفتها أذرع مجهولة ، كنت ارفض أن أصدق ولا أزال أومن بانها ستعود .. ستعود ..فانسانة كهذه لا تستحق أن تموت..

كان الصمت يتلولب مع خطوط ضوء الشمعتين المتكسرة .. ورجعت صورة القبر الى رأسى .. وبدأت أشعر أن ثمة خطوات تمشى على السلم الخارجى .. وسمعت صرخات خافتة متتالية .. ممزوجة بصوتها الرنان الحزين .. ورجعت كلماتها تدوى فى أذنى ..

ـ وشعرت بأن شيئا غريبا يا أماه يمكن أن يحدث فى هذا العالم مادامت هناك ارادة الانسان .. وها هى ذى ارادتى تتحرك الآن وتسيرنى ... انها الجذور التى تربط الانسان بالحياة .. تربط كل شىء بالحياة ..

ـ عندما يفكر الانسان بالحياة لاتستطيع أية رياح أن تقتلع جذوره المغروسة فى أرضها ..

ورجعت صورة القبر .. مشوهة بشعة . ورجعت صراخاتها العنيفة التى

تعلو ·· وصوتها الرنان الحاد ·· المملوء بالرعب، أثناء ذلك شعرت بأنها تتخبط حية داخل القبر تحركها الارادة القوية ·· ولم أتمالك نفسى ·· ركضت الى النافذة وفتحتها لأرى القبر ··

وكان هناك ·· معجون بالليل والصمت ·· وفجاة رأيت ذراعين تنبتان من طرفه وسمعت صوتا خافتا مجهدا ·

أغلقت النافذة بخوف ·· ورميت وجهى على ذراعى الممسكتين بمقبضيها ، وعاد لحن الصمت عنيفا وصاخبا ·· ورجعت الخطوات خارج الغرفة تدوى·· وتقترب ·· ثم ··· وفجاة ·· فتح الباب · ·وانتصبت بشموخها وعنف ارادتها أمامى :· كانت يدها ممسكة بباقة زهور ·· وكانت تلبس ثيابا غريبة رمادية ·· دخلت بهدوء وهى تبتسم ·· وتكلمنى .. كان صوتها رائعا حزينا كما عهدته ، لكننى اشعر الآن انه ياتينى من أعماق سحيقة وبعيدة ، من جزيرة نائية وسط بحر مجهول .. الم اقل انها لم تمت .. ؟.. وهاهى ذى قد عادت كما كنت أنتظر··

ـ هل نامت لانا يا أمى ·· ؟

ـ أجل ياعزيزتى ··

ـ ان رائحة الغرفة عجيبة أليس كذلك ؟؟ لم أشتم رائحة العفن الا فى القبر ··

ـ لم يسكنها احد بعدك ··

ـ ولن يسكنها أحد ··

توجهت نحو وعاء الزهور وتناولته·

ـ سأذهب لأملاه ماء ··

وذهبت ·· كان كل شىء يجرى كالحلم أمام عينى ·· ولكننى فى هذه اللحظة بالذات شعرت بأننى أفقد شيئا غاليا ·· وأكسب شيئا آخر ·· أعتز به ·· شعرت بأن كل شىء يمكن أن يحدث فى هذا العالم ·· ورجعت الى صورة شجرة الحور المقطوعة ·· والاغصان النابتة من بقايا الجذع ··

دخلت حاملة وعاء الزهور·· وضعته فى مكانه وأخذت تنسق فيه باقتها ·

ـ أتسقون زهور الحديقة كل يوم ؟

ـ أواه يا ابنتى ·· لم نعد نعتنى بالحديقة ، لقد تهدمت واقتربت من النهاية كما ترين ··

نظرت الى بعتاب ثم توجهت نحو النافذة وفتحتها ، اقتربت منها قائلة لها :

ـ أنت تعبة أليس كذلك ؟؟

ـ لا ·· أبدا ·· لقد جئت لزيارتك ·· كيف لانا يا أماه ؟ لقد اشتقت لها كثيرا حدثينى عنها ·

كانت تنظر الى الفضاء المسحوق مع الليل ، وكان فى عينيها لمعان غريب ، لم أعتد رؤيته أبدا ·· لمعان عالم آخر ··

وبعد لحظة من الصمت تابعت دون أن تنتظر الجواب ·· وقد غيرت الموضوع كليا ··

ـ لن تحتاجوا لهذا القبر بعد اليوم يا أماه ·

ـ لماذا يا ابنتى ·· انه قبرك ··

ـ كان حتى اليوم ·· قبرى ·· ولكن الآن ·· لم أعد فيه ·· جئت



لأودعك ولأقبل « لانا » ثم أرحل ..

ـ الى أين ..؟

ـ سأمتطى جوادنا الهزيل .. وأرحل ..

ـ حسنا ولكن .. ألن تأكلى ..؟ صنعت البارحة بعض الفطائر نظرت الى ضاحكة .. وقالت :

ـ الأموات لا يأكلون .. يا أماه ..

أغلقت النافذة .. ومشت تذرع الغرفة ، كانت رائحة ثيابها عجيبة جدا .. وهناك . وقفت فى نهاية الغرفة .. واستدارت نحوى قائلة :

ـ لنذهب الى غرفة لانا ..

تبعتها بصمت .. كنت هادئة .. ربما لأننى عجزت عن فهم ما يدور حولى . ولكن صورة الاغصان وبقايا الساق .. لا تزال ماثلة أمام عينى ..

دخلنا غرفة الطفلة .. التى كانت نائمة واقترب شبح الأم من السرير ونظرت اليها بحنان .. وعلى الضوء الخافت كنت استطيع ان أتبين شفتيها

المغبرتين ، ووجهها الشاحب الذي يقترب من وجه الطفلة والتصقت قبلة ما ٠٠ على الجبين الناصع ٠٠

بعد قليل ٠٠ استدارت نحوى ٠٠ وتأملتنى مليا بعينيها الحادتين ٠٠٠ وهمهمت ٠٠

ـ الوداع يا أماه ٠٠

ـ الى أين ٠؟

ـ حيث يسوقوننى ٠

ـ من هم ؟

ـ رعاة القطيع البشرى ٠٠

ـ الوداع اذن ٠٠ سأنتظرك ٠٠ هل ستعودين مرة أخرى ٠؟

ـ ربما ولكن لن أعود الا مع الليل٠٠

وفتحت الباب ٠٠ وذهبت ٠٠ كانت خطواتها تختنق كلما ابتعدت وشعرت بأنه يجب ألا أتركها تذهب ٠٠ اسرعت ٠٠٠ لكننى لم أجد أحدا ٠٠ كانت ثمة رياح خافتة الصوت تهمهم وأنة ماتت بعد لحظة من بعيد ٠٠

أواه ـ لقد فقدت كل ما أملك ٠٠ بى رغبة لأن أفعل شيئا ما ٠٠٠ أقتل انسانا ٠٠ أكسر نافذة ٠٠ أختق نفسى ٠٠ وانفجرت بالبكاء ٠٠ كان الشىء الوحيد الذى يمكن أن أفعله فى هذه الليلة ٠٠ لم أعد أستطيع أن أفكر ، عجزت عن ادراك أى شىء ، لم أعد أفهم : ما هى ذى المربية تدخل ٠٠

ـ آه يا سيدتى ٠٠ لم دخلت هذه الغرفة ؟ ما بك ؟

وأجبتها وأنا أنشج ٠

ـ لانا ٠٠ أحضريها الآن ٠

ـ انها نائمة !

ـ أريدها بسرعة ٠٠

ولم تمض دقيقتان حتى كانت تحملها بين ذراعيها ٠٠ وترميها فى حضنى ٠٠ وتنحنى بخوف أمام قدمى ٠٠ نظرت الى لانا ٠٠ قائلة لها :

ـ لانا ٠٠ هل أحسست بقبلة أمك ٠٠كانت شفتاها مغبرتين عندما لامست جبينك ، لقد رحلت ممتطية الجواد الهزيل وقالت انها سترجع فى يوم ما ٠٠ مع الليل ٠٠ فلننتظرها يا لانا ٠٠ طوال الليل ٠٠ ولننم النهار بكامله ٠

كانت لانا خلال كلماتى تغفو ٠٠ لكننى أسارع وأرفع رأسها بأصابعى

ـ ما هى ذى الزهور التى قطفتها لك من الحديقة ٠٠

واستدرت الى المربية قائلة :

ـ احضرى الزهور ٠

وتملكنى العجب ٠٠ كانت المربية ترتجف بخوف أمامى ٠ ٠وصرخت بها مرة أخرى بعنف ٠٠

ـ أحضرى الزهور ٠

وانفجرت الطفلة بالبكاء ٠٠ وتمتمت المربية ٠

ـ أية زهور يا سيدتى ٠٠

ـ الزهور الموضوعة فى وعائها ٠٠

ـ ان الوعاء فارغ ٠٠ ولا شىء فيه٠٠

ـ الزهور التى أحضرتها أمها ـ أم الطفلة ـ ٠

ـ أمها ٠٠!؟ أمها ميتة يا سيدتى ٠!

ـ ميتة ٠؟ آه ٠٠ أعرف ذلك ٠٠

لكنها جاءت هذه الليلة وقبلت لانا ٠٠ ألا ترين غبار شفتيها على جبين الطفلة ٠٠ غبار القبر ٠٠

ـ لا غبار البتة على جبينها ٠

ـ والحصان الهزيل أيتها الحمقاء ، لم يعد في حديقتنا ، لقد امتطته وذهبت قائلة انها ستعود يوما ما .. مع الليل.

باغتتني المربية وارتمت على منتزعة الطفلة من أحضاني ٠٠ وابتعدت بها وهي تقول :

ـ لا تلمسي الطفلة لقد جننت ٠!! الأموات لا يعودون ، الأموات لايعودون، الأموات لا يعودون ٠٠

وكررت كلماتها الأخيرة بحدة وعنف فصرخت بها :

ـ كفى انها لم تمت بالنسبة لي ٠٠

ـ ما هي ذي نقاط الدم على الارض تعري الحقيقة ، انظري ولا تخافي نقاط دمها العتيق ٠٠

ـ لقد عادت أيتها الحمقاء ٠ وها هي ذي الزهور موضوعة هناك ٠٠

ـ ان عينيك تشاهدان زهورا لاوجود لها ٠٠

ـ انت تكذبين ٠٠ ها هي ذي هناك٠

وخفضت رأسي متمتمة ٠

ـ آه لماذا لا تصدقونني ٠٠ لقد عادت ٠٠ لقد عادت ٠

وأجابتني المربية بهدوء :

ـ حسنا سيدتي ٠٠ لقد عادت لكن أرجوك لا تلمسي الطفلة الآن وغدا سنعرف كل شيء ٠٠

ـ دعي الطفلة معي ٠٠ سننتظر أمها حتى الصباح ٠٠

ـ انها طفلة ٠٠٠ ولا تتحمل ذلك ٠٠

نهضت من المقعد وتوجهت نحو «لانا» قائلة لها بهدوء وحنان ٠٠

ـ لانا ٠٠ ألا تريدين أمك ؟! لقد عادت ٠

ـ أجل يا جدتي ٠٠ أريدها ٠٠٠ ولكن أين هي ٠٠؟ أهذه هي غرفتها أين هي ٠٠؟ أريدها ٠٠ أريدها ٠٠ وركضت نحوي لكن يد المربية كانت أسرع منها ، فقبضت على كتفها وأوقفتها قبل أن تصل الى أحضاني ٠٠

ـ ان أمك ميتة يا لانا ٠٠ ولن تعود أبدا ٠٠

ـ ميتة ٠٠٠ آه ٠٠ اني أخاف الأموات ٠٠

وأخذت تبكي وتردد ٠

ـ لا أريد أن أراها ٠٠ انها ميتة ٠٠ وليست أمي ٠٠

واليوم ٠٠ ها أنا ذي انتظر ، لقد مضى على زيارتها الأولى أسبوعان انتظرها في غرفتها فاتحة النافذة على مصراعيها ، ناظرة الى الحديقة والى الممر ٠٠ مصغية طوال الليل الى خطوات ستمشي على السلم ٠٠

وموت الحصان الهزيل قبل أسبوعين بالذات ٠٠ ورفض الجميع ٠٠ وشكهم في ٠٠ وخوفهم مني ٠٠ كل هذه الاشياء تمر أمام عيني ٠٠ وأعجز عن ادراكها ٠٠ لقد أبعدوا الطفلة عني ٠٠ فلم أعد أراها أبدا ٠٠ وهذا هو الشيء الاخير الذي لم أعد أفهمه أيضا ٠٠



قصاص من جيل بلا أساتذه

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

عند ما يشيع بين الناس ـ ولو زورا وبهتانا ـ ان بعض النقود الزائفة طرحت فى السوق ... يبدأ كل الناس فى فحص ما بين أيديهم . يحملقون فى كل (ورقة) ويختبرون كل (قطعة) حتى ولو كان الأمر مجرد اشاعة ..

ومنذ قدم استاذنا محمود تيمور قصة محمد القرش وقامت حولها الضجة المعروفة فانا اضحك ملء قلبى . لأننى ـ ولو سلمت جدلا ـ بما نسب لهذا الأديب العاثر الحظ فانى ارى أن من طبيعة المجتمعات النكوص عن حساب كبار اللصوص فى الوقت الذى تضيق فيه الخناق على برىء لا يملك المـــال الذى يخدم قضية براءته .

وقد عمدت أن الفى بكلمة حول ما فات تمهيدا لما ساقوله عن قصة ساقدمها فى هذا العدد . وذلك لسببين :

أولهما : ان كلمة محمد القرش فى عدد سابق من مجلة ((القصــة)) لمست قلبى. فقد كان دفاعه عن نفسه طلقات فى كل اتجاه اصاب بعضها صدره شخصيا . والمسالة فى رايى ما كانت تستحق كل هـــذه الدموع من (المتهم) ولا كل هذه الصرخات من (ممثل الاتهام) اللهم الا اذا كانت حياتنا الأدبية صــورة من حياة المجتمعات العامة وليست ذات ضـمير خاص ... بمعنى أنها تكرم اللص الكبير وتعلق حبل المشنقة لمن لا يملك وسيلة للدفاع عن براءته لأنه صغير .

والسبب الثانى للخوض فيما فات : اننى ساقدم قصـــة للقصاص ((محمد حافظ رجب » ... أحد الذين أطلقوا على أنفسهم اسم « جيل بلا أساتذة » وليس بعيدا أن يخلقوا منه ((قرشا)) آخر . ويجعلوا القصة عملة زائفة .

ويقف (ممثل اتهام) جديد وقد اتشح (بالروب) يرغى ويزبد مناديا بالقبض على لص جديد . وعند ذلك ـ لا سمح الله ـ سترى مجلة القصة نفســها مضطرة لانتداب بعض (موظفى تحقيق الشخصية) لرفع ((بصمات)) كثير من المؤلفين كما تفعل الحكومة فى حوادث السطو على (الخزائن) .

ويجدر بالذكر ان (البصمات الأدبية) فيها مجال للتشـــابه وأن من الممكن

نسب كثير من المسرحيات التى عرضت هذا العام الى اصول شرقية او غربية ونسب كثير من الروايات (واقول الروايات لا القصص القصيرة) الى اصل شرقى او غربى • وبذلك نتحول جميعا الى لصوص •• ليس أشرفنا أقلنا سطوا بل أشرفنا أعظمنا سطوا ، مادمنا سنجعل مجال المفاخرة هو عدد ((السوابق)) يا سادة ! !

وأحب أن امهد بتمهيد جديد لقصة حافظ رجب هو أن سبب تقديمى لها انما هو اقتناعى بالمبدأ الذى اتخذته مجلة ((القصة)) من تقديم الكتاب الشباب — وأيضا اقتناعى الشخصى بالقصة ذاتها ((الكرة •• وراس الرجل)) • وأيضا عقيدتى أن الأستاذ يوسف السباعى قد كان صائب الرأى حين نقله الى مجلس الفنون • وأيضا لأن هذا الكاتب الشاب يعيش فى ظل ((الصمت)) فى الحياة الأدبية • ((الصمت)) الذى يراه المغنى والممثل المجيدين من جمهور له أو متآمر فيأخذ الممثل او المغنى فى الصراخ ليحرك الجمهور أو يبدد الصمت • وأيضا لأن الأدباء الشباب غير قادرين على احتمال مؤامرة ((الصمت)) فهم يفضلون صفير السخرية على السكون الشامل لأنهم يضعون الأحجار الأولى فى بناء حياتهم الأدبية ويتخذون من الوسائل ما يعتقدون انه كفيل بانجاح بنائهم وأيضا لأن كثيرا من الكتاب المشهورين لا يحتملون ((الصمت)) بل لأن كثيرا من الكتاب المشهورين لا يحتملون فتور الضجيج ويرون أن حياتهم الأدبية تستمد أنفاسها من الشخاليل والجلاجل والدفوف ••• من الضجيج ! !

وأيضا لأنه أصبح من المألوف فى حياتنا اليوم أن يصطنع كل كاتب ناقدا • وقد فضلت استعمال كلمة ((يصطنع)) مع انها غريبة بعض الشىء لأنها هى القادرة على اداء المعنى •••

وقد حرصت مجلة ((القصة)) على تقديم باب للنقد بمواصفات جديدة يحمل ميزانا لا جور فيه فعسى أن يوفقها الله •

لكن الذى أكتبه عن حافظ رجب ليس كتابة ناقد عن أديب لأن هذا فى رأيى عمل يحتاج الى تدريب ((نفسانى)) لا أطيق احتماله ولكن الذى أكتبه عنه يندرج تحت اى عنوان ••• ربما كان تأملا لعمل فنى أعجبنى فليس الحكم على جمال المآذن وأبراج الكنائس وقفا على بناتها من المهندسين والا كان معنى هذا أنهم بنوها لأبناء مهنتهم ولكن عندما ينتقل الاحساس بالجمال من الخلاق الى المتذوق ببساطة وسرعة وعذوبة ويأخذ صفة الدوام — كان معنى ذلك أن العمل جليل ••• وجميل •

هذا هو رأيى • ومن أجل ذلك سأقول رأيى • وعند ما يتحرش بعض الناس بمؤلف كل قصة تقدم ليجعلوا منه ((قرشا)) آخر فان مجلة ((القصة)) ستضاهى بصمات كثير من المشهورين على قصصهم ببصمات كتاب أجانب خصوصا فى

المسرحيات . ومعنى ذلك مرة أخرى أننا سنحظر على الكاتب العربى تصوير أية مشكلة من ((كادر)) جديد مع أن اختلاف ((الكادر)) هو الصفة الوحيدة للكاتب .

* * *

القصة نصفها حلم ونصفها حقيقة . ويلاحظ ان الحقائق فيها عليها تهويمات الأحلام . وأن الأحلام فيها مجسدة مثل الحقائق .

أراد الكاتب فيها ان يقول ببراعة ((من الممكن جدا أن يحتشد جمهور الكرة حول رأس المفكر وعند ذلك سيكون الجمهور هو الفائز وصاحب المكسب . وأن المستقبل سيحقق هذا الحلم لكن بعد عذاب ...))

هذا هو ما أراد الكاتب أن يقوله . نعم . وقد بدأها ((بالحلم)) عند ما طلب من الشرطى أن يدخل الى الملعب ليسترد رأسه . ثم انتقل الى الحقيقة عند ما بدأ يتحدث عن المجلة التى احتجبت عن القهور لانشغال الناس برؤية الصراع حول الكرة عن رؤية الصراع حول الفكرة مع وجود شبه غريب بين الكرة والرأس .

وجو القصة فى عمومه صادق ... صادق جدا . صادق الى درجة شممت منها رائحة الحبر والفكر فى المطبعة التى بيعت وبقى مكانها برميل فارغ . ورائحة غبار الملعب الذى أثارته الأقدام وصفير اللاعبين الذى صم أذنى ...

والنظارات الطبية وعلاقاتها بالمفكرين ...

كل هذا أعجبنى

والرجل الذى يتحول من عمل الى عمل لأنه لا يؤمن بنوع من العمل وأن يؤمن بلذة المعدة ولذة الأنف ولذة الفم . المحرر الذى اشتغل معلقا رياضيا ... بديع . وبديع أن يدوس رئيس التحرير أنفه مع القرنفلة الحمراء ...

وقد رأيت حافظ رجب شخصيا فى القصة وهو يقول : ((ماء ... ماء)) رأيت سخريته حتى من نفسه . ورأيت اندفاعه شخصيا وهو يمسك بالكرة فى الملعب وسط آلاف من الناس وليكن ما يكون كل هذا ليجعل الجمهور يصغى اليه وليقول لهم ما يريد .

ان عنوان القصة (واقعى) ونسجها ينتمى لشىء غريب ... لا أريد أن أقول (اللامعقول) وانما أستطيع أن أقول ـ لأكرم المؤلف ـ انه صنع من مادة الأحلام وأجسام الحقائق هذه القصة . وأنها جاءت رائعة .

من الممكن أن تكون هذه القصة فوضى منظمة او نظاما مهرجلا فى هرجلته تلقائية عذراء جميلة .

وقد يصعب علينا أن نصف شيئا غير مفهوم تماما بعبارات مفهومة تماما . لكن كان كاتبها كانت تتناوبه اليقظة والنوم وهو حين يكتب نائما يكتب كتابة

صحيحة • وهو حين يكتب يقظا يكتب كتابة صحيحة • وعند نهاية القصة •• لم يستيقظ •• بل استغرق فى النوم تماما والقى القلم جانبا واستلقى على الكرسى الذى كان جالسا عليه ، حدث ذلك بالضبط عندما كتب آخر سطور القصة ((فى الحقيقة انا اشعر بالسرور • لقد اثبت لهم ان راسى فى امكانها ان تقف مع الكرة وهذا يكفى)) !!

ثم استغرق المؤلف فى النوم واستمر فى الأحلام • لكن حلمه بالنسبة لما سمعه وهو يهمس به حقيقة جميلة ... مشرقة • يود له القارىء الا يفجع فيها لانها مكاسب مشتركة •

والحوار •• الحوار •• ارض المعركة وسبب المشاكل بين هذا الجيل والجيل السابق واللاحق • ونقطة الارتكاز التى تشبه مسمار جحا فى قصة على احمد باكثير • والاسطورة القديمة • ما موقف هذا الكاتب الشاب من الحوار فى هذه القصة ؟!

اقرا القصة ، سترى حوارا سهلا فصيحا عذبا يؤكد ان لغتنا فى مرونة ماء الجدول • حوار يستحق عليه التحية •

واخيرا ... لم يكتب حافظ رجب هذه القصة التى اعجبتنى لانه بلا اساتذة، بل لأن له اساتذة علموه ... التجربة والصبر وكلمات التقدير والرعاية التى نالها. أما اذا كان قصده انه يستمد امكانياته من داخله فذلك صحيح بالنسبة لكل الناس ـ فقد قرات حديثه فى مجلة الثقافة •

والتجربة الخارجية بالنسبة لكل الناس واحدة من حيث هى تجربة خارجية كرؤية السد العالى مثلا لكن للتجربة الخارجية ظلا تلقيه على النفس هو التجربة الداخلية او الشخصية ...

وهذه تختلف من شخص الى شخص وكل فيها تلميذ لنفسه اذا تناسينا انه مجموعة من معلومات ومأكولات ومخاوف وذكريات يخزنها عصب ويحيط بها جلد له لون اسمر أو أسود او اصفر او ابيض •• اسمه الانسان •

✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶

✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶✶

الكرة ورأس الرجل

محمد حافظ رجب

قال الرجل الذى بلا رأس ·· الشـــــرطى الواقف خلف ســــور الملعب :

ـ هل لك أن تساعدنى يا سيدى الشــــرطى · · لأســـترد رأسى التى يلعبون بها داخل الملعب ؟

···· ومد الشرطى يده له ·· ليتعلق بها قائلا :

ـ هيا بنـا ·· لنرى ما يمكننا عمله ·

··· المجلة التى أكتب فيها لم تعد موجودة ··

تركها الناس الذين كانوا السبب فى وجودها ··

·· ساروا فى صفوف طويلة·· نحو الـكوبرى ·· يعبرونه ·· ثم يعثرون على الملعب ··

·· هنـاك يشترون بثمن المجلة ·· تذاكر مباراة كرة القدم ··

·· فى البداية قال رئيس التحرير لنا :

ـ عدد النسخ المباعة تقل كل يوم··

·· رد عليه محرر سمين·· له لسان طويل ·· ويدخن نوعا من السجائر له رائحة تثير الاشمئزاز والتفكير فى وقت واحد ·· قال :

ـ لكن عدد تذاكر مباراة كرة القدم ·· يزيد ·· وهذا هو المهم ··

عبس وجه رئيس التحرير ·· زمجر ثم أجاب فى حزم :

ـ ولو ! لا يهم ·

·· ولم يبق الا أنا ورئيس التحرير العنيد ··

كان فوق عينيه نظارة بيضاء·· وأنا ألبس أخرى ·

·· يبدو أن هناك سببا ما يربط بين العناد والنظارات الطبية !

··وتركنا المحررون الذين لايتعاملون مع النظـارات ·· وسـبقهم المحـرر (سليط اللسان) أصبح معلقا رياضيا·

·· ومع ذلك كان يزورنا بين الحين والحين ··

·· فى مخه الآن سيجار ··

فى عروة الجاكتة قرنفلة حمراء ··

صاح فينا عندما رآنا :

ـ ياه ! لشد ما أصبحتما كالماعز ٠

٠٠ تحسست جلدى ٠٠ فتبينت أنه قد أصبح خشنا ٠٠

وتطلعت الى رئيس التحرير فنظر الى بغضب وقال :

ـ لماذا تنظر الى هكذا ؟ هه ؟٠٠ ماء ٠٠ ماء ٠

وتبينت أخيراأنه يشبه معزةحقيقية٠

٠٠ ووجدنا أنفسنا ذات يوم ٠٠ ونحن جالسانفوق برميلقديم ٠٠ مكان المطبعة التى بعناها ٠٠

قال رئيس التحرير :

ـ لا تبتئس ٠٠ سأعاود النضال من جديد ٠٠ امسح نظارتك ٠٠ سأذهب من فورى واخترع شيئا ٠٠ وسأجمع نقودا ٠٠ وأصدر بها المجلة ٠٠ وأنت ماذا ستفعل ؟

وقبل أن ارد هبط علينا زميلنا السمين ٠ ٠قال :

ـ لماذا تقفان هكذا ؟

وعرف الأمر ٠٠

قال لرئيس التحرير وهو يضحك ويدخل أنفه فى جيوب القرنفلة :

ـ يمكننى أن أجد لك عملا ٠

قال رئيسالتحرير وهو يحسبلسعة الاهانة :

ـ ماذا تشغلنى ؟

قال وقد اختفى أنفه داخل القرنفلة:

ـ تحمل كرة الفريق ٠٠ وتحرس ملابسهم !

٠٠٠ زمجر رئيس التحرير ٠٠ ومد يده بسرعة وتناول القرنفلة وبداخلها أنف المعلقالرياضى والقى بها على الأرض وسحقها بحذائه ٠

٠٠ صرخ المعلق :

ـ انتظر ٠٠ انتظر ٠٠ أنت تدهس أنفى بحذائك ٠

قال رئيس التحرير :

ـ أحسن !

ونظر الى وقال :

ـ وداعا ٠٠ أنا ذاهب لأجمع النقود

٠٠ سأرسل لك نموذجا من اختراعى على عنوانك والى اللقاء ٠٠

وانصرف ٠٠

٠٠ تناول المعلقالرياضى أنفه المهشم من الأرض وأعاده الى مكانه ٠٠ وقال ضاحكا وهو يضع ذراعه حول كتفى :

ـ لقد أصبح شرسا ٠٠ أما أنت ٠٠ فانا احبك ٠٠ وعندى شئ لك ٠٠خذ ٠٠ اهه ٠

٠٠ ومنحنى تذكرة مجانية لمشاهدة مباراة ستقام اليوم ٠٠ قال :

ـ انها أهم مباراة فى هذا الموسم ٠٠ اذهب لتراها ٠

وأخرج من فمه السيجار الذى لم يشعله بعد ٠٠ وادخله فى فمى :

ـ وخذ هذا ايضا ـ اشعله فى الملعب٠٠انه من لوازم مشاهدة مباريات كرة القدم ٠٠ والى اللقاء ٠٠

وانصرف ٠٠٠

وقررت أن أذهب على الفور ٠٠

٠٠٠ تبينت أن تذكرتى تسمح لى بالجلوس بين الناس الذين كانوا منذ زمن يشترون مجلتنا ٠

٠٠ كانوا وقتها معجبون برأسى ٠٠ لكن ملامح وجوههم الآن تؤكد لى أن اعجابهم تحول عن رأسى مسافة لا شك أنها طويلة ٠

.. فجأة دخل لاعبو احد الفريقين يحملون الكرة ..

.. ولم تكد عيون الآلاف ترمقها حتى قاموا صائحين فى جنـون ... وتحسست فى تلك اللحظة رأسى ..

.. رحت أقارن بينها وبين الكرة : الكرة مستديرة .. ورأسى هى الأخرى مستديرة .

.. ولـكن كل هؤلاء النـاس المتحمسين- حتى سور الملعب ..يهتمون بالكرة أكثر من رأسى ..

.. ورحت أفكر فى المسألة من كل أبعادها .. والناس من حولى يقومون ثم يقعـدون .. ويصرخون .. ويعاودون الصمت من جديد .

.. وأخيرا جـدا تبينت أنى لست موجودا .. وبالتالى فرأسى هى الأخرى غير موجودة .. ولأننى غير موجود .. فقد مد رجل خلفى يده وشد شعرة من رأسى من فرط الحماس ليس الا! فالتفت ورائى مندهشا فقال وهو يـستعد للصراخ :

ـ معذرة .. حسبت رأسك معلقة فى فراغ .

قلت وأنا أرغب فى محادثته :

ـ انها كذلك .. ولكنها تـستحق الاعجاب أيضا .

.. لكنه لم يرد .. قفز الى أعلى وصرخ : « جون ! »

.. أدركت أن الامر يحتاج الى دفاع عن رأسى : فنتيجة لقراءة مئات الكتب أصبحت رأسى مستـديرة .. ولذلك أغرمت بها .. وعلى اذن أن أنقل اعجاب كل هؤلاء اليها .. يجب أن أبين لهم الفرق بين رأسى والـكرة .. وأيهمـا يستحق الاعجاب أكثر ..

.. قمت واقفا .. فصاحت ألف حنجرة : اقعد .. اقعد .

.. رفعت يدى اليهم : ولكن يجب أن أنزل لأحدثكم بالأمر .

ـ ييى .. ييى .. ابعد قدمك .. اجلس عندك .. ييى .. ييى ..

..وقدماى تفسحان لنفسهما مكانا بين آلاف الأقدام .. وصيحات الازدراء

... حول المدرج .. وجدت الجنود يقفـون فى دائرة مذهولة تحملق فى الكرة .

.. اقتربت من جنـدى غارق فى الدهشة :

ـ هل تسمح لى بالنزول الى أرض الملعب لأمر مهم ؟

قال الجندى متمتما :

ـ تفضـل اشرب شاى .. اعتبر نفسك فى بيتك .

شكرته وسرت .

.. فى هذه اللحظة صاح جنـدى (ليس مذهولا) : امسكوه .

.. ورأيت أكثر من جندى يسرعون نحوى .. وقعت فى « كورنر » .. لكن الحظ تدخل : جرى لاعب بالكرة .. وأودعها الشباك .. عندئذ فتحت آلاف الحناجر أبوابها..وأخرجت كل ماتجمع من الغاز الناتج من عملية الاحتراق الشـديد ... وتوقف الجنود مكانهم وراحوا يطردون الغاز خارج الملعب .

أصبحت حرا .. على اذن أن أتقدم الآن بشجاعة .. لـكن .. اللاعبـون يعانقون بعضهم .. رأيت بعضهم يبكى .. وصفر الحكم : ليكفوا عن البكاء ..

.. الآن تهيـأوا للعب .. هـذه لحظتى ..

٠٠ تقدمت الى منتصف الملعب ٠٠ رفعت يدى أمام كل هؤلاء الناس :

ــ هاه ٠٠ انتم ، كفوا عن الصياح ٠٠ استمعوا الى قليلا ٠٠

٠٠ لكنهم لم يستمعوا ٠٠ ظلوا يصيحون : فيها جون ٠٠ فيها جون ٠

٠٠الجون يجب ألا يعطلنى عن الحديث اليهم ٠٠ صحت بأعلى صوتى مرة أخرى وأنا أحاول أن أغطى صيحاتهم :

ــ أريد أن أتكلم قليلا معكم ٠

٠٠ فى هذه اللحظة سمعت صفيرا حادا ٠٠ هز رأسى ٠٠ فرفعت أصبعى أشير اليها :

ــ انتظروا قليلا ٠٠ انها هى الاخرى مستديرة ٠٠ ولو لعبت بهـا أمامكم لتغيرت نظرتكم ٠

٠٠٠ التقطت أنفاسى ٠٠ وأخرجت منديلى لأمسح عرقى ٠٠ لكنى لمحت جنديين يسرعان نحوى ٠٠ التفت الى الناحية الاخرى ٠٠ وجدت الحكم ــ من بعيد ــ يشير الى ٠٠

٠٠ تركت أنفاسى تتبعثر٠٠وأدخلت المنديل فى جيبى ٠٠ وأسرعت أبتعد بقدر ما أستطيع عن متنـاول يدى الجنديين ٠٠

٠٠ أصبحت فى نطاق دائرة الكرة ٠

٠٠ هناك لحظات يجب على الانسان أن يقرر فيها مصيره بسرعة ٠

قررت أن أحتمى بها ٠٠

٠٠٠ صحت فى الحكم ٠٠ والجنديين ٠٠ وآلاف الحناجر :

ــ انتظروا قليلا ٠٠ سأعرض عليكم قضيتى ٠٠ عليكم أن تختاروا بين رأسى وبينها ٠٠ كل ما أريده أن تكون لكم فرصة لتجربتها ٠

٠٠ صاحت وجوه كثيرة غاضبة :

ــ اخرجوه ٠٠ اخرجوه ٠

٠٠ وتهيأوا للنزول الى أرض الملعب: سنخرجه بأيدينا ٠

٠٠ صاح الحكم : اخرجوه ٠٠ والا فسخوه بأيديكم ٠

٠٠ المسألة الآن محصورة فى كيفية الهروب من الشبكة : الجنود يقتربون فى حركة كماشة ٠٠ ازددت بعدا عنهم ٠٠ أصبحت داخل أقدام اللاعبين ٠٠٠ صفر الحكم :

ــ اقذفوا به من فوق السور ٠٠ والا ذهبت الى بيتنا ٠

٠٠٠ أصبحت وحدى تماما : عقولنا قادرة فى بعض الاحيـان على صنع الدهشة ٠٠ أمسكت بالكرة ٠٠ عانقتها ٠٠ نمت فوقها ٠

٠٠ فى هـذه اللحظة الحاسمة ٠٠ تبينت أنى أمسكت بزمام القوى ٠٠

٠٠ صفر الحكم ٠٠ اتجه نحوى ٠٠ رفع مساعداه العلمين ٠٠ اتجها نحوى

٠٠ التف اللاعبون حولى ٠٠٠ وصل الجنود ٠٠ وبعض النـاس الغاضبين ٠٠ أحاطوا بى ٠

٠٠ رفعت عينى فى عيونهم وجدتهم يبتسمون ٠

٠٠ عرفت لماذا ٠٠ لأنى أحملها فى يدى ٠

قال الحكم : هات الـكرة لنكمـل المباراة ٠

قلت له : استمعوا الى أولا ٠

قال الحكم : ماذا تريد أن تقول ٠٠ عجل ٠

قلت : لا تتعجلنى ٠٠ الميزان فى يدى ٠

قال لاعب : دعه يقول ماذا يريد ٠



قلت : يجب أن تعـودوا ـ أولا ـ وتشتروا المجله ·

·· فى هذه اللحظة صاح صـوت غبى كعجل البحر :

ـ أهو أنت ؟ ·· لقد عطلتنا ·· أنت تقوم بحركة تخريب مقصودة رسمها لك رئيس التحرير بلا شك ـ هات تذكرتى·

··· نظرت اليه ·· وجدته المحرر الذى استقال من مجلتنا ·

قلت : اسكت أنت ·· كل سيجارك واصمت ·

·· استمع الى نصيحتى على الفور : بدأ يأكل سيجاره فى صمت ·

قال الحكم : وماذا تريد ثانيا ؟

قلت : رأسى ·

وقبل أن أكمل كلامى صاح رجل من المدرجات ·

علقوها فوق المدرجات ·

صحت فيه : لو فعلتم ·· أنا الآخر سأخنقها ·

وأشرت الى الكرة ·

قال الحكم : لا تهتم به ··· مالها رأسك ··

·· لـكن الحناجر عادت تصرخ من فوق المدرجات ·· فاطبقت أصابعى على الكرة بتشنج ·· قلت له :

ـ دعني أخاطبهم ··

قال : افعل ما تريد ·· ولننتهى ·· نحن نريد الكرة فقط لنكمل المباراة ·

قلت له : يجب أن أقنعهم بها ·· يجب أن اقنعهم ·· فقط لو يمكنوننى من الكلام ·

·· صحت أمام الجماهير : دقيقة واحدة من فضلكم ·

·· تعالى الصفير ·· غطى على صوتى ·· وعدت أقول :

ـ أردت أن أقول لكم ··أن رأسى تساوى هذه الكرة ·· لو تجربونها مرة ·· جربوها مرة ·

صاح الناس : اخرجوه ·· اخرجوه ·· نريد الكرة ·· نريد الكرة ·· أعيدوا اللعب ··

·· ووجدت فى عيونهم الشر ·

·· جريت بالكرة ·· اتجهت الى رئيس أحد الفريقين :

ـ حاول أن تجرب راسى بدلا منها ·· أؤكد لك أن فريقك سيفوز ·· فقط جربها ·· هز رأسه رافضا وابتسم ·

·· جريت الى رئيس الفريق الثانى :

ـ وأنت ؟ حاول أن تكون أكثر ذكاء منه أؤكد لك أن الحظ سيكون معك

صاح لاعب متحمس :

ـ لماذا لا تجربها ؟

قال رئيس الفريق : لست أدرى ·

ـ هاتها ··

·· وأخذها ·· واندفع نحو الملعب ·· وابتسمت وأنا أضع الكرة مكانها فوق عنقى ·

ـ جون ··· جون ··· جون ·

··· وارتفعت صيحات الآلاف تثقب سور الملعب ·· فدخل الواقفون خارج السور بلا تذاكر ·

···· رأسى مع فريق اللاعب الذى اختارها ·

···· الفريق فاز حتى الآن بأربعة أهداف ·

····اصطدمت رأسى بشباك الفريق الآخر الذى رفض اللعب بها ·· فانتزعها حارس المرمى من الشباك بغيظ ·· انتزع بأصابعه شعيرات من رأسى تساقطت ·· فصرت على أسنانى من الألم ·

·· ولكن أحد اللاعبين صوب رمية عنيفة أصابت مخى تماما فتناثرت محتوياته ورأيت أوراق الكتب العديدة التى قرأتها تتطاير فى الهواء ··

صحت : أوقفوا المباراة ·· أوقفوا المباراة ·· أوراقى تطير فى الهواء ··

وأسرعت أجمعها وأضعها فى جيبى ·

··انتزعت جسدى بصعوبة من تحت اكوام الورق ·· فوجدت نفسى راقدا فوق أرض الملعب والدماء تنزف منى : شاط لاعبان الكرة مرة واحدة ·· فسال الدم من جبهتى ·· وأخرجت منديلى ومسحته وتوجهت خارج الملعب·

ـ هل لك أن تساعدنى يا سيدى الشرطى لأسترد رأسى ؟

·· لكننا عندما عدنا معا وجدت العشرات من الناس يحملون لاعبا يرفع رأسى بين كفيه ملوحا بها لهم ·· فيصرخون فى جنون ··

··قال الشرطى لى :

ـ ماذا ستفعل ؟ رأسك مع الفريق الفائز ؟

قلت له :

ـ فى الحقيقة أنا أشعر بالسرور ·· لقد أثبت لهم أن رأسى فى امكانها أن تقف مع الكرة وهكذا يكفى ·

الصنم

بقلم : رضا الشناوي

كنا ثلاثة نلتقى كل مساء لنمضي سهرتنا سويا. انا وطبيب وصديق ثالث، وسهرات الصيف تطول ، نقضيها فى مكان هادىء على النيل نتحدث دائما عن الانسان — هل هو صنيعة الله — خلقه ليسيره ام انه نتيجة تطور مجتمعات هى وحدها المسئولة عنه .

كنت وصديقنا الثالث دائما نختلف — اقول الله وروحه الساكن فينا قادر فيرد ان الظروف تحول ، وننتهى بأن يتمنى صديقنا لو اصبح حمارا يسير الى حيث لا يدرى ويرجع فيستريح بلا احتراق .

كل ذلك والدكتور غارق فيما به — اسرار مرضاه التى تملأه لكنها قدسية المهنة — لا كلام طوال السهرة الا زفرات حارة كانها دخان حرائق فى صدره ، واسأله ما بك يادكتور — دكتور اعصاب نشم رائحة اعصابه تحترق ! فيرد مبتسما .. الانسان ... !!! ويتحرك فننهض لنسير حتى نحس بالتعب فنفترق لنلتقى فى الليلة المقبلة — كانت هذه عادتنا .

لكن حدث أن اختفى الدكتور بعد ان امضي معنا ايامه الأخيرة فى صورة غريبة ، يجلس معنا صامتاوفجاة يتحرك ليتكلم ثم يرجع ليسترخى على كرسيه بعد ان تفلت من شفتيه كلمات او مقاطع كلمات كنا نحس فيها بامتلاء نفسه — اسأله فلا يجيب فيعيد صديقنا السؤال فيتبرم وننشغل عنه بالحديث فيتكرر ما حدث .

مرت أيام احسسنا بطولها لافتقادنا الى الدكتور ، ذهبنا نسأل عنه فوجدناه يجلس فى حجرته ، الحجرة مظلمة الا من مصباح علىمكتبه وبين يديه كتاب .

وكانه لم يحس بنا ، جلسنا وابتدا الدكتور بلا مقدمات وكاننا نجلس معه من ساعات .

— غريبة قوى البنت دى ..!!

— اى بنت يا دكتور تلك التى تحكى عنها ... وكأننى ايقظته فنظر الينا ليكمل .

مريضة زارتنى فى الاسبوع الماضي ، جاءت ومعها رجلان ، أولهما ، اسمعوا جيدا ، اقول اولهما لانك اذا نظرت اليها لا بد ان تلتفت اولا اليه فملامحه تنبهك ، وجه صلب ونظارة سميكة وشعر يختلط

فيه الاسود بالابيض وبنـــاء قوى فيه الصمود ، والآخـــر اكبر منه ســـنا اذا نظرت اليه تحس أنه لا يرى نفسه .. يتحاشـــاها .. مطاطىء الراس وكانه ينظـــــر الى أقدامه او الى لاشيء — ومريضتنا هذه تتوسطهم تجلس هادئة فى اعماقها حيرة وفى نظرتها ذكاء .

سالتهم فعرفت أنها طالبة بالتوجيهية دخلت لتمتحن وفى آخـــر ايام الامتحان انتابتها حالة عصبية أعقبها اغماء منعها من الاستمرار . هذا ماعندهم ، طمأنتهم لان ذلك الاحســـاس يتملك كل الطلبة نتيجة الارهاق واقتربت منها فوضعت يدى على كتفها لكنى فوجئت بهـــا وقد قفزت وعيناها مفتوحتـــــان فى ذعر تتحركان بسرعة تبحث عن الباب فتتجه اليه صارخة «آنكل فؤاد.. آنكل فؤاد» فتحت الباب فوجدت الرجل الثانى يتجه الى الفتاة مسرعا مطمئنـــا ووراءه وفى خطوات ثقيلة الرجل الاول ، فلما راته اتجهت اليه تتعلق به — طمأنتها فهدأت وخرجنا لنجلس .

— عرفت أن الرجـــل الاول فؤاد أو آنكل فؤاد كما تسميه الفتاة أو الاستاذ فؤاد كما يناديه شفيق افندى — هو زوج خالة الفتاة أما شفيق افندى فهو والدها .

امضينا فترة كبيرة نتكلم لـــكن الفتاة مازالت مضطربة وكلما ركزت عليهـــا نظرى ظهر اضطرابها اذ لا مفـــــر من تحذيرها وفعـــلاً أعطيتها حقنة مخدرة وطلبت منهم أن يذهبوا بها الى المنزل بسرعة لانها ستنام وفى المساء وقبل ان تستيقظ سأكون بجوارها .

وفى المساء كنت هنـــاك فى منزلهم دخلت فوجدتها نائمـــة بفعل المخدر — جلســـت جوارها ونبهتها فاســـتيقظت نصف نائمة .

جانيت .. لقـــد نمت طويلا .. استيقظى — لقد حضرت لاطمئن عليك وأتحدث معك ، حدثينى عن الامتحان لقد عرفت أنك ذكية مجتهدة فكيف حدث ذلك فى الامتحان ، هل كانت اسئلة الجغرافيا صعبة ام انك كنت مرهقة .. اعتدلت جانيت وابتدات تكلمنى فى هدوء ... كنت اذاكر كل ساعات النهار وفى المساء ياتى آنكل فؤاد ليشرح لى ويعيد على ماذاكرته كل يوم حتى أتممت المقررات بعد ان شرحهمـــا لى آنكل فؤاد ثلاث مرات كل يوم يحضر فى المساء ليشرح لى دروسا اذاكرها فى النهـــــار حتى احفظها — لم اكن خائفة من الامتحان لان انكل فؤاد اخبرنى انى مجتهدة ولا بد ان انجح وخصوصا وانها السنة الثانية لى فى التوجيهية فلقد رسبت فى العـــام الماضي لانى لم اذاكر وانكل فؤاد لم يكن معى ، وعند مابدأ الامتحـــان كلن آنكل فؤاد يحضر كل مساء ليراجع لى الدروس وفى الصـــباح يأخذنى فى تاكسي الى اللجنة فينتظرنى الى ان انتهى وارجـــع معه الى المنزل فيتركنى ليعود فى المساء حتى كان يوم الثلاثاء عندما أرسل آنكل فؤاد يعتذر عن الحضور لمرضه وحاولت ان اذهب لأراه لكنهم منعونى ولم اذاكر وفى الصـــباح لم يحضر لنذهب الى الامتحان وذهبت مع والدى وفى الطريق حاولت ان ازور آنكل فؤاد ولكن والدى رفض لان الوقت متـــأخر — استعطفته لكنه اصر وحاولت بشتى الطـــرق فزاد اصرار والدى عندما عرف ان الساعة قد قاربت السابعة والنصف فأحسست



بدوار شديد وبكيت وكنـــا قد وصـــلنا اللجنة .

كانت جانيت تتكلم وكأنها تتكلم فقط لتردد اسمفؤاد وكلما نطقتبه أحسست برنة خاصة وعندما وصلت بكلامها الى ذكر اللجنةبرقت عيناها فىذعر وتحركتا فى سرعة وصرخت ... آنكل فؤاد .. آنكل فؤاد .. أسرعت فأعطيتها حقنة مخدر ووقفت بجوارها حتى نامت وهى تردد آنكل فـــؤاد .. آنكل فـــؤاد .. تركتها وخرجت لاجد والدها على باب الحجرة يقف فى حــــيرة وبجـــواره

والدتها ــ اغلقت باب الحجرة عليهـا وجلست معهم أسأل شفيق افندى عن حياة جانيت لكنه كان مضطربا يرفع عينه ليتكلم فيعود بنظـره الى الارض ومرت فترة سكون قطعتها والدتها لتقول .. جانيت يادكتور ، ربكت حياتنـا نتيجة دلع .. وشـفيق هو السـبب .. من صغرها بيعطف عليها ولا يرد لهـا طلب ــ كانت تذاكر عند أصـحابها وترفض أن تذاكر مع اخواتها لكنها كانت دائما تنجح . الى ان كانت تلك الليلة التى حضر فيها الاستاذ فؤاد ثائرا لانه راى جانيت فى صحبة شلة من صديقاتها رآها فى عربة احداهن واتفقنا ان تذاكر فى البيت مع اخوتهـا ولا تختلـط بصاحبتها ــ وفعلا منعناها من الخروج فمرضت ثم شفيت وابتـدات تذاكر فى البيت ولكنها رسـبت فى التوجيهية ــ وفى الاجازة وجد لنا الاستاذ فؤاد هذه الشقة بجواره وانتقلنا الى هنـا حتى تكون البنت قريبة منه لاننا خفنا عليهـا من الانحراف ــ كان الاستاذ فؤاد يحضر يوميا وابتدأ يذاكر لهـا من الاجازة الصيفية وكان دائما يرعاها يشترى لها كل شيء حتى ملابسها يحضرها لها بنفسه الى المنزل ولا يسمح لها بالخروج ولم تخرج منذ انتقلنا الى هنا الا يوم الامتحان ومع الاستاذ فؤاد وكانت كل يوم ترجع فرحة الى أن كان يوم الثلاثاء يوم مرض الاستاذ فؤاد لم تذاكر واخـيرا اغمى عليها فى اللجنة .

انهت الام كلامها بعـد ان اكملت صورة جانيت فى ذهنى ورايت ان ابدا بابعاد فؤاد وفعلا شددت عليهم الا تراه مهما حدث وان يتصلوا بى اذا احتـاج الامر فى اى وقت ــ الى ان اعود فى مساء الغد .. وفى حوالى الواحدة بعد منتصف الليل دق جرس التليفون وكان شفيق افندى هو المتـكلم يرجونى ان احضر حالا لأن جانيت اغلقت على نفسها الباب وتهددهم بالانتحار ان لم يحضروا لها الاستاذ فؤاد .

وصلت المنزل فوجدت الكل يقف على باب الحجرة يتوسـل اليها ان تفتح وحاولت معهم لكنها أصرت وراقبتهـا فوجدتها تنظر الى النافذة نظرات متكررة فيها ما بنفسـها ، فأرسـلت والدها يستدعى فؤاد . وعندما أحست جانيت بمقدمه فتحت الباب لترتمى عليه وتبكى ــ جلسـنا قليلا حتى هدأت فقدمنا لها الطعام لكنها رفضت حتى يؤكد لها أن فؤاد لن يتركها بل سيظل معها واخيرا بعد أن أكدنا لها ما ارادت اعطيتهـا مخدرا لتنام وتركتها .

كنت اذهب كل مساء وابتدات أعالجها بالصدمات الكهربائية لكنها كانت ترفض وتظل هكذا الى ان يحضر فؤاد .

ذلك كان ما يشغلنى طوال الايام الاخيرة التى كنت فيها معكم لانى اردت ان أبدأ علاجى بابعاد فؤاد عنها ولكنى فوجئت بمـا اخبرتكم به وكان لابد ان ابدا من جديد ففضـلت ان أبقى بالمنزل ادرس بعض المراجع وخوفا من ان ابوح لكم بسر مريضتى لكن اليوم ومنذ قليل وجدت الطريق ــ فلا تقلقوا من غيابى لأنى سـأخرج مريضتى الى العـالم الفسيح لاحطم الصـنم الساكن فى أعماقها .

الأيام الأخرى

قصة عراقية

بقلم أمل صادق

ساقول لها .. اقول لها . أحببتك منذ أربع سنوات ، أحببتك فى كل لحظة من هذه السنوات الاربع ، كان الحب والعذاب فيهما توأمين انتظرت طويلا ٠٠ تعذبنا كعذاب سمكة تخرج من الماء ، لماذا نكتم حبنا؟! لماذا لانسعد به ؟! انت تعرفين كم كنت أتردد ، ولعلك كنت تنتظرينني ، أحسست ذلك ٠٠ نعم فى الايام الاولى كنت أجيء الى البيت ، من أجل زوجك لانه صديقى ، ولكن .. الأيام الاخرى .. حقا انه كان يلح على أن أزوركم ، وكنت أحرص على الحضور، لانى اهفوالى رؤيتك والى سماع صوتك، لاغرق فى نظراتك ٠٠ طوفان الحنان ٠٠ مريم أنا أحتاج الى الحنان ، الى حنانك ، ما أسعدنى .. أخذت رأسى بين يديك ، وداعبتينى مثل طفلك ، تجوس أصابعك كالحلم فى ثنايا خصلاته ، وتستقر على خده ، أو على يده تحتضنها كما تحتضن الشمس بحيره كاد يمتص حياتها الجليد، ان أمى ، مريم دفعتنى الى الارض أحبو عليها وانام وأبكى ، وأمشى ٠ لم يحدث أن نادتنى باسمى الا وانا شاب لم أنم يوما وأنا طفل بحضنها ٠٠ اما رأيت صرخة .عذاب فى وجه أمى ، ألست أحمل شيئا من صداها ٠٠ سأقول لها أقول لن نخون صداقتنا ، أريد فقط أن نهمس بحبنا ، أبوح لك بما يملأنى من شوق ، وتمنحينى حنانا ، ما ازخره فى عينيك ، ستقولين آه يا صديقى كم تعذبت ؟ لم لم تقل لى ؟ ، ولكنك كنت تعرفين ألا ترتعشين وانت تناولينى قدح الماء ، وهذا البريق الذى يشع فى عينك وانا اتحدث ، واهتمامك بى وانت تخصيننى بأحلى ابتساماتك ، أحلى نظراتك، أفضل لون من الطعام، ويتبدد حزنك، وتفرحين هذا الفرح الذى أحسه أنا أيضا ، أتذكرين اليوم الذى انقطعت فيه عنكم ، قررت أن أقطع علاقتى ؛ وصمدت خمسة أيام كل لحظة فيها تتفصد ألما مخيفا٠٠ وبعثت لى برسالة، تطلبين منى أن أحضر ، وحملنى العذاب اليك ٠٠ وكنت مصمما أن أحدثك ، ان أبوح ، وكنت جميلة، انت دائما جميلة، ولكن فى ذلك اليوم كنت أجمل من زنبقه حمراء وقدمت لى قدح الماء ، والقهوة ، كانت يدك ترتعش ، ولامست أصابعى يدك ، فارتعشت ، وارتعشت كلماتنا ، تقطعت حروفها وخجلت ٠ ولم اتكلم ، وان تكلمنا باشياء كثيرة ، وكل



كلمة كانت تلتهب بحبنا ، وعرضت على فستانك الجديد، ولم يعجبنى ، فقلت٠٠ لن البسه ، أنا أيضا لا يعجبنى هـذا اللون ٠

ان زوجك يقـول ، لى أنت آخى ، ويسألنى ، ألست أخى ؟ أنا أعرف انك أحيانا تشمئزين من تهريجه ، وتحاولين اسكاته ، تخجلين من وضعه ، تخجلين أن يظهر أمامى بهـذه الصورة ، انك لا تحبينه ، ولـكنك تخلصين له لانك نبيلة ، وهـذا أحد أسباب أحجامى عن مفاتحتـك ، أخجـل أن أقول لك ، أنا أحبك ، وربما اليوم أيضـا ، سأجلس أمامك تغمرنى ابتسامتـك ، فيغمرنى الفرح وتبحر بى كلماتك الى عالم سحرى، ولكنى سأقول لك :

ونزل من السيارة، ومرة أخرى سمع صوت زوجها ، أنت أخى ، أعز أخ هـذا بيتك ، الصغار كم يحبونك !؟ تعال الى البيت كل وقت ، تعال ، أنا آتاخر فى العمـل ٠٠ وتتناهى صوتها ان عمار يحبك ، انه يشبهنى كثيرا ! وفكر أنا أحب الصـغار ، يتعلقـون بى ٠

عمو حسين ، عمو حسين ، نريـد قصة ، قصة جديدة ، حلوة ٠
ويستقبلوننى بفرح صاخب ٠٠

ويجلسون على ساقيه ، يصغون لحديثه ويضحكون معه ، تحتضنه ضحكاتهم فيشعر بفرح عميق ، وتضحك مريم ، وعيناها تهمسان أنا أيضا أحبك ويكاد يهتف بها تعالى ، تعالى بقربى لاقص عليك ، قصة السندباد ٠

ان أمواج البحر تتقاذفه ، يحاول أن يبلغ الشاطىء ، هل يصل ؟

فى هذه المرة ساحدثها ، ساقص عليها ٠٠ وفكر أن يقول لها ان شخصا أحب امرأة حبا عميقا نبيلا أربع سنوات، ولا يستطيع أن يعيش بدون هذا الحب ، وكان يخاف أن يفاتحها ، انه ظامىء الى حنانها ٠٠

وطرق الباب ، وفتحته، تبادلا التحية والبسمات ، وذهبت لتعد له القهوة ولما أحضرتها أحس انها ترتجف ، ان وجهها يبدو مرة شاحبا، ومرة أحمر وسألها عن الصغير فقالت له ، انه نائم ٠٠ وفكر انها فرصته الوحيدة ٠

وقالت له ان أخته جاءتها تدعوها الى الغذاء يوم الخميس ، فرحب ، وبلع ريقه وكانت الكلمات تفر من ذهنه ، والتقت عيونهما ، ابتسم، التمع فرح فى عينيها، ثم اعتراهما قلق ، وخيم صمت ، كانت تبدده نظراتهما ، أنفاسهما وأحس انه اذا تكلم ، فسيحطم شيئا فى أعماقه ، سيمزق ثيابه ، يغدو عاريا ولم يكن فى ذهنه سوى كلمة واحدة قالها بهمس راعش

مريم ٠٠

وارتعش الصمت ، هومت نظراتهما فى الغرفة ، قلبه يلهث ، دعك جبهته بأصابعه ، شربت قليلا من الماء ، وسمعا صوت عمار

أهلا عمى

ووثب نحوه ، عانقه ، عمى ، عمى ، وانبثق فى الغرفة فرح ، وسمع صوت انت أخى ، أعز أخ ، وامتدت أصابع الصغير تداعب خصلات شعره ، وامتلأت الغرفة بالضحكات ٠

الفرح



بقلم

سعيد صبحى الصفانى

جلس محمود يرقب ابنه الصغيرالذى لم يتجاوز السابعه · وهو يدب على الارض أمامه بحذائه الجديد ·· يسير مختالا ·· ثم يقفز فجأة فى الهواء ·· ليعود ويجلس على الارض · يخلع حذاءه ويأخذ فى تقليبه بين يديه ، وعلامات الفرح والبهجة تشع من وجهه الطفولى البرىء ·· بينما انهمك شقيقه الاصغر فى ارتداء البنطلون الجديد · وأمارات الاهتمام بادية على وجهه وقد انعزل تماما عما يجرى حوله ·

وكان محمود سعيدا فى هذا اليوم . فقد قبض الارباح بالأمس .. ونزل لتوه الى السوق .. فاشترى كسوه للأولاد .. ولم ينس نفسه هو وزوجته .. فاشترى بنطلونا صوفيا .. وحذاء جديدا .. ولزوجته فستانا للخروج وآخر للبيت ·· ولامه طرحة وجلبابا أسود وزاد من سعادته عندما سدد جميع ديونه .. واخرس الافواه التى لم تكف عن اذلاله لحظة .

وعندما اعلن الرئيس عن حكاية الارباح .. لم يصدق انه سيقبضها بهذه السرعة .. بل وبهذه الكمية ..

لقد قبض ثلاثين جنيها ·· اخذها من الصراف ثلاث ورقات حمراوات . فى ظرف ابيض عليه اسم المصنع .. وطار الى البيت ليحدث فيه فرحة هستيرية .. قفزت امراته فى الهواء .. وهى الرزينة العاقلة .. لكنها كانت كمن يتعرض لضغط هائل .. ثم رفع عنه الضغط فجاة .. ضغط الشقاء والحرمان المذل للكرامة ..

أما والدته .. فقد حمدت الله وصلت ركعتين شكرا له ··

وتقافز الأولاد حوله · وهو ممسك بالنقود فى يده . يلوح بها فى الهواء . وكانه يطرد بها عدوا مجهولا . كان كل منهم يحاول أن يسبق الآخر الى اذن أبيه ليهمس له بما تشتهيه نفسه ..

ولم ينم ليلتها ·· ولم ينم اى فرد من العائلة ·· فالمبلغ كبير ·· بل هو اكبر مبلغ امسكه فى حياته دفعة واحدة ..واوقعه هذا فى حيرة كبيرة .. انها

ثروة جاءت فى وقتها .. كيف ينفقها ؟ وفى أى السبل ؟

واستمع وهو شارد الى العديد من الاقتراحات ..

نجيب دولاب وسرير .. نفسنا فى راديو يا بابا .. ياخويا نسدد الدين اللى علينا الأول .. دا يوم السداد عيد .. نجيب كسوة للعيال .. دى هدومهم زى الكنافة ..

واستمر النقاش طول الليل .. وهو جالس يفكر .. ويفكر .. وامرأته تفكر معه .. حتى استقرا اخيرا على سداد ديونهما أولا ..

وجرى الى صاحب البيت .. يدفع له شهرين متأخرين .. وخرج من عنده مرفوع الراس .. وشعور بالكرامة يملأه ويفيض عليه .

ثم ذهب الى عم حسين البقال ودفع له جنيهين وبضعة قروش .. طالما اذله الرجل الخبيث بها .

وبعدها .. ذهب الى البيت .. وهو يشعر بأنه قد تخفف من حمل ثقيل كان يوشك ان يزهق انفاسه .. أو ما بقى منها .

واخذ زوجته معه الى السوق .. ليشتريا كسوة الاولاد .. ودخلا محلات كثيرة .. وطافا بأخرى اكثر .. يتنقلون بينها فى نشوة وسعادة .. وعندما رجعا الى البيت .. محملين بالصناديق واللفائف .. هجم عليهما الاولاد وتخاطفوا اللفائف وهم يفضونها بلهفة وشوق .. ويتجاذبون ويتصايحون فى فرح وسعادة .. حتى أصبح البيت هيصة .. أو شيء أشبه بالمولد ..

وجلس هو وزوجته .. ومعهما القليل الذى اشترياه لانفسهما .. يرقبان الاولاد فى رضا وارتياح .. وبسمات السعادة ترفرف على الشفاه .. ولم تجد زوجته شيئا تعبر به عن سعادتها سوى كلمات قليلة غمغمت بها .

ـ حقه يابو محمد .. مين كان يصدق ربنا فضله واسع ..

واطرق زوجها مؤمنا على كلامها .. نعم .. ان الله فضله واسع واوسع مما يتصور المؤمنون المخلصون .

نقلة كبيرة يا محمود بين ماكنته وما أنت عليه الآن .

لكم تمنى أن يرى وجه أشرف «بك» بعد تأميم المصنع . لقد بلغه أنه أصيب بالشلل . وبعضهم قال أنه أفلت بجزء من ثروته وهرب الى الخارج .. فى ستين داهية .

لم ير اى عامل منه انصافا فى يوم من الايام . بل كانت كل أيامه سوداء كشعرات شاربه المصبوغ . الذى كان يرتعش ويهتز كلما غضب . وما أكثر ما كان يغضب .

المصنع اتأمم . هكذا صاحوا جميعا فى صبيحة اليوم التالى للتأميم وهم يدخلون من باب المصنع . تستخفهم الفرحة . ويحدوهم الامل فى مستقبل أقل اظلاما من ذلك الذى رسمه لهم هذا الرجل الاستغلالى الجشع .

ياســــلام يا جدعان .. مين كان يصدق ..

قالها صديقه عبد المولى وهو يمصمص بشفتيه ويهز رأسه وكأنه لا يصدق ماحدث .

عنده حق عبد المولى ، فلم يكن يخطر بباله أو بال واحدممن يقاسمونه الشقاء الذى يصبه على رؤوسهم هذا الرجل .. ان هذا المصنع الضخم الذى قام علـى اكتافهم ، ونهش لحمهم ، وضيع صحتهم سيطير من يد صاحبه ليصبح ملـكا خالصا لهم

أجدع حاجة فى الدنيا الارباح دى .

قالها عم سليمان وهويستلم نصيبه فى الارباح من يد الصراف داخل مظروف أبيض .. مثل مظروفه الذى استلمه .

الله يجازيك يا عم سليمان ، انت لا تنسى الجدعنة حتى فى الارباح ، لقد كنت دائما تشاغب صاحب المصنع .. وكان يخاف منك رغم كبر سنك . دبر لك المكائد فرددتها اليه ، وحاول اهانتك أمام العمال فجعلت منه أضحوكة ، حتى اضطر الى ان يتملقك ويتقرب اليك .

كيف فعلت هذا ياعم سليمان ، كان جميع العمال يتساءلون فيما بينهم عن سر صمودك أمام هذا الطاغية الذى كان يحلو له ان يقف أمام العمال ويصيح فيهم بصوته الجهورى .

ـ طظ فى الحكومة .. أنا ما يهمنيش حد .

الحكومة اخذت المصنع واعطته للعمال وهرب هو .. أو أصيب بالشلل .. لايهم .. المهم انه ذهب عنا بعنجهيته.. وصلفه المغرور ، ووجهه الاغبر .

ونظر محمود الى وجـــه أمه المشرق بالفرحة .. فرحة الفرج .. واستجابة دعواتها التى كانت تصعدها الى السماء فى اصرار مؤمن لايعرف معنى لليأس والقنوط .

وابتسمت له وكأنها تقول : تحقق دعائى وجاء الفرج .

الفرج .. هذه الكلمة البسيطة كانت الباب السحرى الذى خرجت منه جميع همومه ومتاعبه ليخلص الى الأبد من ذل الحاجة والعوز .

وضحك محمود وهو يرقب طفلته فى محاولتها الساذجة وهى تلف قطعـــة قماش على جسدها الصغير فى هيئـــه فستان ، فتقع على الارض .. ولكنهـــا تنهض بسرعة لتكرر المحـــاولة من جديد .

جميلة هذه البنت .. لطيفـــة . . ياخسارتها فى الفقر .. ان امها تسميها (السنيوره) . ولكن أى سنيوره .

عنده من الاولاد خمسة .. كلهم قطط صغيرة ، ليس فيهم ولد كبير يساعده ويحمل عنه جزءا من همومه .. لامعين الا الله وحده .. هو العالم بالحال .. والحال يغنى عن السؤال كما يقولون .

لكن الحمد لله على أى حال .. لقد مررت بأيام أسود من شعر رأسك .. وقاست نفسك المعذبة من الشقاء ألوانا واشكالا لا أول لها ولا آخر .

ـ الف حمد وشــكر يابنى .. ياما

قلتلك ٠٠ فرجه قريب ٠٠ واللى يخلق عبده ما ينساه ٠

نعم ياامى ٠٠ لم ينسنا الله ٠٠ ولم نمت من الجوع .. ولم يتشرد العيال لكم كان المستقبل الغامض يؤرقنى ٠٠ وسيف الطرد فى أية لحظة مسلط على رقبتى يذلنى ويسلبنى آدميتى ٠٠ ويجعل منى حيوانا مذعورا ٠٠ لايعرف عن غده شىء ، ولا يرجو ان يعرف ٠

وتذكر ركلة أشرف بيه له فى مؤخرته وهو واقف يعمل أمام احدى الآلات ٠٠ لقد كادت الركلة أن تدفعه بين تروس الآلة ٠ ومع ذلك لم يستطع أن يفتح فمه حتى بالاحتجاج ، فقد كان أولاده ثلاثة فى ذلك الحين ، ولو تجرأ واحتج ، لما وجد هؤلاء الاطفال قوت يومهم ، ولماتوا جوعا ، واضطر يومها أن يكظم غيظه ، ويضغط أعصابه ويبتسم فى وجهه المرتعش بالغضب ٠

وجلجلت ضحكة زوجته فى أذنه ٠٠ ورآها وهى تقلب فى حجرها قماش فستانها الجديد فى حبور ٠٠ ووجهها مضىء بالفرحة ٠

كم قاسيت معى يااحسان ٠٠ وكم تعذبت ٠٠ لم أسمع منك هذه الضحكة منذ زمن ٠ لقد تلاشت ضحكاتك الرنانة وضاعت فى صراخ أول طفل أنجبناه ولم أسمع منك يومها حتى الشكوى .. كنت صابرة ٠٠ راضية بما قسمه الله لنا من مصير ، ترممين حياتنا فى صمت وأناة .. وتعطينا من عطفك وحنانك زادا يعيننا على احتمال ما نحن فيه من بلاء .. أصيلة والله يا احسان .. وبنت ناس صحيح ٠

وعاد محمود يجيل بصره فى الغرفة ٠٠

كانت الفرحة قد خمدت ٠٠ وعم المكان صمت عميق ٠٠ وتكون الاطفال بجوار اللفائف فى سكون وعيونهم الواسعة البريئة تحملق فى الفضاء ، وكأنهما تهيم فى أحلام طفولية سعيدة ٠٠ تستمد بهجتها من واقع اللحظة التى يعيشونها ٠

ونعست أمه وهى جالسة فوق الحصير بينما أسندت زوجته رأسها على كفها وسرحت فى عالم آخر ٠

وابتسم محمود ٠٠ ابتسم فى رضا وسعادة .. وشعر بالزهو ٠٠ وهو الرجل القادر على اسعاد من يحب ، فلم يعد الآن ذلك الزوج العاجز ٠٠ يرى الحرمان فى بيته ولا يملك فى سبيل دفعه شيئا ٠

الوضع تغير الآن ٠٠ تغير كثيرا عن زمان ٠٠ والخير يحل محل الحرمان ٠٠ والسعادة تطرد الشقاء ٠٠ والفرحة فى العيون تشع بالبهجة والامل ٠

ونهض مقتربا من زوجته ٠٠ وقال لها وهو يضرب بيده على معدته برفق :

ـ الواحد جاع ٠٠ حضرى العشا ٠

ونظرت اليه كأنها لم تسمع ما قاله ، وغمغمت فى صوت منخفض :

ـ كنا اشترينا دولاب ٠٠ ولا سرير ينفع العيال ٠

وابتسم محمود وهو يجيبها :

ـ السنة الجاية ان شاء الله ٠٠ الحمد لله اللى كسينا نفسنا ، والعيال الغلابه

فقالت له فى شرود :

ـ الستر حلو يامحمود ٠٠ ربنا يديمه علينا ٠

وقامت لتحضر العشاء ٠

الطوق

متولى

بقلم : احمد السيد عوضين

نحن فى شهر رمضـــان ، وهو شهر ـ كما يقال ـ يحب الاكل ! وقد عودتنى زوجتى ألا يأتى المغرب الا والمائدة حافلة بالوان الطعام من أعداد يديها الكريمتين ٠٠ وكنت فى صبيحة يوم الجمعة الماضى ما زلت مسترخيا فى السرير عندما دخلت على ، وقد رسـمت على ثغرها بسمة ـ اعرف معناها تماما ـ فبادرتها قائلا :

ـ ايوه ٠٠ يا ستى ٠٠ يا صباح الخير ٠٠ فيه ايه ؟

ـ صباح النور على عيـونك يا أبو محمود ٠٠ انت لسه نايم يا روحى ٠٠! قوم ٠٠ دى الساعة بقت تسعة !

ثم توقفت عن الحديث ، ومدت يدها فازاحت عنى الغطاء وهى تتابع قولها :

ـ الله!٠ ٠انت موش عارف ان أنبوبة الباتوجاز خلصت ؟

ـ طيب ٠٠ ما تطلبى واحدة غيرها ٠

ـ ما طلبت يا روحى ٠٠ طلبتها من بدرى ٠٠ وقالوا لى: هتيجى زى النهاردة ٠٠ يوم الجمعة الجاية ان شاء الله ٠

ـ موش مهم ٠٠ اسـتعملى بواجـير الجاز ٠٠

ـ بواجير الجاز !٠ ٠

وازدادت ابتسـامتهـا اشراقا وهى تقول :

ـ ما انت عارف يا روحى ان البواجير كلها عايزة تصليح .. واو بعت البنت تصلحهم موش راجعة النهاردة ٠٠

وتوقفت عن الحديث لتتركنى أسالها:

ـ هيـه ٠٠ والمطلوب منى ايه ٠٠! أروح أنا أصلحهم ؟

ـ اللى تشـوفه يا روحى ٠! أخـلى البنت تسـبقك بيهم عنـــد العجمى السمكرى ؟

فدهشت لقولها٠٠ وتساءلت لفورى:

ـ العجمى !٠ ٠عجمى مين يا ست ؟

ـ الله ٠! العجمى ٠٠ السمكرى ٠٠ ايه ! نسيته ؟

ـ لا ٠٠ ما نسيتوش ٠٠

قلت ذلك، وأنا أرنو اليها ٠ وأتأمل وجهها الذى مازال يحتفظ بكثير من معالم جماله ، فشعرت ـ وربما لأول مرة منذ زمن بعيـــد ـ بأحاسـيس تجيش فى صـــدرى ، ويضطرب لهـا فؤادى ٠٠ أحاسيس قد تعتبر غريبة على رجل مثلى

فى منصف العقد الخامس من عمره ، وأب لخمسة أولاد وبنات ٠٠!

غير أن زوجتى ـ أوالست أم محمود ـ لم تتركنى طويلا أنعم بتلك الاحاسيس اذ ما لبثت أن ضحكت وهى تقول :

ـ ايه ٠٠ مش هتقوم ؟ والا موش عايز تاكل كنافة النهاردة ؟

ـ ازاى ٠٠ لا ٠٠ أبدا ٠٠ أنا قايم اهه ٠٠

ونهضت في تثاقل ٠٠ وبعد فترة كنت عند السمكرى ٠٠ أقف «على يديه» حتى ينتهى من اصلاح «البواجير» !٠٠

وفى دكان السمكرى ـ سمكرى القاهرة الذى لم أكن أعرف اسمه ـ تذكرت ٠٠ تذكرت ذلك اليوم الذى نادت على أمى فى صباحه وطلبت منى ان آخذ «الباجور» وأذهب به الى العجمى السمكرى ، واقول له انه « مكتوم » ، و « يهب » ، ويلزمه نفخ ، و«تسليك» ٠٠ ورغم أننى كنت أحب الذهاب الى دكان العجمى، لما فى ذلك من متعة كبيرة لصغير مثلى ، فاننى سارعت أقول فى خبث : « لا ٠٠ موش رايح » وكنت أعرف أنه لا يوجد عندنا غير هذا « الباجور » ، ولا بد من اصلاحه حتى يمكن اعداد طعام الغداء ، والا حدث مالا تحمد عقباه ، لأن أبى كان على سفر ، يعود منه بعد الظهر بقليل ، ولا بد من اعداد « لقمة هنية » تكون فى انتظاره عند وصوله بالسلامة ٠٠ وكانت تلك فرصة نادرة ألهمنىعقلى الصغير بضرورة انتهازها ٠٠ ولذلك فعندما قلت : «لأ» لم تسارع أمى الى « المقشة » ـ كدأبها معى ـ ولم يرتفع صوتها بى ، ولعنى ووصفى بأننى « مقصوف الرقبة » وغير فالح ٠٠ لم تفعل شيئا من ذلك ، لانها كانت فى حاجة لخدماتى ٠٠ بل على العكس من ذلك ضحكت لى ، وربتت على ، وراحت ترجونى فى صوت رقيق: « يا الله يا حبيبى ٠٠ خد الوابور صلحه ٠٠ عشان نجهز الغدا لابوك » ولم تفلح هذه الرقة ، بل زادتنى عنادا ، فما كان من أمى الا أن لجأت للسلاح الاخير ، فقالت : « طيب روح ، وابقى خد لك قرش » فقلت : « لا ٠٠ هاتى الاول » وزيادة منها فى ترضيتى ، مدت يدها فى صدرها ، ونقدتنى القرش ٠٠ وكان ذلك هو قصدى من كل تلك المحاورة٠٠ فما ان أحسست بالقرش فى يدى حتى سارعت فخطفت « الباجور » وانطلقت اغدو به الى دكان العجمى ، وصوت أمى يلاحقنى : « خليه يصلحه ، ويسلكه ، واوعى تغيب ٠٠ أنا مستنياك عشان غدا ابوك » ٠

وفى لمح البصر كنت عند العجمى ، فالقيت اليه « بالباجور » وأخبرته بالمطلوب ، وقلت له : « يا الله يا عجمى شغل منفاخك » ، غير أن العجمى لم يحقق طلبى بسهولة ، ففى يده «شغلة» يريد أن «يخلصها» أولا ٠ ٠ولذلك راح يقول لى : « روح انت وأنا ها اجيبه ٠٠ أنا ها امسك فيه بعد الكوز اللى فى ايدى على طول » ، ولم « يدخل » على هذا الكلام ، لاننى « فاهم » العجمى ، وفاهم « حركاته » ، ولذلك سارعت فخطفت الكوز من يده ، وألقيت اليه « بالباجور » فلم يجد بدا من أن يترك ما بيده ، ويشتغل فيه ـ وأمره لله ـ !

ووقفت أرقبه ، وهو يتفحصه فى دقة ،وعلى مهل ، محاولاأن يعرف سبب العطل ، وجعل يدق هنا تارة ، ويخبط هناك تارة أخرى ، ثم يضع اصبعه الاسود الغليظ ، على «الفونية» ويعطى للباجور « نفسا » ، ثم يرفع اصبعه عنها،

فيعلو الجاز فى خيط رفيع طويل ٠٠ !
وكنت أتابعه فى لذة، ونشوة، منتظرا فى لهفة تلك اللحظة الحلوة التى يتم فيها نزع « الكوشة » وتركيبها على « منفاخ الرجل » ، فهذه العملية لطيفة ، ويبلغ لطفها منتهاه عندما يطلب منى العجمى أن أتولى عنه النفخ ، فانحنى بجسدى الصغير، على منفاخ الرجل ، وأرتفع به، ثم أبذل أقصى جهدى للضغط عليه الى أسفل ٠٠ وحينما أفلح فى ذلك يكون العرق قد تصبب غزيرا من جبينى ، وتكون نشوتى - فى ذات الوقت - قد بلغت حدا كبيرا ٠٠
وفى انتظار تلك اللحظة الحلوة راح العجمى « يرغى » معى ويسالنى :
- أبوك جاى من مصر امتى ؟
- النهاردة الضهر ٠
- وهوه مسافر ليه ؟
- بيزور أهل البيت ٠
- وانتم طابخين ايه النهاردة ؟
- دابحين
- واختك هتجوز امتى ؟
- فى الايراد ٠
وكان من الممكن أن يمضى هذا «الرغى» الى غير نهاية، لولا أن أقبلت وردة علينا تقفز فى شقاوة ، وعندما وصلت الى باب الدكان سالت العجمى :
- عملت الفانوس يا عجمى ؟
- أيوه ٠
- طيب هاته ٠
- تعالى بكره خديه ٠
- بكره ايه ؟ احنا عايزينه النهاردة ٠٠ الوقتى أهــه ٠٠ أبوى واخواتى سارحين النهادة بالليل، علشان هيباتوا ع الساقية ، وأمى قايله لى ماتجيش من غيره ٠
- سلملى لى على أمك وقولى لها: العجمى بيقول لك حاضر من عينى الاتنين ٠٠
واستهوانى حديث ورده الصغيرة ، فقلت لها :
- أبوك واخواتك هيباتوا عالساقية؟
- أيوه ٠
- ويفضلوا هناك طول الليل ؟
- أيوه ٠
- وانت بتروحى معاهم ؟
- أمى ماتترضاش ٠
ورآنا العجمى قد انهمكنا فى حديث شغلنا عنه ، فوضع « الباجور » بجانبنا وشغل نفسه « بالكوز » الذى لم يكن ينقصه سوى اللحام ، فلما تنبهت الى ذلك ، وطلبت منه اصلاح « الباجور » أولا ، قال لى : « طيب ٠٠ حالا ٠٠ بس أما المكوة تسخن » ، ورغم أننى كنت أعرف أنه لا لزوم « للمكوة » بالمرة فى تسليك «الباجور» فان وردة لم تترك « الباجور » اليه ثانية ، فقد جذبتنى من كتفى ، و « أخذتنى على جنب » ، وواجهتنى باسمة ، وقالت لى هامسة :
- شايف الطوق اللى هناك ده ؟
وأشارت الى ذلك الطوق الحديدى الذى ينتصب شامخا فى أحد أرجاء الدكان ، ويا له من طوق ! اننى ما من مرة مررت فيها بدكان العجمى الاووقفت طـويلا أرقب ذلك الطوق ، وأتامله مشغوفا ، متمنيا من أعماقى أن يكونلى لالعب به ٠٠ وهو لاتنقصه سوى يد من السلك ليصبح من الممكن الجرى به ٠٠ يجرى أمامى ، وأنا من خلفه ألاحقه ٠٠ فلا هو يسبقنى ولا أنا ألحق به٠٠ولكن كيف السبيل الى هـــذا الطوق ؟ ٠٠ وقالت وردة :
- شايفه ؟
- أيوه ٠٠ دا انا شايفه من زمان٠٠

ونفسى آخده٠٠ لكن بس ازاى والعجمى عينه زى عين الصقر ؟

ـ مالكش دعوه انت ٠

ـ صحيح والنبى ؟

ـ صحيح٠٠ بس على شرط اننانلعب به سوى ٠

ـ طبعا ٠٠ نلعب به سوى ، وهوه انا احب العب مع حد تانى غيرك !

ـ طيب ٠٠ انت بقى عليك تقف قدام العجمى وتشاغله بالكلام ٠٠ولما تلاقينى بعدت عن الدكان سيب العجمى والحقنى هتلاقينى مستنياك ورا الجامع ٠

ـ ومعاى الطوق ٠٠ بس عليك تجيب سلك ٠٠

وسارعت فتركت وردة وواجهت العجمى ، فوجدته منهمكا فى لحم «كوز» ثان ، فما كان منى الا أن طلبت منه أن يخلص « الباجور » أولا وقبل أى شىء آخر ، فلما أيقنت أنه قد يئس تماما ، وأوشك أن يلقى ما بيده و « يمسك » فى الباجور ٠٠ قلت له :

ـ طيب ٠٠ هات حتة سلك ، وأنا استنى عليك لما تخلص الكوز ٠

ومد العجمى يده وراء ظهره ، وجذب سلكا طويلا ألقاه الى وهو يقول :

ـ خد يا سيدى السلك اهه ٠٠ واسكت بقى عنى ٠٠

وحينما أخذت السلك ، كانت وردة قد انسلت خارجة من الدكان دون أن يشعر بها أحد ، فسارعت اليها ـ خلف الجامع ـ ومعى السلك الطويل ، فوجدتها فى انتظارى ، ومعها الطوق الحديدى ، وكانت فرحتى بهذا الطوق كبيرة جدا ، فمنذ اليوم سيصبح لى طوق ، ولن أنظر فى حسد الى أولئك الذين لديهم أطواق يعدون بها فى زهو وافتخار ، بل سأجرى معهم ، أسابقهم وأسبقهم ، ولن يتفوق على أحد منهم ، والفضل فى ذلك كله لوردة ٠٠ واعترافا منى بفضلها اعطيتها القرش الذى معى والذى أخذته من أمى « بعد طلوع الروح » ، وطلبت منها أن تذهب ، وتشترى به « كرملة » وتعود الى لنمتصها نحن الاثنين معا ٠٠ وعادت وردة بعد قليل ومعها «الكرملة» ـعشرحباتـ فجلسنا فى الساحة الكبيرة الواقعة خلف الجامع ورحنا نمص « الكرملة » معا بعد أن اقتسمناها بالتساوى ، وفى ذات الوقت أخذنا نصلح السلك معا ، ونصنع منه يدا للطوق ٠٠

وكنت فى ذلك الوقت لم أتجاوز العاشرة من عمرى ، ولكنى كنت أسبق سنى بكثير ، وكان كل من يعرفنى يقول عنى اننى ولد ناصح ، وأننى ـ اسم النبى حارسنى ـ رجل من يومى ٠٠ أما وردة فكانت فى مثل سنى هى الاخرى ـ أو أقل بعامين ـ غير أنها كانت تمتاز عن كل بنات القرية بشعرها الاصفر ، وعينيها الخضراوين ، وبشرتها البيضاء ، وكنا كثيرا ما نلعب معا « استغماية » أو « حاورينى يا طيطه » أو « يا عم ياجمال » ٠٠ ويشاركها فى هذه الالعاب أولاد آخرون يعادلوننا فى العمر ، لكننا كنا نبزهم جميعا فى الشقاوة ٠٠

وكنا ـ أنا ووردة ـ لا نفترق مطلقا فى اللعب ، فنحن الاثنين دائما « مع بعض » لا يحلو لنا الا اللعب معا ٠٠ بل اننى كان من عادتى ألا أقبل مطلقا على اللعب فى اليوم الذى تغيب فيه وردة ، بل كنت أنصرف عن ساحة اللعب ، وليست بى أدنى رغبة فيه ٠ فقد كنت أحب « اللعب » مع وردة جدا



٠٠ واذا ما جريت وراءها لأمسك بها أراها تحاورنى و « تزوغ » منى ، ولا تستسلم لى الا بعد عناء كبير ، ورغم ذلك فلم أكن أحاول مطلقا أن أعتدى عليها بالضرب حينما أمسك بها ـ كما تقضى بذلك أصول اللعبة ـ كما أنها هى الأخرى لم تكن تحاول أن« تزوغ » منى بعدما أمسك بها ، بل كنا نعدو جنبا الى جنب مستغرقين فى الضحك ، شاعرين بالسرور ، وأجد يدى تمتد ـ دون سبب مفهوم ـ الى شعرها الحريرى تتحسسه فى رفق ، ثم تهبط الى خدها الوردى الجميل تلمسه فى حنان ، ثم تستقر على كتفها ، وتظل كذلك طوال الطريق ٠٠!

وقد جلسنا فى ذلك اليوم متجاورين وانهمكنا معا فى صنع يد للطوق ، ونهضنا بعد ما أتممنا صنعها لنجرب الطوق ، فاشترطت على وردة الا أمضى بالطوق بعيدا ، ورغم أن التجربة نجحت ودار الطوق بسرعة ، واندفع الى الامام، وأحسست بألف دافع ودافع يستحثنى الى أن أعدو بالطوق أجوب شوارع القرية ـ بلدنا ـ فى تيه وافتخار ٠٠٠ رغم ذلك فقد خضعت لوردة و « سمعت كلامها » الذى اتبعته بابتسامة كنت أعرف معناها تماما ٠٠٠ ولذلك اكتفيت بأن درت بالطوق حيث كنا عددا من الدورات ووردة ورائى ، تدور معى، وهى تضحك

فى سرور ٠٠ وأعطيتها الطوق ـ بعد ذاك ـ لتأخذ نصيبها هى الاخرى ، ودرت معها دورتين ٠٠ وفى الدورة الثالثة اصطدمت وردة « بقالب من الطوب » ، فوقعت على الارض ، وجرح اصبع قدمها ٠٠ وعندما رأيت أصبعها ينزف دما انزعجت ، وسارعت فانحيت عليها وأجلستها وأمسكت بالاصبع المجروح ورحت أمسح الدم عنه ٠٠ ووضعت فوق الجرح قليلا من التراب لاكتم الدم ، وظللت أضغط على الاصبع براحة يدى ، ولم أرفعها الا بعد أن اطمأننت الى أن الدم قد توقف عن النزف ٠٠ غير أن وردة ألقت بعد ذلك ـ ومن تلقاء نفسها ـ برأسها على كتفى ٠٠ وهى تقول لى : «أنا دايخه يا محمد» وسارعت أتحسس جبينها ، وأربت على خدها ، ووجدتنى ـ ولا أدرى لماذا ـ أمسك برأسها ، واريحها على ركبتى ، واقول لها : « نامى كده شوية » ٠٠ ونامت وردة ، ورفعت الى عينيها الخضراوين ، وتفرق شعرها الحريرى على ركبتى ، ورمقتنى ، باسمة فسألتها :

ـ انت عنيك خضرة ليه يا وردة ؟

ـ خلقة ربنا ٠

ـ وشعرك أصفر ليه ؟

ـ قسمتى ٠

ـ انت بتحبى تلعبى معاى ؟

ـ قوى ٠

ـ وبتحبى تلعبى مع الاولاد التانيين؟

ـ لا ٠ ماباحبهومش ٠

ـ طيب ٠٠ ابقى تعالى نلعب هنا كل يوم لوحدنا بالطوق ٠

ـ نلعب هنا لوحدنا ؟

ـ ايوه ٠٠ موش أحسن ؟

ـ أيوه أحسن ٠٠ خلاص ما عدتش ها أروح الجرن تانى ٠٠ كل يوم ها اجى هنا ٠٠ نلعب احنا الاتنين بس ٠٠ وماعدتش ها العب مع حد تانى ٠٠ بس اوعى تبقى توقعى زى النهاردة ٠

ـ وايه يعنى ٠٠ لما تقعى ٠٠ اذاوقعت ها اشيلك ٠٠ وأنيمك ٠٠ ماتخافيش أبدا وانت معاى ٠٠

وراحت يدى تزيل ما علق بجلبابها من تراب ٠٠ وارتفعت يدى ـ بعد ذلك ومن تلقاء نفسها أيضا ـ الى خدهاتربت عليه ٠٠ والى شعرها تتحسسه ٠٠ وعدت أسألها :

ـ خلاص يا وردة ٠٠ كل يوم هتيجى هنا نلعب سوى ٠٠؟

ـ خلاص ٠٠ يا محمد ٠

ـ بس ما تقوليش لحد تانى ٠

ـ حاضر موش ها اقول لحد تانى ٠

ـ ونفضل كده لعند امتى ؟

ـ لعند ما نكبر ونبقى ٠٠٠٠

ـ ونبقى ايه يا وردة ٠؟

ورفت على ثغرها ابتسامة مشرقة ٠٠ وهى تجيب فى صوت هامس :

ـ نبقى عريس وعروسة ٠

وكان الظلام قد حل ٠٠ وصوت الشيخ ابراهيم يرتفع بأذان المغرب ٠٠ فنهضنا ٠٠ وقد نسينا تماما أن « الباجور » لم يتم اصلاحه ، وبالتالى لم يعد الغداء لوالدى ، وان الفانوس لم ينته صنعه ، ولذلك فسوف يبيت والد وردة واخوتها ع الساقية فى الظلام ٠٠

نسينا ذلك كله ٠٠ ولم نذكر الا هذا الطوق الحديدى الذى طوقنا به منذ ذلك اليوم ٠٠ ولم نتخلص من اساره حتى اليوم ٠٠ لا أنا ٠٠٠ ولا وردة ٠!

القصة القصيرة والأدب الياباني

تأليف : ايڤان موريس

ترجمة : رمزي يسى

يعد الأدب الياباني الحديث في جملته أدبا جديدا بالرغم من اتصاله بالآداب اليابانية القديمة ، فقد فتحت نهضة «ميجى» صفحة جديدة في التأليف عامة ، كما فعلت ذلك في الشئون السياسية والتعليمية وغيرها ·

وقد يتعذر تتبع القصة القصيرة وتطورها في اليابان الحديثة الى أكثر من قرن واحد من الزمان ، وذلك أن اللغة اليابانية نفسها قد حدث فيها تحول أو تطور مستمر منذ أقدم العصور حتى الآن · واستمدت القصة القصيرة أساليبها من آداب العصور القديمة والوسطى ، ومع ذلك يجب أن نذكر أن عصر النهضة كان له أثر كبير في التقريب بين اللغة اليابانية الفصحى واللغة الدارجة · أما الآثار العميقة حقا فيمكن أن نردها دون عناء الى دخول الآداب الأجنبية الى تلك البلاد بعد سنة ١٨٦٠ على يد طائفة من الكتاب اليابانيين النابهين في عهد الامبراطور « ميجى » ·

ولا بد لنا حين نبحث في آداب بعيدة كل البعد عن أذهان القراء من الغرب أو من الشرق أن نشير اليها من الزاوية التاريخية كما قال مستر أنجوس ولسن : « لكى نقرأ أدبا ينتسب الى حضارة من الحضارات أو عهد من العهود السحيقة التي نجهل عنها الشيء الكثير ، لا بد من الاعتماد على أساس مناسب من المعلومات التاريخية لكي يتيسر لنا فهمها » ·

والحد الواضح الذى يعين بداية العصر الحديث في اليابان لا يمتد الى أبعد من قرون قلائل ، وهى الفترة التى يسميها المؤرخون بنهضة الامبراطور « ميجى » التى كانت نتيجة لعمليات تفاعل داخل طويلة ما ان بلغت مداها حتى انهار «النظام القديم» الذى منح البلاد سلاما وأمنا مدى قرنين ونصف قرن ·

وفى سنة ١٨٦٧ ، عندما أصيب الاقتصاد الياباني في الداخل بالكساد ثم بالانحلال ، وازداد ضغط الدول الأجنبية من الخارج ، ثارت أربع نقابات كبرى ، وعاونتها مؤثرات أخرى كثيرة ، وسحقت الحكومة الاقطاعية المركزية التى كان يليها حكام عسكريون متعاقبون من أسرة « توكوجاوا » وآلت السلطة الى الامبراطور ماجى ومستشاريه فاستطاعوا في سنوات الغاء الاقطاع وبخاصة من جوانبه السياسية

والاقتصادية وتحويل اليابان الى دولة متماسكة ذات حكومة مركزية على الطراز الأوربى سرعان ما نما فيها الاقتصاد الرأسمالى ، وصحب ذلك الانقلاب الصناعى • واكتسح تيار هذا التحول الجارف عددا لا يحصى من العادات والتقاليد ، وارتفع المد الثقافى الغربى وطغى على كل شىء ، حتى لقد فكر البعض فى احلال اللغة الانجليزية محل اللغة اليابانية ، وفى اعتناق المسيحية بدلا من الديانات الوطنية •

وبذلت اليابان بعد سنة ١٨٦٨ قصارى جهدها لنقل الثقافة الغربية ووسائلها وحاولت أن تمتص كل شىء من العالم الخارجى فى عشرات قليلة من السنين لكى تسير فى وكب الأمم الناهضة فى القرن التاسع عشر ، وتتعامل مع البلاد الأجنبية على قدم المساواة مع بجنب المصير الذى منيت به الأمم الآسيوية العسكرية المتخلفة • وقد كان لها ما ارادت ، اذ استطاعت بجيشها الحديث أن تهزم الصين سنة ١٨٩٥ ثم كسبت الحرب بعد عشر سنوات أخرى ضد روسيا ، فاصبحت بذلك من الدول العظمى •

وكان لهذه التغيرات السريعة الهائلة أثر فى الأدب اليابانى ، بيد أن هذا الأثر لم ينعكس مباشرة على الكتابة اليابانية وذلك لأن حكومة الاقلية كان هدفها الأخذ بالوسائل والفنون الغربية مع الاحتفاظ « بالروح » اليابانية ، واكتفت بالنواحى المادية من الحضارة الغربية ، فحدث نوع من التقاعس أو التمهل استمر خمسين عاما أو نحوها •

ويجب أن نلاحظ أن الآداب اليابانية قد بلغت الحضيض ابان هذه الفترة ، وفقدت القصة النثرية فى أخريات عهد « توكوجاوا » كثيرا من قوتها وجدتها • وهما الصنفان البارزان فى الآثار النثرية التى خلفها كتاب القرن الثامن عشر والتاسع عشر من **أمثال « سياكاكو » ، و « كيزيكى » ، و « أكيناري » وأصبحت الحكايات الداعرة وقصص الجنس المتبذلة هى المعين الأول لكتاب النثر فى أوائل القرن التاسع عشر ، باستثناء** اثنين أو ثلاثة من الكتاب النابهين ، وبقى الأدب الصينى من دون الآداب الاجنبية جميعا صاحب السلطان حتى سنة ١٨٦٠ لأن اتصال اليابان بأوربا ظل محدودا قرابة **قرنين من الزمان واقتصر الاتصال على المنطقة التى نزل فيها الهولنديون على مقربة من نجازاكى ، وهو اتصال تجارى أكثر منه ثقافى •**

وكانت أول قصة غربية كاملة ترجمت الى اليابانية سنة ١٨٧٨ • وتزايد دخول الآثار الادبية من الغرب فى سنة ١٨٨٠ ، ولم ينته القرن التاسع عشر حتى تدفقت **المؤلفات الغربية فى تيار غير منقطع الى الوقت الحاضر •** وعكف عدد كبير من المترجمين اليابانيين على نقلها فوقف القراء على أنماط وألوان من الآداب الغربية وبخاصة القصة الحديثة ، وحاول بعض الكتاب اليابانيين تقليدها بعد أن انفعلوا بها وحصلوا على نتائج ملفتة للنظر ، ولكن تقليدهم لم يكن مباشرة ، بل كان هناك أحيانا سوء فهم أو **قصور عن ادراك القصص الاوربى أدى الى سوء هضم هذا اللون من الأدب كما أشار الى** ذلك الناقد اليابانى « بورشيدا » بقوله : « ان قصة البعث لتولستوى لم تفهم حين **ترجمت الى اليابانية الا على أنها قصة عاطفية عن حب تعيس » •**

ولم يستطع هذا السيل من الأدب الغربى أن يبعد اليابانى عن تقاليده ومألوفه ولم يشجعه على الانفصال عن آدابه الموروثة دفعة واحدة ، وتعتبر سنة ١٨٨٥ بوجه

عام بداية ظهور القصة اليابانية الحديثة وهى السنة التى نشر فيها « تسوبوتشى شويو » (١٨٥٩ – ١٩٣٥) كتابه « جوهر القصة » وهو أول دراسة نظرية جادة فى القصة اليابانية • وكان المتعلمون يحتقرون القصة النثرية ويعتقدون أنها جديرة بالنساء والأطفال وحسب • وكان كتاب القصص النثرية من أمثال سيكاكو مجهولين مغمورين ، وكان النقد الأدبى فى جملته موجها الى فنون الشعر الكلاسيكى، ولم يحظ بشىء من التقدير غير مؤلفى القصص التعليمى أو التهذيبى من أمثال « باكين »• ولكن تدفق القصة النثرية الغربية دعم فى النهاية مركز القصة النثرية فى اليابان •

وقد خصص تسوبوتشى شويو قسطا من جهده ووقته لترجمة الأدب الغربى الى اليابانية، فترجم أعمال شيكسبير، وكان لسعة اطلاعه على الادب الغربى وتخصصه فى الأدب الانجليزى أكبر الأثر فى شعوره بالحالة السيئة التى وصلت اليها القصة اليابانية بالقياس الى القصة الأوربية • وقد أشار الى تطور القصة اليابانية فيما بعد نتيجة لادخال وسائل الطباعة الحديثة وانتشار التعليم ، ولكنه كان يراها برغم هذا شديدة التخلف وقد عبر عن ذلك بقوله :

« هنا أعداد لا حصر لها من القصص والروايات المتخلفة تؤلف الآن فى بلادنا ، وتنوء بحملها الأرفف ، ولكنها كتب لا تضم غير التفاهات » ويعزو المؤلف هذه الحالة الى حاجة القراء الى حسن الفهم والادراك، واخفاق المؤلفين فى انتزاع أنفسهم من عقلية وروح عهد ميجى • وكان يرى أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو «تمدين » الادب اليابانى •

وتتضمن عملية التمدين هذه ، الأخذ بالقصة الواقعية الغربية ، وكفاح الكتاب اليابانيين خاصة فى سبيل الوصول الى الواقع السيكولوجى لكى يتمكنوا من ابداع ألوان من الأدب الحقيقى • كما أن واجب المؤلف القصصى ليس توزيع المديح أو اللوم ، ولكن عليه أن يلاحظ العواطف والانفعالات المستترة التى تدفع الناس الى تصرف معين أو سلوك خاص • وهنا نجد دليلا على الاقتراب من مذهب الطبيعيين الذى قدر له أن يقوم بدور هام فى الأدب اليابانى فيما بعد • ومع ذلك فقد اهتم تسوبوتشى بالغرض الجمالى والمحسنات فى القصة ، وقال بضرورة انتاج أعمال فنية من شأنها رفع الذوق العام ، والا تقتصر وظيفة المؤلف على الدعوة الى الفضائل والتحلى بالمشاعر الخيرة • وأهم كتاب انعكست عليه آراء تسوبوتشى هو كتاب « السحابة المتجمعة » وهو قصة الفها « فوتاباتى شيمى » نشرت بين عامى ١٨٧٥ و ١٨٧٩ • وكانتدراسة فاتاباتى للأدب الروسى وللترجنيف بنوع خاص قد أقنعته بضرورة الطريقة الواقعية فى كتابة القصة سواء كان ذلك فى الموضوع أو الأسلوب وقد تخلص من اللغة الأدبية القديمة واستخدم اللغة العادية فى وصف ألوان الصراع الباطن الذى يساور الرجل الحديث ، وقد أدت قصته « السحابة المتجمعة من هذه الناحية ومن نواح أخرى كثيرة دورا هاما غير مسبوق فى تقدم القصة اليابانية الحديثة •

وهناك كاتب نابه فى تاريخ أدب ميجى هو « مورى أوجاى ١٨٦٢ – ١٩٢٢ » كان يعمل طبيبا بالجيش الألمانى فاستطاع أن يقف على التيارات الادبية السائدة فى

أوربا • وقد أثرت مقالاته وكتبه تأثيرا عميقا فى الأدب اليابانى الحديث وبخاصة فى القصة القصيرة والتمثيليات ، وكان هو نفسه متأثرا فى نقده الادبى بالمثل العليا الجمالية التى كانت سائدة فى ألمانيا فى أواخر القرن التاسع عشر • وعاد أوجاى من أوربا فى الوقت الذى ظهر فيه الأثر الالمانى فى اليابان •

ووجه أوجاى كثيرا من النقد الى نظريات تسوبوتشى الخاصة بالأدب الواقعى ، وقدم فى نفس الوقت نوعا من الأدب العـاطفى الذاتى • وظهرت أولى قصصه الخيالية سنة ١٨٩٠ ، وهى تروى أحداث حب مفجعة جرت فى برلين بين شاب يابانى من الطبقة الراقية وبين احدى فتيات البالية الجميلات ، وهى قصة تحليلية لتجربة شخصية • وقد وضع أوجاى قصة « الفتاة الراقصة » هذه فى صيغة المتكلم ، ويقول فى ذلك : « لقد حاولت أن أقدم صورة قلمية لشاب يابانى كان يعيش فى برلين فى نفس الوقت الذى كنت أنا نفسى أعيش هنالك ، وصادفتنى نفس المآزق التى صادفته • وتعتبر هذه القصة من النماذج الهامة التى تأثر بها الأدب اليابانى الحديث •

وكان لكتابات اميل زولا وموباسان أثر عميق للغاية فى دوائر الادب اليابانى من حيث أخرجت هذا الادب من محيطه التقليدى القديم ، وظهر قرابة الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤) عدد من الكتاب اليابانيين النابهين نادوا بأن الادب يجب أن يبحث عن الحقيقة ويتوخى الصدق ، وأن يصف حياة الناس العادية وصفا موضوعيا بعيدا عن العـاطفة ودون تهويل أو مغالاة ، وأن يهتم بتفصيل الوقائع أكثر من اهتمامه بالأسلوب والشكل والجو ، وأن الكاتب الحديث يجب أن يصل الى درجة من الحياد تشبه ما يسجله رجل الشرطة من الوقائع أو ما يثبته الطبيب فى تقريره •

ومع ذلك فان الأدب اليابانى المتأثر بمدرسة الطبيعيين قد أخذ منذ نشأته فى الانحراف عن الحركة الطبيعية فى أوربا والتى أوحت فى الأصل بهذا اللون من الأدب اليابانى، وكان لقصة « المتحرر » التى ألفها « تياما كاتاى » ، وهو من رواد مدرسة الطبيعيين أثر كبير فى الاخذ بكتابة التراجم والسير الشخصية فى مدرسة الطبيعيين • وتتناول هذه القصة بالتفصيل ، الوقائع والمشاعر الذاتية التى رواها الكاتب عن نفسه بوصفه بطل القصة •

وهناك عدة آراء فى الأســباب التى دعت الى الأخذ بهـذا اللون من الادب « الاعترافى » الذى اتجهت اليه مدرسـة الطبيعيين فى اليابان ، فقيل ان انهيار الاقطاع والتغيرات الجذرية التى تمت نتيجة لذلك ، كانت تفرض دائما من أعلى الى أسفل ، ولم تكن نتيجة للمجهودات الشعبية مما أدى الى اتسـاع الهوة بين الفرد والمجتمع وجعلت اليابانى أقل اهتماما بالأمور السياسـية والمشـكلات الاجتماعية من أى شعب آخـر من الشعوب الغربية • وأدت التقاليد الى اشاعة الشـعور بعدم الاهتمام بالمشـكلات الخارجية ، ولم تشـجع كتاب عهد ميجى على توجيه أى نقد للأوضاع القائمة ، ومالوا الى الموضوعات الشاملة التى تناولها اميل زولا وغيره من الكتاب الطبيعيين فى الغرب • أما القراء فكان اهتمـامهم الأول بقراءة الكتب التى تصف التجارب الشخصية وبخاصة اذا كان بطل القصة هو المؤلف نفسه ، ويفضلون

ذلك على القصص المطولة التى تصف المجتمع كله وتحتشد فيها مجموعة من الشخصيات تمثل جوانبه المختلفة • وأهم تراث تركه الطبيعيون فى اليابان هو اقناع جمهرة الكتاب بأن الأدب الحقيقى الجدير باسمه هو الذى يستمد ثروته من واقع حياة المؤلف ، المادية والروحية • ولكن هذا اتجاه كانت له أضراره المدمرة من حيث تجاهل بعض الكتاب اليابانيين المحدثين مستلزمات القصة والأسلوب الأدبى ، بالاضافة الى أن هذا الأدب « الاعترافى » فيه خداع خطير يقوم على فكرة أساسية هى وجود شىء حقيقى صادق فى حياة المؤلف الخاصة • ولقد نجح فى هذه الناحية بعض الكتاب الموهوبين ، ولكن كثيرا من الكتاب انتجوا على هذا الأساس انتاجا ممسوخا قاصرا ، فلم يحققوا الفكرة من القصة الطويلة ولا من القصة القصيرة •

وأخصب عهد للكتابة فى اليابان هو السنوات العشر التى أعقبت الحرب الروسية اليابانية اذ شهدت أعظم الكتاب وكان طبيعيا أن يؤدى الانتصار الحربى على دولة من أعظم دول العالم آنئذ الى ازدياد الثقة بالنفس ، وكان أثر الآداب الغربية قد وضح فى نفس الوقت ، وبالرغم من سيطرة مدرسة الطبيعيين على الميدان الأدبى كان بعض الكتاب النابهين يعارضون هذه المدرسة ، وظهرت فى اليابان عدة مدارس أخرى مثل « المثالية الحديثة » ، و « الواقعية الحديثة » ، أخذت تناهض الطبيعيين وتثور على الكآبة والغموض والجفاف وعقم الأسلوب التى تميزت بها هذه المدرسة ، وأصبحت مؤلفات هؤلاء الكتاب ذات وزن وموضع تقدير كبير حتى الوقت الحاضر ، فى حين طوى النسيان آداب الطبيعيين •

وفى اليابان ظاهرة تحتاج الى التنبيه ، وهى ظاهرة قيام جماعات فى شتى الميادين الأكاديمية والسياسية والموسيقية وغيرها ، وميل الكتاب الى التجمع ، ويرجع ذلك الى ما قبل العصر الحديث حين كان الفنان الناشىء لا يجد سبيلا الى الشهرة الا بالانتساب الى جماعة أو هيئة ، أو أن يكون من أسرة شهيرة تمنحه الحماية والتشجيع ، وهى من ظواهر النظام الاقطاعى الذى كان يعنى أشد العناية بالعلاقة بين التلميذ وأستاذه ، وهى علاقة أدبية لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر •

وكان للحرب العالمية الأولى أثر مادى عميق فى اليابان ، فقد تأثر رجال الفكر اليابانيون • بتطورات ما بعد الحرب ، وشارك عدد كبير منهم فى الحركات الاشتراكية والشيوعية وحركات العمال • وتكونت فى سنة ١٩٢٠ مدرسة كتاب البروليتاريا وهى السنة التى تميزت بحركات التمرد والاضراب احتجاجا على رفع أسعار الأرز ، وقد اجتذبت هذه الحركات عددا من الكتاب البارزين • وبالرغم من سياسة القمع والقسر التى اتبعتها الحكومة فقد ازداد نشاط كتاب البروليتاريا وتركوا أثرهم طوال فترة ما بين الحربين العالميتين على الأدب اليابانى •

وبالرغم من الفروق الكثيرة التى تفصل بين مدرسة البروليتاريا ومدرسة الطبيعيين ، فان كلا من المدرستين احتلت مركزا قياديا فى تطور الأدب اليابانى بالرغم من اهمال كل منهما للأسلوب الأدبى الذى أصبح ثانويا بالنسبة الى معالجة الحقيقة والواقع معالجة « علمية » وأصبحت الفكرة السائدة ، لعدة سنوات ، فى الأدب الحديث هى العناية بالحقائق الجامدة التى تتصل بحياة الفئة الكادحة ·

أما العهد المادى (١٩٣١) فقد شهد اضطهاد الفكر من جانب الحكومة التى نبذت مبادىء الديمقراطية والتحرر بوصفها عقائد غربية لا تلائم ظروف اليابان ، وقد هوجمت الروح الفردية بوصفها ظاهرة تنطوى على الأنانية وحب الذات ، بل نبذ كل رأى رؤى أنه غير مستقيم واعتبر من « الأفكار الخطرة » واضطهد الكتاب اليساريون اضطهادا شديدا · وآثر أصحاب الآراء المتحررة الصمت محتفظين بمعتقداتهم فى هذا الجو الخانق البعيد عن التسامح ·

وفقدت اليابان استقلالها سنة ١٩٤٥ بعد أن احتلها الحلفاء ، ومن المفارقات العجيبة أن يكون لهذا الاحتلال أثر كبير فى كثير من رجال الفكر اليابانيين وذلك أنه أعاد اليهم نهائيا حرية التفكير والكتابة والخطابة ، بل وظفر المتطرفون منهم بالحماية ولم يعد لرجال الشرطة سلطة القبض عليهم لمجرد الاشتباه ، ولم يعد لهم حق مصادرة مؤلفاتهم أو القبض عليهم فى « جرائم الرأى » ولم يعد لرجال الرقابة على الصحف الا تأثير ضئيل على القصة بنوع خاص ·

وامتازت فترة ما بعد الحرب بانهيار القيم التقليدية القديمة التى كانت تفرضها الحكومة المركزية وحل محلها تمجيد المبادىء الديمقراطية الغربية ، ولكن كان لابد من مضى وقت ملائم لكى تهضم العقلية اليابانية هذه المبادىء ، ولكن خسائر الحرب والهزيمة ، واضطراب الشئون السياسية والاقتصادية تكشفت عن تدفق فى النشاط الأدبى · ومن الظواهر الجديدة الملفتة للنظر أن الكتاب تناولوا المسائل الجنسية والعاطفية وعالجوها بحرية تامة بعد أن كانت الرقابة العسكرية تعتبرها من معالم الانحطاط ·

وبزوال هذه الأغلال أصبح المؤلفون أحرارا فى نقد التقاليد العسكرية الوطنية وعبادة الامبراطور ، ونظام الأسرة ، بل والبناء الاجتماعى برمته ، وبسقوط السلطة وتزعزع التقاليد الاجتماعية نشأت فى نفوس الكتاب الناشئين حالة من الشك اتخذت أحيانا شكل انحلال ويأس وخوف من المسئولية · ودخلت الفلسفة الوجودية الى اليابان قادمة من فرنسا بعد الحرب ، ولكن فى صورة غامضة لأن ترجمة « سارتر » ، « وكامى » كانت مبسطة الى حد كبير ولم تفهم على حقيقتها بل فهمت فهما خاطئا مما ساعد على استفحال موجة الفساد التى عمت البلاد ، فعاش عدد من الكتاب على العكس فى حال من الفوضى والانغماس فى الجنس والنزوع الى الانتحار ، وانعكس كل ذلك على كتاباتهم التى اتسمت بالتحرر وطرح القديم برمته ، وانشاء أدب جديد ، ولكن لم ينجح الا القليلون فى انتاج أدب ذى قيمة

أو وزن ، بيد أن حالة الانتعاش الاقتصادى ، والاستقرار السياسى بدأت بعد سنة ١٩٤٨ وانعكس كل هذا على الانتاج الأدبى ، وعاد النشاط الى الكتاب الذين ظلوا صامتين طوال الحكم العسكرى ، فأعادوا طبع كتبهم السابقة وأخذوا يكتبون القصص الطوال والقصار على السواء .

وينطوى الموقف الأدبى فى اليابان الآن على قدر كبير من الانتاج فى ناحية القصة ، وازداد عدد القراء ، وظفرت عدة مؤلفات بجوائز مادية طائلة ، وبالتالى نشط الناشرون وارتفع عدد ما يطبع من المجلات وانخفضت أسعار الكتب وازداد دخل الكتاب المشهورين . ولكن العجلة السرعة التى اصطنعها الكتاب تحقيقا للربح أوجدت ما يعرف (بالأدب التجارى) الذى احتل مكانة بين الأدب الفنى الرفيع ، والأدب السوقى الهزيل انحدر اليه عدد من خيرة الكتاب القدامى ، لكى يستطيعوا تغذية الصحف والمجلات المتهالكة على انتاجهم من سلاسل القصص حتى لقد كان الواحد منهم يخرج أكثر من سلسلتين فى وقت واحد ، بالاضافة الى ما يكتبه من مواد أخرى . وهكذا تجد أن الضرورات الاقتصادية كثيرا ما تفسد الانتاج الأدبى الجاد ، وهى ظاهرة لا تنفرد بها اليابان وحدها .

ومن الكتاب الذين قاوموا (الأدب التجارى) هم الكتاب « الحطرون » أو بمعنى آخر الكتاب الشيوعيون والكتاب الذين خرجوا على النظام القديم بكل ما يتصل به ، أو الكتاب الذين هاجموا التمييع الأخلاقى فيما بعد الحرب .

ولكن مطالب المتطرفين اليساريين أخذت فى التناقص بعد سنة ١٩٤٩ بتحسن الحالة الاقتصادية ، وأصبح الكتاب « الحطرون » بعيدين عن الأذى . ولكن حرية الفكر المطلقة لم تؤثر الى حد كبير فى رفع كتاب القصة الى مستوى أعلى من مستوى كتاب البروليتاريا ، ولم تؤثر مناداتهم بانتاج أدب يهدف الى الاصلاح الاجتماعى فى قصة ما بعد الحرب الا تأثيرا ضئيلا ، بل كانت أصوات هؤلاء الكتاب أكثر ارتفاعا فى المجال السياسى منها فى المجال الأدبى .

وتدفق سيل المواد المترجمة بعد سنة ١٩٤٥ من كافة بلاد العالم بعد أن توقفت حركة الترجمة ابان الحرب ، ولقيت القراءة نهما شديدا من جانب الشعب الذى ظل طويلا محروما منها ، بيد أن الكتب المترجمة كان ينقصها أحيانا حسن الاختيار ، وبعضه لم يقدر تقديرا واعيا ولم يفهم على وجهه الصحيح ، ومع ذلك فقد ترجمت طائفة كبيرة من روائع الأدب العالمى .

وإذن فالى أى حد تأثر الأدب اليابانى بأدب الغرب ؟) .

يجب أن نؤكد قبل كل شئ أن هذا الأثر لم يكن مباشرا كما يزعم بعض الغربيين ، اذ مضى على اليابان نحو سبعين عاما كانت كفيلة بأن يهضم اليابانيون الآداب الغربية القديمة ، وقد أصبح لدى اليابان الآن أدباء عظام مثل « ناتسومى سوسيكى ، وموري أوجاى » وغيرهما .

وبالرغم من وجود فجوات واسعة فى التاريخ اليابانى باعدت الى حد ما بين

قديمها وحديثها فى الميدان الأدبى الا أن الصلة لم تنقطع تماما بينهما . وحتى فى أيام النقل الأولى قلما عمد اليابانيون الى التقليد المباشر ، بل جرى هـذا التقليد فى عمليات طويلة معقدة . وقد عبر عن ذلك القصاص اليابانى الشاب « تشـيما يوكيو » بقوله ان القصاصين اليابانيين هضموا من الأدب الأجنبى عناصره القريبة التناول وحسب . وهو قول أكثر ما يكون صدقا فى الوقت الحاضر . ومن الخطأ ان ننسى فى هـذا المجال أثر الأدب الصـينى الى جانب الآداب اليابانية القديمة التى استطاع بعض المؤلفين مثل ناجاى كافوا ، وتانيزاكى جونيشـيرو ، وكاواباتا ياسـوناري بطريقة تكاد أن تكون واحدة ، مزج الأدب القديم المتوارث بالآداب العربية المنقولة من حيث الفكرة والتكوين الفنى .

ويدين كتاب النثر المعاصرون فى اليابان للآداب الغربية أكثر مما يدينون لآدابهم القديمة ، ولا شـك أن فيكتور هـوجو ، وبو ، ووتمان ، وبودلير ، ودستوفسكى ، وتولسـتوى ، وهاردى ، وزولا ، وموباسان ، وويلد ولورنس وأمثالهم كانوا أقوى أثرا فى الأدب اليابانى من قدامى الكتاب اليابانيين مثـل موراساكى شيكيبو وسيكاكو وباكين .

ويسـتطيع الكتاب اليابانيون المحدثون أن يقولوا ما قاله « ناتسـومى سوسيكى » : « ان ما يحكم عقلى فى هـذه اللحظة ، وكل ما يؤثر فى أعمالى المستقبلة ، ليس بالأسف تراث أجدادى ، بل الأفكار التى جاءتنـا عبر البحر من لون جنسى غريب عنا ، كما لاحظ الكاتب « ميشيما » ، ان أدباء بلاده من دون آداب معظم بلاد العالم ، لا يجد فيها الكاتب شيئا يسـتحق الذكر من الآداب القديمة يمكنه الاعتماد عليها ، ولكنه يقول مستدركا « ان كتابنا الموهوبين حاولوا استخدام قدراتهم الفردية ومواهبهم الشخصية ، فلم ينجح الا القليل فى اقامة مؤلفاته على أساس سليم من التقاليد » .

ان تاريخ القصة أو الرواية فى اليابان طويل متباين كما هو الحال فى معظم البلاد الأخرى ، وقد وصلتنا مجموعات من الفقرات النثرية مثل « حكايات ايزيه » من القرن التاسع ، « وحكايات ياماتو » ، و « حكايات تسوتسومى تشـونا جون » من القرن العاشر ، كما ظهرت فى القرن الحادى عشر « حكايات الماضى والحاضر » وهى تضم أكثر من ألف حكاية مستمدة من التاريخ الهندى واليابانى ومن الأدب الشعبى ، وهى تمثل التقدم الهائل فى تكوين القصص الغنائى فيما بعد . وهناك مجموعات يطلق عليها اسم « أوتوجى ـ زوشى » وهى قصص شعبية أسطورية بالغة البساطة كانت شائعة فى عهد « موروموشى » (من ١٣٠٠ الى ١٦٠٠ م) .

وهناك مجموعات أحدث منها كتبها « اهارا سيكاكو » (١٦٤٢ ـ ١٦٩٣) ، وتتناول حياة رجال ونساء معظمهم من سكان المدن ، ومجموعة « حكايات ضوء القمر والمطر » (١٧٧٦) الشهيرة وتتكون من تسع قصـص عن الأشـباح من تأليف « يويدا أكيناري » بالاضافة الى المجموعات الأخرى التى يضيق عنها المقام .

وفى اخريات القرن التاسع عشر كان موباسان وتشيكوف يملكان ناصية القصة القصيرة فى أوربا ، وكان أولهما أعمق أثرا فى اليابان من الثانى وذلك لأن دخول قصصه الى اليابان اتفق مع ظهور حركة الطبيعيين ، وقد تأثر اليابانيون بطريقة موباسان الواقعية المباشرة فى تناول مادته أكثر من تأثرهم « بشكل » قصصه القصيرة فى ذاته . وبالرغم من أن موباسان وتشيكوف اعتبرا القصة القصيرة نوعا قائما بذاته ، وبالرغم من أنهما عاونا كثيرا على اعطاء القصة القصيرة هذا « الشكل » الذى نألفه الآن ، فان تأثر الكتاب اليابانيين ، صرفهم من التمييز الواضح بين الحكاية الطويلة والقصة القصيرة الأمر الذى يتوفر عند الكتاب الغربيين . فظلت الحدود بين النوعين غامضة فى أذهان اليابانيين ولا يرجع هذا الخلط الى التعبير الاصطلاحى بل يمتد الى الفكرة نفسها أو بالأحرى الى الحاجة الى ادراك مفهوم القصة القصيرة بوصفها شكلا أدبيا قائما بذاته . وكثيرا ما نجد قصة خيالية بعينها يطلق عليها مرة رواية ، ومرة أخرى قصة قصيرة . ونجم عن ذلك أن خلا عدد كبير جداً من القصص اليابانية من بعض الأساليب الخاصة التى يراها الغربيون ضرورية فى القصة القصيرة الحديثة ، وليس معنى هذا بالضرورة وجود شروط جامدة وقوانين وقواعد محددة لشكل القصة القصيرة ، بل من المحال وضع حدود ضيقة لها .

ويرجع تاريخ القصة فى الغرب الى « قصص السحرة » ويمكن تتبعها فى قصص ايسوب ، وبوكاشيو ، وتشوسر ، وقصص التوراة ، ولافونتين . وقد تطورت القصة منذ عهد جوجول بصورة ما واتخذت هذا الشكل من الايجاز والميل الى التركيز واسقاط ما لا ضرورة له ، وظل هذا الميل حتى الوقت الحاضر اذ بدون هذا القصد فى السرد لا يمكن أن توجد القصة القصيرة بمفهومها الحديث . ولكنها قد تختلف من بضع مئات من الكلمات الى ١٥ ألف أو ٢٠ ألف كلمة مع ضرورة تركيز المادة كلها حول صورة مركزية واحدة ، فالتركيز والايجاز أصبحا فى الغرب من معالم القصة القصيرة الناجحة فى الوقت الحاضر .

ووفقا لهذه المقاييس العامة يمكننا تنحية قدر كبير من القصص التى توصف بالقصيرة عن هذه التسمية لأنها لا تزيد مطلقا عن كونها مقالات أو صور اقليمية ، او قصصا طويلة بترت أوصالها .

وقد شجعت وفرة المجلات الأدبية فى اليابان كثيرا من الكتاب على انتاج القصص القصيرة ، فى حين أن هؤلاء الكتاب يكونون أقرب الى النجاح لو أنهم اقتصروا على انتاج القصص الطويلة . ولكن ظهر حديثا فى اليابان عدد كبير من الكتاب عالجوا كتابة القصة القصيرة بوصفها لونا مستقلا من الوان الأدب ، وليست قصة طويلة أجريت عليها عمليات الاختصار والبتر والتقطيع ، وفى مقدمة هؤلاء الكتاب : « شيجا نايوما » و « أكوتا جاوا » و « ناكاجيما » .

وجه المدينة

قصة

بقلم احمد هاشم الشريف

لقد استمر حديثنا ساعة ، أو ما يقرب من ساعة ، واظن ان النقاش استغرق عقولنا فلم نحسب حساب الوقت ، وكان فتحى منكمشا فى غطائه على السرير ، وهو يرتعد من برد يناير وصوته الهادىء القوى النبرات يتسلل الى سمعى ، وينفذ من خلال ضلوعى ، اما انا فكنت اجلس على مكتبنا المشترك اصغى اليه وفى اعماقى عالم حائر مضطرب ، وفى يدى مرآة محطمة اعبث بها ، وكانى ارثى لحالها ، وكان صوتى حادا ، نحيلا مثلى ، وخاصة عندما صحت فيه للمرة الثالثة :

— فتحى.. اسمعنى.. لاتقاطعنى .. إصغ الى اولا ثم تكلم كما يحلو لك .

ولكن فتحى لم يتوقف ، وكيف يتوقف؟ لقد كان حديثنا فاترا فى البداية على ما اذكر ، ويبدو لى انه وصل الآن الى مرحلة تسمح بالانفجار ، وليست هذه حالة نفسية مناسبة لان اخبره فيها عن الخطاب الذى وصل من والده ، يهدده فيها بقطع المصروفات ان لم يترك المظاهرات ويرجع فورا الى الريف ، كما انها ليست حالة نفسية مناسبة لان اطلب منه ان ينتهى من هذا الحديث ويبدا فى تدبير مصيرنا ، مصيرى انا ومصيره هو . فلا شك ان المناقشة الهبت اعصابنا ، وجعلت من الصعب استعمال عقولنا استعمالا مثمرا ، وعند ما يتسلل الماء من خلال ثغرة ضيقة هينة الاتساع ، فقد يكون فى الامكان تدارك الامر ، وسد الثغرة . اما حين تتسع هذه الثغرة ، وتتحول الى فجوة واسعة المحيط ، فلن نتمكن بسهولة من منع الماء المتدفق ، كذلك الحال عندما نكون امام عود ثقاب ، فلا شك ان مهمة اطفائه فى البداية اسهل بكثير من حالة اخرى ، نهمل فيها شانه ، ونتركه يرعى فى هشيم وحطب جاف .

وحتى الآن لم يتوقف فتحى عن الكلام ..

وبدات اتململ ، وسمعت حركة خفيفة عند النافذة ، واحسست بالرعب فى بداية الامر لانى لم اكن اتوقعها ، وتطلعت اليها لاتبين مصدر الصوت .. كانت المدخنة تهتز فى الخارج وتحدث صريرا بفعل احتكاكها بالحائط ، كذلك الصوت الذى نسمعه عند فتح الباب او اغلاقه ومعنى هذا ان الهواء بدا يناوشنا

ليحطم ما تبقى من زجاج النافذة فقمت لاغلقها .

وفى حركة عصبيـة سريعة اغلقت وانا القى نظرة آسفة على شارع عدلى ثم على القاهرة كلها ، وقد غلفها الدخان وشملها سكون عميق ، وعدت الى مكانى لاعبث من جديد بالمرآة المحطمة وانظر اليها رائيا ، وأتابع حديث فتحى ..

ومع أن فى امكاننا أن نتبين اسباب الوقائع الملموسة التى تعرض لنا ، الا ان مشاعرنا لا تخضع لهـذا القانون ، فنحن نشعر احيانا بالحـيرة والقلق والانقباض دون ان ندرك لذلك سـببا واضحا ، وقد كان هـذا الاحساس يراودنى فى تلك اللحظـة ، مع ترقبى لحدوث شيء هام يقضي على هذا القلق .

وللمرة الثانية سمعت حركة خفيفة ، حسبتها فى البداية صادرة من انفتاح الباب ، ودخلت علينا مدام روجيه .. صاحبة البنسيون ..

وتوقف فتحى عن الكلام لاول مرة .

وتطلعت اليها ..

كانت ترتدى ثوبا بسـيطا هادىء اللون ، كمادتها ، وكان وجهها الابيض يبدو صـافيا ، وان شـابه قليل من الاصفرار وكان شعرها الرمادى البديع ينسدل على خديها وعينيها الزوقاوين ، برغم محاولاتها المستمرة فى دفعه الى الخلف ، وباختصـار لم يظهر تاثير الحادث على ملامحها بشكل واضح ، وفى الفة معتادة جلست على طرف السرير ، فاضطر فتحى الى الجلوس بعد ان كان مستلقيا تماما ، وان كان لم يتخل عن غطائه لشدة البرد وبدات مدام روجيه تهمهم وهى تبسـط كفيهـا الى اعلى فى شكر وامتنان ، وفهمت انهـا فرحة بنجاة « البنسيون » من موجة الدمار التى اجتاحت المدينة ، ثم ما لبثت ان صاحت بلهجتها التى اعتدناها :

ــ هوه المصريين «متوحش» كده .. كله حريق ، كله قتل ونهب . البلد كله كله .. نحن متوحشون .. يالهـا من كلمة ..

كنت مستعدا للرد عليهـا ، بحماسي ووطنيتي وايمانى ، وكنت مسـتعدا لان اشرح لها الظروف التى احاطت بنـا ، والموقف الذى افلت من يدنا ، والعناصر التى تدخلت وافسدت خطتنا ، ولـكن صبرى كان اقوى من حماسي ، والى كان اعمق من ان افصح عنه وجرحى كان جرحا من الداخـل ، يؤلمنى دون ان ينزف دما ..

ولم يكن فتحى اقل منى وطنيـة ولا ايمانا ولا حماسا فى شرح الموقف لها ، ولكنه سكت . تبادل معى النظر وسكت . كان هناك شيء فى داخلنـا ينتصر على حماسنا ، ويسمو على اندفاعنا ، وينتهى بنا الى الصمت ، واحيانا يكون ذلك اقوى وابلغ من اى حديث وانى لعلى يقين من ان الصمت مؤلم ، ولكن ذكر الحقيقة ، عادة يكون اشد ايلاما .

وطوال فترة صـمتى وانا اتطلع الى مدام روجيه .. كانت نظراتى تستريح على وجهها ، وقلبى يخفق لها فى صمت وعيناى فى عينيها تكشفان عن حيرتى ، حيرتى من ذلك التناسـق الذى اراه فى وجههـا ، والذى يبرز ملامحهـا فى دقة عجيبة ، وحيرتى من ذلك الشعاع الجذاب

الذى يتلالا فى عينيها وحيرتى امام جمالها الاوربى الذى كثيرا ما ناقشت فتحى فيه ، وتطور بيننا النقاش ، وهل الجمال الا تناسق فى التقاطيع ؟ وكان فتحى يضحك منى عندما اتحمس ، واصرخ فيه بصوتى الحاد :

— فتحى . اسمعنى . لا تقاطعنى . اصغ الى اولا ثم تكلم كما يحلو لك .

واحيانا كان فتحى يقهقه ساخرا منى عندما اعترف له بحبى لمدام روجيه ، وافسر له الحب بأنه جاذبية ، وما دامت المدام جذابة ، فلا استطيع الا ان احبها .

ولم نكن ندرس الفلسفة او علم الجمال حتى تدور مناقشاتنا فى هذه المواضيع ، وانما كنا ندرس بكلية الحقوق ، وليس فيها ما يمت بصلة القربى الى هذه المناقشات ، اللهم الا اذا اعتبرنا القانون والاقتصاد والشريعة علوما ، تبحث فى الجاذبية وتناسق التقاطيع . ومع هذا فلقد كنت اهتم من كل شيء بوجهه ، الوجه فقط . وارى فيه كل ما يعنينى ، فتحى يهمنى فيه وجهه ، أعرف منه ان كان راضيا ام غاضبا ، موافقا ام معارضا وارى فى عينيه صورة دقيقة لما يحدث فى اعمق اعماقه ، وعندما انظر اليه ، واستغرق فى النظر ، تمرح عيناى فى جبهته الفسيحة ، وشعره المرجل ، وعينيه الواسعتين بحاجبين فوقهما كأنهما تاجان من تلك التى نسمع عنها فى الاساطير . . و . . «مدام روجيه» يهمنى فيها وجهها المتناسق الجذاب . .

ومدينتى الجميلة التى اتطلع اليها كل يوم من هذه النافذة ، واتأملها ، فى الصباح القى عليها نظرة وانا ارتشف الشاى قبل ذهابى الى الكلية واراقب تورد خديها عندما تصحو وقد طوقتها الشمس (تلك العلبة السحرية المستديرة) بعدد لا حصر له من الايدى الطويلة الشفافة ، وكأنما هى عاشق يطوق حبيبته بعد طول غيبة ، فلا يكتفى بذراعين ، وانما يود لو طوقها بالف ذراع . واراقب ابراج كنائسها وقباب مساجدها ، وقد غمرتها الشمس معا فى عدل ، واراقب عماراتها الطويلة الطيبة وهى تتحمل عاديات الطبيعة ، وبيوتها القصيرة الماكرة وهى تتوارى وتحتمى فى الشواهق . واراقب المدارس التى يمرح فيها صغارنا فى امان ويدق جرس له دوى رتيب ، يفزعون منه فى البداية . ثم يطمئنون ثم ينفضون ايديهم مما هم فيه من لهو برىء ثم يقبلون على تحصيل العلم فى اتزان الرجال الذين يدركون الفارق بين الجد والهزل ، ولم لا يكونون كذلك ومنهم المحامى الذى سيدافع عن هذه المدينة ، والمهندس الذى سيجمل وجهها والطبيب الذى سيعالج كهولتها ، ويجدد شبابها ويعيد النبض الى قلبها ، والضابط الذى سوف يحرس هدوء احلامها ويمنع القدم الغريبة من ان تدوس على طرف ثوبها .

والمستشفيات ، كل يوم اراقب المستشفيات ، من هذه النافذة ، واتأملها لابد وان فيها الآن مرضي قليلين ، وسيقل عددهم بالتدريج ، ولا بد أن فيها الآن نساء حوامل يضغطن على الشفة السفلى من الالم ، ثم يلدن صغارا يصرخون وهم يلتفون داخل الاقمطة ويهدأون بعد ذلك عندما يصافحهم عطر ارضنا الطيبة . ولا بد وانهم ينمون بعد ذلك ، كما تنمو البذرة الدقيقة فى باطن الارض ، وتصبح

شجرة هائلة ، تلفحهم شمسنا فتتحول سحنتهم الى اللون الاسمر الخفيف . ويعبون من خمر نيلنا فينبعث من عيونهم ذلك البريق الاخاذ العميق ، ثم يصبحون مثل المئات والألوف والملايين التى تسير فى هذه المدينة لهم رائحتهم ، وبساطتهم واقبالهم على الحياة ..

كل يوم تدور فى راسي هذه الخواطر وانا اراقب وجه المدينة . واقول لنفسي وعلى شفتى شبح ابتسامة : ياله من وجه جميل يضارع وجه مدام روجيه .. ها هى جبهتها الفسيحة الممتدة .. وهاتان عيناها .. وهذا فمها الذى تتدفق منه الضجة ..

وفى المساء القى نظرة سريعة على وجهها ، وارى شواهقها وقبابها وابراجها وقد غمرها ذلك اللون البرتقالى البديع ، والعلبة السحرية المستديرة تجمع الايدى الطويلة الشفافة مجتهدة الا يفلت منها واحد ، وكانما العاشق قد مل تطويق حبيبته طول النهار ، فانسحب فى هدوء ليرحل الى حبيبة اخرى يهواها ويتلهف على لقائها .

قالت مدام روجيه وهى تهم بالقيام :

ـــ طلباتكم ايه .. عندى كل شيء .. الجيش نزل المدينة والتجول ممنوع ..

وشكرها فتحى وهى تنصرف وتغلق الباب خلفها ، وانا لم اتحرر بعد من سلطان سرحانى ..

وشعرت من جديد بالحيرة والقلق والانقباض ، وترقب الحدث المفاجىء المنتظر ، وعاد فتحى الى حديثه بعد ان انكمش مرة اخرى تحت الغطاء وهو يرتعد من برد يناير ، وعدت انا اعبث من جديد بالمرآة وانظر اليها فى رثاء

وانصت الى صوت فتحى المختلط بصوت اهتزاز المدخنة ، وكان واضحا ان الاهتزاز قد زاد الآن كانما هى (بلياتشو) سيفقد اتزانه ويسقط فى الحال من فوق الحبل لخطورة اللعبة التى يقوم بها .

وفتحى .. انه يحدثنى الآن عن (عبد الغفار) زميلنا فى الكلية ، الذى قبض عليه البوليس وهو يطفىء النار فى احد الفنادق ، ويمنع المخربين من النهب والتدمير ، ثم يحدثنى عن وطنيته واخلاصه ، وانا فى حيرة من أمرى وأمر فتحى وامر زميلنا فى المظاهرة ، الذى لا نعرف مصيره الآن ، واخيرا قلت :

ـــ والان لقد انتهى كل شيء .. لماذا لا نسافر غدا الى الريف ؟

ـــ ونترك عبد الغفار ..

ـــ وهل فى امكاننا شيء ، ان القضية ليست قضية عبد الغفار ، انها قضية الشعب الذى اودعوه السجن بتهمة الوطنية واطلقوا سراح المجرمين .

ونظرت الى ساعتى، فاذا بها الواحدة بعد منتصف الليل ، واخذت اتأمل وجهها وعقاربها التى تتحرك فى تباطؤ مثير ، يالنا من اغبياء .. فى البداية نظن اننا احرار ، نجرى هنا وهناك ، وفى كل اتجاه ، وفى النهاية نكتشف اننا ندور حول انفسنا ، كعقارب هذه الساعة ، ثم نكتشف ايضا اننا داخل علبة مغلقة.

وهز فتحى راسه فى اصرار على البقاء وعدم اقتناع بضرورة سفرنا ، فاخبرته بخطاب ابيه الذى يحمل له

التهديد ، اذ لم يكن امامى مفر من ذلك ، لكنه ظن اننى أدبر له حيلة ، لأجبره على السفر دون ان يكون هناك خطاب حقيقى ، وانطلق يؤكد لى اصراره على البقاء وعلى التظاهر من اجل عبد الغفار ، والبحث عنه بأية طريقة ، وبأى ثمن .. وتطلعت اليه ..

تطلعت الى الزعيم الذى قاد مظاهرة اليوم احتجاجا على قتل عساكر بلوكات النظام فى الاسماعيلية بأخس طريقة يلجأ اليها مستعمر ، ووجدت أمامى شابا يعزم ويصمم قبل ان يمر بمرحلة التفكير ، اى تفكير ، وتذكرت أن فتحى — وايضا إنا — فى السن التى يحلو لاصحابها ان يبدوا أكبر من اعمارهم ، ويختالوا بقوتهم ويحلقوا فى سماء الامانى دون أن أن يرتكزوا الى سند من الواقع .

ومرت فترة صمت قصيرة ولكن تلقى اطالها ، وفتحى منكمش امامى على السرير لا يتحرك ولا يتكلم وانا جالس الى مكتبنا المشترك اعبث بالمرآة المحطمة .

وللمرة الثالثة سمعت حركة خفيفة ، واكاد اجزم انها جاءت من خلف الباب .. هل اقترب وقوع الحدث الذى كنت انتظره .. ؟

من القادم .. ما الذى يخبئه لنا القدر ياترى ؟

كان هناك احتمالان ..

الاول : أن تكون مدام روجيه ...

الثانى : ان يكون احد رجال البوليس السرى ، جاء ليقبض علينا ..

وكان الاحتمال الاول ضعيفا ، وليس امامنا الا ان نستعد لمصير مجهول ، كمصير عبد الغفار .

الآن ، لقد انتهى كل شيء يا فتحى ، واقتربت نهايتنا ، ولم يبق الا ان نسمع طرقا خفيفا مؤدبا على الباب ، ثم دويا مروعا مخيفا ، ثم يتحطم الباب ويدخل البوليس ويقبض علينا ويسوقنا الى حيث يرقد عبد الغفار ، ثم يوجه لنا تهمة الوطنية .. ويالها من تهمة .. ها هو خطاب أبيك يافتحى .. انه خطاب حقيقى كنت اخفيته عنك حتى لاتنزعج. اقراه لتصدق .. اقراه لنسافر بعيدا الى الريف .. وننجو بوطنيتنا .

لكن فتحى لم يتحرك ، ولم يجبنى بالرفض او القبول ، وتركنى اصارع الم الحيرة وحدى .. ماذا دهاه ؟ ربما اذهلته المفاجأة ، وربما باغته الصوت المتلصص خلف الباب كما باغتنى ولعله تجمد الآن من الرعب ، لا من برد يناير ، وهو يتصور نفس المصير الذى تصورته ، فسوف لا يرحموننا عندما يقبضون علينا .

وان يهجم عليك انسان ما ويقتلك فى الحال خير الف مرة من عذاب الانتظار ، والفأر يتعذب من مداعبات القط الذى اصطاده . يتعذب وهو يهرب فيلاحقه بمخلبه ، ويتعذب عندما تلامسه شوارب القط واسنانه دون ان يناله اذى ، والذى يعذبه شيء واحد هو الامل . الامل فى ان ينجو مع انه يعلم النتيجة مقدما ، والامل فى ان يعيش وهو يرى نفسه فى دوامة الموت ، والمحكوم عليه بالاعدام يموت ألف مرة قبل ان يلتف الحبل حول رقبته ، وفى كل مرة يتعذب ايضا .... الامل يعذبه .

وانا وفتحى .. ما ذنبنا حتى نتعرض لهذا العذاب ؟

رتبت أمورى ، وقررت ان اسلم نفسي بلا جدال وبدون ضجة ، حتى لا تشعر مدام روجيه وتظن اننى من المجرمين . . . لست مجرما . لم أسرق . لم اقتل . لم اخاف . . تظاهرت ؟؟ نعم تظاهرت . .

لست جبانا حتى انكر ذلك .

وفكرت فى المقاومة . .

ليكن عددهم كبيرا ولكنى سأقاوم ، ستكون معركة غير متكافئة ، يلتهم القوى



نيها الضعيف ، ولكن المهم ان اقاوم ، فالضعيف يحارب بقوتين : قوته العادية، وقوة الدفاع عن كرامته وضعفه ضد طغيان القوى .

وفتحت الباب .. ولم أجد احدا ..

آه .. لقد اختبأوا منى فى الظلام ليوهمونى بالحرية والامن ، حتى يطيلوا عذابى ..

وصحت اسأل عن الطارق ، واجابنى الصدى ..

وفى سرعة اغلقت الباب ، وانا فرح بالنجاة ، وبأن كل ما سمعته كان وهما ، انها السرعة التى تسيطر على اعمالنا عند ما نسمع شيئا جديدا مثيرا مفاجئا ، كالنجاح فى الامتحان ، والرسوب ووقوع حادث تصادم ، ووفاة احد الاعزاء .. واقبلت على فتحى لاطمئنه بالنتيجة ، ولكنه لم يتحرك من مكانه ، ولدهشتى وجدته مستغرقا فى النوم . اذن فهو لم يكن مستيقظا فى البداية ولم يسمع صوتا ، ولم يتجمد من الرعب ، ولم يتصور نفس المصير الذى تصورته .. ومن يدرى ربما لم يكن هناك صوت على الاطلاق ..

وخطوت الى النافذة ، ووقفت أتأمل الخارج بعد الكارثة . .كان الليل يحتضن المدينة فى لوعة ، كأم مذهولة تعانق ولدها المريض ، والظلام يخفى عنى اغلب ملامحها ، وكأنه ضمادات سوداء تحيط بجراحها الغائرة ، والقباب الجميلة والابراج الشاهقة تبدو لى من بعيد كاشباح حزينة فى ملابس الحداد ، والمدارس سوف لا يدق فيها الناقوس الذى ينبه صغارنا الى وقت الدرس ، والمستشفيات لابد وانها ملأى الآن بالجرحى والمصابين ، والشوارع المزدانة والاضواء الخاطفة والضجة المتصلة لا وجود لها الآن ، تلاشت الزينة وخبت الاضواء وماتت الضجة .

تركت النافذة ، واغفيت لحظة ، قمت بعدها لاجد ضوء النهار يغمر الحجرة ، والمدخنة مازالت تهتز ، وفتحى اعد حقائبنا للسفر ، وكان قد استيقظ قبلى ، وقرأ الخطاب ، وادرك الامر على حقيقته، وفى ظل حالة نفسية اخرى غير تلك التى كانت تسود المناقشة فى الليل .

وتناولت المرآة المحطمة من فوق مكتبنا المشترك ، وانا مصر على ضرورة اخذها معنا ، نعم هى محطمة ، وقد اعبث بها دون منفعة فترة من الزمن ، ولكن سيأتى الوقت الذى اجمع فيه اطرافها، واعيدها الى سيرتها الاولى ، واجلوها حتى تبدو صافية رائقة فى بياض مدام روجيه .

وبعد نصف ساعة تقريبا وصلنا الى المحطة ، وتحرك بنا القطار ، ولم استطع منع نفسي من القاء نظرة اخيرة على وجه المدينة .

كان الضباب الذى يتكاثف عادة فى الصباح يخفى عنى اغلب ملامحها ، جبهتها الفسيحة وخديها المتوردين ، فلم الحظ شيئا يقنعنى بجمال وجهها، ولكنى لمحت مدخنة على مرمى البصر .

وتذكرت المدخنة الملتصقة بجوار نافذة حجرتنا ، واهتزازها المستمر ، والبلياتشو الذى سوف يسقط حالا من فوق الحبل .. اذ كانت اللعبة خطرة .

الوظيفة الفنية

للقصة القرآنية

بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

هناك نواح عدة يستطيع الدارس ان يقف عندها ليبرز الخصائص الفنية فى القصة القرآنية . فهناك مثلا عنصر الشخصية وهى متنوعة فى القصص القرآنى . فمنها ما هو من الطيور والحشرات ، ومنها ما هو من الملائكة ، ومنها ما هو من الجن ، ومنها ما هو من الأنبياء والمرسلين ، ومنها ما هو من الرجال العاديين ، ومنها ما هو من النساء .

وهناك مثلا عنصر الحوار . وهو أيضا متنوع الأسلوب مختلف الجمل والفقرات باختلاف المواقف القصصية .

وهناك ايضا عنصر الحادثة ذلك الذى يختلف فيه رسم الحادثة فى موطن عنه فى آخر باختلاف الموقف ، واختلاف القصد والغرض .

عناك عناصر عديدة ، وهناك خصائص فنية مختلفة . وكل منها يستحق الوقوف عنده لتفسيره والحديث عما فيه من قيم جمالية . ولكنى آثرت أن اقف عند أمر آخر له قيمة فى نظرى هو الوظيفة الفنية للقصة القرآنية .

ان القصة القرآنية تهدف الى أغراض بعينها - أغراض دينية فى الغالب - ولكنها عند تحقيقها لهذه الأهداف تؤدى وظيفة أخرى هى الوظيفة التى تؤديها الفنون جميعها .

والوظيفة التى تؤديها الفنون جميعها قد تنتهى عند عمليتى الايحاء والافاضة .

يقول أحد النقاد المحدثين : « **انك اذا مررت صدفة بالقطعة الفنية النفيسة أثناء اجتيازك متحف الفنون الجميلة قد تحرك عواطفك بل ربما أثارت دموعك . وكذلك يقال عن القطعة الموسيقية الجيدة التى ليس من الضرورى أن تكون محزنة .**

« **أما لماذا تثار هذه العاطفة الخاصة فأمر لم يتقرر بعد . وهو أمر لا نستطيع تحليله - غير أن وحى الفن للعاطفة فى غير هذه الأحوال قابل للتحليل . فان الشىء المحزن يوحى لبواعث الحزن مباشرة ، والمضحك لباعث الضحك ، والمؤسف للخوف والهروب . كما أن الدافع الجنسى يستثمر فى الرسم والنحت فى أحيان كثيرة كما يستثمر فى الآداب** » .

ويقول نفس الناقد : ((**ان الفن قد يرضينا لانه يوحى الينا وحيا فكريا — كما يتضح عندما نتذكر أن كثيرا من الاعمال الفنية العظيمة يحتاج الى جهود فكرية لكى نفهمها ونرتاح اليها ، فيجب أن تكون منتبها كل الانتباه لتتمكن من متابعة رواية من روايات شكسبير ، كما أنك تحتاج الى ايجاد مغزى لصورة زيتية قبل أن تتمكن من التلذذ بها جيدا .**

((**وقد لا نفتكر عادة عندما نرى صورة فنية جميلة او نسمع قطعة موسيقية بديعة أنها مسالة تحتاج الى حل .**

ولا يخفى ان ادراكنا مغزى قطعة فنية يحتاج الى جهود وانتباه . واذا كانت المسالة المطروحة امامنا صعبة جدا كان العمل الفنى جافا ، واذا كانت سهلة كان تافها)) .

والقرآن الكريم نفسه قد لفت الذهن الى هذه الوظيفة حين تحدث عن أثر الأقوال فى النفوس ، وكيف أنها تستثير العواطف — مع أو ضد الأشياء .

قال تعالى : ((**واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون))** .

وقال تعالى : ((واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى **وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا))** .

***

والوظائف الفنية للقصة القرآنية نجملها فيما يلى :

١ — وأول هذه الوظائف وأهمها من وجهة نظر القرآن نفسه تخفيف الضغط العاطفى عن النبى عليه السلام وعن المؤمنين ، ولقد كان هذا الضغط قويا عنيفا وكانت أسبابه واضحة جلية ، فلقد كانت أقوال المشركين وكانت أعمالهم التى يكيدون بها للنبى عليه السلام ، والقرآن الكريم ، والدعوة الاسلامية ، هى السبب فى كل هذا الذى دفع النبى عليه السلام الى أن يضيق .

قال تعالى : ((**ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون**)) . وقال تعالى : ((**قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**))

كان أثر هذه الأقوال فى نفس النبى قويا فعالا ، وكانت تلك الخواطر التى أخذت مكانها من قلب النبى عليه السلام أو من قلوب الأتباع . قال تعالى : ((**فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**))

على أن هذا الضغط العاطفي لم يقف عند حد البلبلة النفسية ، بل تجاوزها الى ما هو أبعد مدى وانفذ اثرا ، حتى لنرى النبي عليه السلام يدعو ربه وهو محنق يكظم غيظه ويضغط عواطفه تلك التي اوشكت على الانفجار . قال تعالى : **« فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم اولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم »** .

وقال تعالى : **« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين »** وقال : **« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل »**

كان تخفيف هذا الضغط أو كانت الافاضة عما بنفس النبي عليه السلام ونفوس الأنصار والأتباع مقصدا من مقاصد القصص القرآني ، حتى لا تتزلزل النفوس ، وتترك الدعوة الاسلامية . ولو حدث هذا لما قامت لها قائمة .

كانت عملية القصص في مثل هذه الظروف من العمليات التي يقصد من ورائها القرآن تثبيت قلب النبي عليه السلام وقلوب المؤمنين ، ورد الثقة الى انفسهم ، وبث الطمأنينة في قلوبهم ، وازالة الهم والقلق . وكانت النتيجة لكل هذا هي ذلك الصبر الطويل ، والثبات التي وصل بهم في النهاية الى النصر على الأعداء والمعارضين .

على أن القرآن نفسه قد صرح بهذا الغرض حين قال : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »** وحين قال : **« نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »**

وهذا الأمر هو الذي فطن اليه الرازي فيما نقلنا عنه من حديث .

والقصص التي نزلت من أجل هذا كثيرة في القرآن الكريم . ومنها مجموعة القصص التي وردت في سورة هود . ولقد لفت القرآن الذهن الى المقصود من هذه المجموعة في مواطن كثيرة من السورة . فقد قال في أولها : « فلعلك تارك بعض ما يوحى ... الخ وفي آخرها (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... الخ

ومن هذه القصص ايضا قصة موسى في سورة طه ، ولعله من أجل ذلك بدأ المولى سبحانه وتعالى هذه السورة بقوله **« طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وأن تجهر**

بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو الأسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى ... الخ » • اذ يمضى القرآن فى سرد القصة مبينا العقبات التى لاقاها موسى عليه السلام والصعاب التى وضعها فرعون فى طريقه ، ثم الصعاب التى تعاون فى توجهها الى موسى كل من قومه وأخيه والسامرى الى أن ينتهى النص بقوله تعالى : **« كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ! »** .

ومن هذه القصص أيضا قصة موسى فى سورة القصص ، ومجموعة من قصص سورة الأنبياء وأخرى من قصص سورة الصافات .

واذا أردنا أن نختار قصة تمثل نفسية النبى عليه السلام فى موقفه من قومه، وفى فترة من فترات تاريخه أصدق تمثيل فلن نجد أقوى من قصة نوح فى سورة نوح ، تلك القصة التى تعرض لمشكلات النبى عليه السلام ، أو عهده بالدعوة الاسلامية مشكلة مشكلة ، والتى تتمشى فيها حركة الأسلوب مع حركة العاطفة ، والتى تمثل الضيق الذى ألم به كما تمثل اتجاهه الى الخالق سبحانه وتعالى ليخفف عنه البلاء ، وينقذ المؤمنين من هذه الجماعة الضالة المضلة ــ وهى جماعة الكافرين .

قال تعالى : « **بسم الله الرحمن الرحيم • انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم • قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون • قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ، وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ، قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ، مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ، وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ، رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين الا تبارا .**

فهنا قصة لها قيمتها الأدبية ، ولو حاول النبى عليه السلام تصوير حاله فى قصة لما صورها بقصة أحسن مما اختار له الخالق سبحانه .

والتشابه هنا تام بين حالة نوح فى القصة وحالة محمد عليه السلام ، نلحظه فى عناصر الدعوة من عبادة الله وطاعته كما نلحظه فى طريقة الدعوة من حيث الجهر والاسرار . وفى مقابلة القوم لنبى الله ودعوته بالنفور والفرار ثم بالاستكبار ، وجعل الأصابع فى الآذان · ثم فى الاشياء التى رغب بها فى الايمان من الامداد بالمال والبنين والأنهار والجنات · ثم فى الأشياء التى تلفتهم الى عظمة الخالق سبحانه وتعالى من خلقهم أطوارا ، ومن خلق السموات السبع الطباق ، ومن جعل القمر نورا والشمس سراجا ،ومن انباتهم من الأرض وجعلها بساطا ليسلكوا فيها سبلا فجاجا . ثم فى مناجاته لربه تلك المناجاة التى يخبره فيها أنهم اتبعوا الأغنياء ومن لم يزدهم ماله وولده الا خسارا ، ثم فى تصويره لمكر هؤلاء الأغنياء أو القادة حين طلبوا من قومهم البقاء على ما هم عليه من عبادة للأوثان .

وهنا لابد من لفت الذهن الى أن الأوثان هنا هى بعينها ، تلك التى كانت تعبد فى الجزيرة العربية أول عهد الجزيرة بالبعثة وبمحمد عليه السلام « ود . سواع . يغوث . يعوق . نسر » .

وأخيرا يكون التشابه أيضا فى اتجاهه نحو ربه ، ودعائه على الكفرة من قومه ، وطلبه من المولى سبحانه وتعالى أن يستأصل شأفتهم ، حتى ينجو العالم من شرورهم وآثامهم وحتى لا يبقى الا من دخل بيته من أهل التقوى والايمان .

ونعتقد أن هذه القصة من القصص التى كان النبى عليه السلام يجد فيها صدى نفسه ، وانها من هذا الجانب كفيلة بأن تزيح عن كاهله بعض الأثقال وأن تزيل عن نفسه بعض الألم ، وأن ترد الى نفسه الثقة والطمأنينة ، حين يرى أنه ليس الواحد الفرد فى هذا الميدان .

* * *

٢ – وتجرى مع عملية تخفيف الضغط العاطفى عملية أخرى لا تقل عنها أثرا فى حياة الدعوة الاسلامية ، تلك هى عملية توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الاسلامى ومبادئه ، ونحو التضحية بالنفس والنفيس فى سبيل كل ما هو حق ، وكل ما هو خير وكل ما هو جميل .

ولعل هذه العواطف هى التى تدفع الى النشاط للدعوة ، كما تجعل الانسان يستعذب الألم ويتحمل الأذى فى سبيلها . ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والايمان بها ، ثم الدفاع عنها والعمل على حث الناس على الايمان بها . ايمانا قد لا تزعزعه الحوادث ، وقد لا تذهب به النكبات .

ومثل ذلك ومن صميم العمل الفنى أيضا العمل على تكوين عواطف قوية وصادقة ضد كل ما هو قبيح ودميم من الأشياء والناس . وعند ذلك تتذبذب المبادىء التى شاخت وهرمت وأصبحت لا تساير الحياة والأحياء . وذلك هو الذى

قصده القرآن حين قص ما استثار الغرائز وولد عواطف الكراهية والمقت للأوثان وعبادتها . وما أحيطت به تلك العبادة من ضروب للتقديس ومن تقاليد وعادات .

والأشياء التى حاول القرآن توجيه العواطف نحوها هى مشكلات البعث والوحدانية ، وبشرية الرسل ، وتأييد بعضهم بالمعجزات ... الخ

أما الأشياء التى حاول القرآن خلق عواطف ضدها فكثيرة متنوعة ، نذكر منها على سبيل المثال :

(أ) تلك التى تتصل بالقيم الخلقية من أمثال اللواط ونجس الناس أشياءهم ، وتطفيف المكيال والميزان .

(ب) ومنها ابليس والشيطان ، وقصة ابليس مع آدم قصة أدبية بليغة تعتبر أحد النماذج الأدبية القصصية فى القصص القرآنى .

وقصة ابليس مع آدم من القصص التى تستثير العاطفة ، وتنشط الخيال والتى يقف الفكر أمامها حائرا ، حتى ينتهى الى الاحساس بالعجز عن فهم تلك الأسرار الخفية التى دارت فى الملأ الأعلى فى جو تحيط به الظلال وتكتنفه الغيبيات .

هذه الأمور بالذات هى التى دفعت بالرازى الى الحيرة ، وجعلته عاجزا عن فهم الصنيع الأدبى والمقصد القرآنى والوقوف على أسرار ما دار هنـاك ، وكانت نتيجته اخراج آدم وحواء من الجنان .

يقول رحمه الله عند تفسيره للقصة من سورة الأعراف ما يلى .. السؤال الثانى أن آدم عليه السلام كان يعرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله ؟ .

والجواب لا يبعد أن يقـال ان ابليس لقى آدم مرارا كثيرة ، ورغبه فى أكل الشجرة بطرق كثيرة ، فلأجل المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلامه فى آدم عليه السلام » . اذ نلحظ فى هذا الموقف من الرازى انه لا يطمئن الى قصة دخول ابليس الجنة بعد طرده منها . كما نلحظ أن عقله لم يقبل أيضا قصة الحية ، ولذا نراه رحمه الله يفترض أن ابليس قد لقى آدم مرارا وتحدث اليه .

على أنا نجد الرازى فى موقف آخر يعجب كثيرا من موقف آدم واستجابته لدعوة ابليس ، واهماله لتعاليم ربه ، وذلك عند تفسيره للقصة من سورة طه اذ نراه يقول « واعلم ان واقعة آدم عجيبة وذلك لأن الله تعالى رغبه فى دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله : « **فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** » ورغبه ابليس أيضا فى دوام الراحة بقوله : « **هل أدلك على شجرة الخلد** » ، وفى انتظام المعيشة بقوله : « **وملك لا يبلى** » فكان الشىء الذى رغب الله آدم فيه هو الذى رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها

ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن ابليس عدوه حيث امتنع عن السجود له ، وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته ـ كيف قبل فى الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بكمال عداوته له ، واعرض عن قول الله تعالى مع علمه بانه الناصر والمربى .

ومن تأمل فى هـذا الباب طال تعجبه ، وعـرف آخر الأمر ان هذه القصة كالتنبيه على أنه لا دافع لقضـاء الله ولا مانع منه ، وأن الدليل وان كان فى غاية الظهور ونهاية للقوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله تعالى ذلك وقدره » .

ونحن لن يطول تعجبنا من هذه القصة كما طال مع الرازى ، ذلك لأنا نعلم ان هذه القصة ، قصة بليغة تصور الصراع بين قوى الخير وقوى الشر . ولعل هذه الحيرة التى لحظناها عند الرازى هى الدليل القوى على أن هذه قصة أدبية بكل ما يحمل معنى هذا اللفظ من صـور ، وهى من هـذا الجانب من القصص الادبى الطليق .

واذا أردنا أن نختار واحدة من هذه القصص الدائر حول قصة الخروج من الجنة فأمامنا قصة آدم من سورة الأعراف .

قال الله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال : أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لتكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيلة من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . »

فهذه القصة كما ترى تستعرض العداوة بين آدم والشيطان وترينا أن ابليس يرى نفسه أفضل من آدم ، لانه خلق من نار وآدم خلق من طين ، وهذا هو الأمر الذى دفعه الى الكبر والاستكبار فأبى السجود ، ومن هنا كان العقاب من الخالق سبحانه ، وكان العقاب اخراج ابليس من الجنة ذليلا صاغرا .

وهذه القصة تربنا ان ابليس طلب من الخالق قبل ان يخرج من الجنة ان يأذن له بالدخول ليستطيع ان يلعب دوره فى الحياة ، وهو الافساد وصد الناس عن اتباع السبيل القويم .

هنا نحس ان أحدى مراحل القصة قد انتهت ، وهى مرحلة الخلق والسجود وهى المرحلة التى تصور فيها نشأة العداوة . وتبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية هى آدم وحواء فى الجنة ، وهما شخصيتان تنعمان بالحياة ، اذن لهما الخالق سبحانه وتعالى ان يطعما كل ما فى الجنة الا شجرة واحدة . هنا يأتى الدور الحقيقى لبطل القصة وهى ابليس فقد بدأ وسوسته لاول انسان من البشر هو ذلك الذى من اجله خرج من الجنة .

استجاب آدم لوسوسة الشيطان وأكل من الشجرة وخالف أوامر ربه فكانت عاقبته الخروج من الجنة ، وخرج الى حيث ينتظره ابليس .

بعد ذلك يكون العقاب بين الخالق والمخلوق ، ويكون التوجيه الدينى وهو يشبه الى حد كبير ذلك المغزى الذى يقصد اليه من القصص الخلقى .

تلك هى قصـــة آدم وابليس ، أو قصة النزاع بين الخير والشر أو قصـــة الغرائز الفاضلة مع الغرائز الشريرة . وهى قصة قصد القرآن اليها وبناها بناء ادبيا بليغا ، ودفع بها الينا لتثير فينا الحقد والكراهية لابليس ، وتدفعنـــا الى النفور منه حتى لا نستجيب له ولا نأتمر بأمره أو نستمع الى نواهيه .

* * *

(ج) ومنها الكبر والاستكبار والاصرار والعناد ، ويستوى فى ذلك كثير من الأشخاص خاصة الاغنياء والقادة ، أولئك الذين أخذوا دور العتاة الظالمين الذين يستكبرون على الحق ، ولا يريدون اتباعه .

ولعل أبرع المواقف القصصية التى تصـور هؤلاء القـادة ، وتحرك عواطفنا نحوهم موقف فرعون من موسى عليه السـلام ، وموقف المستكبرين من قوم هود وقوم صالح .

واذا كانت قصة الخروج قد استثارت العواطف وارخت للخيال العنان فانا نجد موقف فرعون يصنع مثل ذلك الصنيع فى القارىء لقصصه فى القرآن

وفرعون من الشخصيات القصصية التى تنبض بالحيوية وتتحرك قاسـية عنيفة فتشيع الرهبة فى النفوس ، والخشية فى القلوب ، وتخرج منها ألفاظ التهديد والوعيد وهى تقطر دما .

واذا اردنا أن نختار قصة تمثل مواقف المستكبرين من الرسـل والانبيـاء والنتيجة التى انتهت اليها الامور ، فلن نجد فيما يخص فرعون أحسن من موقفه من موسى فى قصته الواردة فى سورة يونس .

قال تعالى : « **ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنـا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر**

مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض ومانحن لكما بمؤمنين ، وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين ... ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون . فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين ... الخ »

ففى هذه القصة التى لم نتم تسجيلها هنا عرض لمواقف فرعون من موسى وقومه ومن السحرة انتهى بالنتيجة التى تنتهى بها القصة الشعبية فى كثير من الآداب العالمية من انتصار البطل والقضاء على الظالم الطاغية .

ونلمس نفس الروح من موقف عاد من نبيها . قال تعالى : « **فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون** »

وليس من شك فى ان نتيجة العرض القصصى لامثال هذه المواقف يلقى فى النفس الخشية والرهبة ويبث فيها الخوف عندما تحس ان النتيجة هى العقاب ، وليس من نتيجة للخوف سوى الهرب والابتعاد عن مصدر العقاب ، وعند ذلك تكون النفرة وتكون الكراهية .

(د) ومنها عبادة غير الله : فقد كثر استثارة الانفعالات ضدها وتنفير الناس عنها وكان ابراهيم هو البطل الذى دار حوله اكثر مانزل من قصص يهدف الى هذه الغاية ، ويستعين بالوسائل الفنية للتنفير والاحتقار .

دار بعض هذا القصص حول عبادة النجوم ، ودار بعضه الآخر حول عبادة الاوثان ، وكانت وسيلة ابراهيم الى غايته أن يشكك القوم فيما يعبدون ويضع بين ايديهم صورا لهذه الآلهة ، وهى عاجزة العجز التام عن أن تنفع او تضر ، كما أطلعهم على أنهم يعبدون ما ينحتون ، فهم الذين يصنعون هذه الآلهة ، ثم يقومون نحوها بضروب التقديس والاجلال . واذا أردنا أن نختار احدى القصص التى تصور هذه الناحية فلن نجد خيرا من قصة ابراهيم فى الشعراء « **واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم او يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ،**

رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبى انه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم ، وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكبكبوا فيها هم والغاوون ، وجنود ابليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون ، تالله ان كنا لفى ضلال مبين ، اذ نسويكم برب العالمين، وما أضلنا الا المجرمون ، فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ، ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم . »

اذ فى هذه القصة نلحظ موقف ابراهيم من أبيه وقومه وهو يسألهم عما يعبدون وانهم ليجيبونه بأن معبوداتهم هى الاصنام لكنه يعود فيسال عما تقدمه لهم من خير وتيسر لهم من منافع . وانه ليتجه بالسؤال نحو حاستين ضروريتين للمخلوقات فضلا عن الخالق هما الوسيلة للاستجابة وهما السمع والبصر .

ويعجز القوم عن الاجابة ويعرفون أنه التقليد ، وانهم ماعبدوها الا لأنهم وجدوا آباءهم الاقدمين على هذه الحال ، يعبدونها ويقومون نحوها بضروب التقديس والاجلال ، وهنا تثور نفس ابراهيم ، ويعلن العداوة الا لخالقه الذى يطعمه ويسقيه واذا مرض فهو يشفيه والذى يميته ثم يحييه ، والذى يطمع فى أن يغفر له خطيئته يوم الدين ، وشتان بين الصورتين وبين النوعين من الآلهة . نوع يستجيب فينفع أو يضر ونوع لا يستجيب بل لا يسمع ولا يبصر . وليس هناك من دافع يدفع الى النفرة والكراهية من الأوثان افضل من هذا ؟

بعد ذلك نلحظ تلك المناجاة التى يتوجه فيها نحو خالقه يدعوه فيها بتلك الدعوات الصالحات ، رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لابى انه كان من الضالين ، ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وتنتهى القصة بتصوير مشهد فى الآخرة ، مشهد يذيب القلوب ويبعث على النفرة من عبادة الاوثان . مشهد يصور ذلك الخصام العنيف الذى سيكون بين الاصنام وعابديها ويصور الحسرة والألم على ماأضاعوا من أعمار ، وماتركوا من خير ، كما يصور الندم من اتباع المجرمين والاستماع الى القادة المضلين . **قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ، وما أضلنا الا المجرمون ، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين »** .

ثم تكون تلك الفقرة التقليدية ، التى يختم بها القرآن قصصه فى هذه السورة وهى ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم .

وكنا نستطيع أن نمضى فى الحديث عن تلك الاشياء التى أثار القصص القرآنى

النفوس ضدها كصد الناس عن سبيل الله وكالحسد . وكنا نستطيع ان نمثل لذلك ببعض القصص كقصة شعيب ويوسف وابنى آدم ، ولكنا آثرنا ان نكتفى بما تقدم لان القصد كان التدليل على وجود هذا الغرض ، وضرب الامثلة التى تثبت وتوضح ، ونعتقد ان قد بلغنا من ذلك ما نريد .

* * *

٣ – والقصة كما تقوم بعملية الافاضة وعملية الايحاء او تكوين عواطف قوية وصادقه مع او ضد القيم الخلقية والدينية الاجتماعية الموجودة فى البيئة او المراد فرضها عليها ، تقوم بعملية أخرى لا تقل عن هذه اثرا فى حياة الاسلام والمسلمين تلك هى الثقة والطمأنينة أو بذر بذور الخوف والقلق والاضطراب النفسى .

القصة القرآنية لها خطرها من هذه الناحية فهى التى تولد هذه الاشياء بعرضها صورا من الحياة الدينية انتصر فيها الدعاة ومن آمن بهم ، وحاق الدمار والهلاك بالقادة المعارضين ومن اتبعهم . وهذه الامور ملحوظة فى مجموعات قصص سور الاعراف والشعراء والقمر .

ونلحظ أن عملية الخالق الفنى فى هذه المجموعات تقوم على أساس اختيار بعض العناصر المعروفة . والمتداولة من اخبار الامم السابقة ، ومزجها واخراجها فى الثوب الذى يؤثر الاثر المطلوب من اشاعه القلق والاضطراب فى قلوب الكفرة والمشركين ، أو رد الثقة والطمأنينة لنفوس المؤمنين . ومن هنا قال شعيب لقومه « ياقوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم بعيد » .

ونستطيع أن نأخذ بعضا من قصص سورة القمر ولتكن « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمرقد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر من مدكر » .

أنا نلحظ التشابه التام فى بنايه القصة فى هذه المجموعة كما نلحظ انها تبتدىء وتنتهى بعبارات تقليدية كذبت ... بالنذر ، فكيف كان عذابى ونذر ، وتوجيها تقليديا ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر . ثم نلحظ قصر الفقرات وتعاقب الجمل بعبارات مسجوعة ذات رنين قوى . وقد كان القصد فيما نعتقد أن تؤثر

هذه الموسيقى على الحس ، فيتضاعف الاثر النفسى ويقوى ، واذا ما ضممنا الى ذلك ماتقوم به عملية التكرار القصصى من عرض صـور سريعة ومتلاحقة بحيث لا يكاد الانسان ينتهى من مشاهدة واحدة منها حتى تهجم عليه الاخرى . قدرنا مقدار ما تشيعه هذه الصور من اضطراب وفوضى وقلق نفسى ، خشية أن ينزل بهم الضرر أو ينالهم الاذى .

وكذلك نلحظ نفس العملية فى قوله تعالى : « **الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية** » .

اما قصة شعيب « **والى مدين آخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولاتبخسو الناس اشياءهم ولاتعثوا فى الارض مفسدين ، بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ . قالوا ياشعيب اصلاتك تامرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو ان نفعل فى أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشـــيد . قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ان أريد الا الاصــلاح ما اســتطعت وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وياقوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثـل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صـالح وما قوم لوط منـكم ببعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود ، قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ، قال ياقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ، ان ربى بما تعملون محيط ، وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب ، وارتقبوا انى معكم رقيب . ولما جاء أمرنا نجينا شـعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** انتهى .

فهذه قصة تجرى هينه لينه ويبقى البطل هادئا رزينا واستحق بحق ما اطلقه عليه بعض المفسرين من لقب خطيب الانبياء . فهو يحاور القوم ويداورهم لـكن لانامة ولا حركة ولا انفعالا قويا عنيفا يدفعه الى العبارات القاسية التى يقطر الدم من ألفاظ التهديد والوعيد فيهـــا . وتمضى القصـــة حتى تنتهى الى تلك النهاية السعيدة بالنسبة لشعيب والمؤمنين وتلك النهاية المؤلمة بالنسبة للكفرة والمشركين .

وهكذا أكثر القصص كقصـــة موسى فى القصص وقصص الصافات ، اذ كل هـذه القصص تصور النتيجة الاخيرة لكل صراع فى سبيل المبدأ والعقيدة . وهى انتصار المؤمنين وخذلان المنكرين المخالفين **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** »

٤ — ونستطيع أن ننتهي من هذه الوظائف بوظيفة أخيرة هي الايحاء بأن محمدا عليه السلام رسول حقا وأن الوحي ينزل عليه ويبلغه أخبار السماء .

وتقوم العملية الفنية في بعض هذه القصص على أن حالة محمد عليه السلام تشبه حال غيره من الانبياء كموسى وابراهيم « **انا أرسلنا اليكم رسولا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول** » . « **انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل كان الله عزيزا حكيما ، لكن الله يشهد بما أنزل اليه انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** » .

وعلى ان ما طلب اليه وما أوصاه الله به هو ما أوصى به الانبياء من قبل « **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب** » .

وفي هذا نستطيع أن نقول ان الغرض كان من قبيل عرض الاخبار العادية التي لم يقصد بها الا لفت الذهن الى قضية من القضايا .

والقصة التي نستطيع أن نسميها قصة فيما يخص نواحي هذا الغرض هي تلك التي عالجت الامر الثالث أو الاخير وهي معرفة أخبار السماء وان الوحي ينزل عليه بها وانه ما كان يعرفها من قبل .

والقصص التي تمثل هذا النوع كثيرة منها قصة موسى في القصص وقصة نوح في هود . واذا حاولنا انتقاء قصة تفي بالغرض وتدل على المراد فلن نجد أفضل من قصة مريم في آل عمران وهي : « **اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ، هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ، قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل مايشاء . قال ربي اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ، واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشي والابكار . واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون** » .

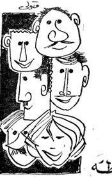
ففى هذه القصة نلحظ معرض صور . فهناك صورة امرأة عمران ونذرها وصورة زكريا ودعائه وصورة عيسى ورسالته ، وتدخل مريم فى كل صورة من هذه الصورة ، ومع كل شخصية من هذه الشخصيات حسب ما يتطلبه الموقف من ظهور تام جلى أو ظهور ناقص خفى .

نلحظ صورة امرأة عمران تلك المرأة المتدينة التى تنذر ما فى بطنها لله وفى سبيل الله . ثم نلحظ تلك المسحة الخفيفة من الألم والحسرة التى تطوف بنفسها على أن كانت المولودة أنثى ، وتلك العاطفة النبيلة أو تلك الرقة وذلك الحنان اللذين يتجليان فى توجهها الى الله من أجل مريم وقولها له : « **انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** » واستجاب ربها فانبتها نباتا حسنا وتقبلها بقبول حسن وجعلها فى كفالة رجل من رجال المحاريب هو زكريا وهنا نلمح أثر غير العادى فى القصة من حوادث خارقه ومعجزات ، فمريم يأتيها رزقها من السماء وزكريا ينجب فيولد له يحيى وامرأته عاقر ، وتلك ارادة الله والله يفعل مايشاء .

ولقد كان هذا الموقف من زكريا بعد توجهه الى ربه ، وطلبه منه ذرية طيبة واستجابة ربه له ثم تعجبه من تلك الاستجابة محيرا للرازى فيما شرح من تفسير للقصة .

وتمضى القصة بعد ذلك ويكفينا منها هذه التوجيهات الدينية التى تتصل بمرادنا وهى قوله تعالى « **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون** وقوله **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** وقوله **ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم** » .

وهكذا نستطيع ان نختم هذا المقال دون ان يفوتنا لفت الذهن أو تكرير القول بأن أمور الدعوة الاسلامية وشرح عقائدها وتوضيح مبادئها كانت ترد فى ثنايا القصة وبين طياتها فى كل ما جاء فى القرآن من قصص ، وأنها كانت غرضا لكنه ليس بالغرض الذى تنتهى عنده القصة ويكون منها النهاية أو الختام ، وانه من أجل ذلك كانت هذه التوجيهات من الموضوعات لا من الاغراض .



بين القصة والقراء

يقدمه : ثروت أباظة

سعيد صبحى الصفانى :

فى خطابك الكثير مما أريد الاجابة عليه ، لقد أخطأت فهم ما أقصد اليه حين ظننت أننى أريد الأدب كله اشراقا وانما أريد واقعا يعبر عن رأى الفنان نبيه ولا أتصور الفنان الذى يتصيد التشويه فى الحياة ــوهو شذوذ ــليجعل منه موضوع أدبه • والقصة التى كنت اكتب عنها تصور شابا مشوها تشويها خلقيا وتصور زملاءه مشوهين تشويها نفسيا • فالمجتمع كله فى هذه القصة شانه حقير لا سلامة فى خلقه ولا فى نفسيته والقصاص بعد ذلك عالج موضوعه فى سذاجة دون عمق • لاأعتقد أنك ترضى عن هذا ، أما أنا فلا أقبله•

وانت من ناحية أخرى تأخذ على أننى لا اقسو فى اجاباتى وان كنت ترى فى نفس الوقت أن هذا يحسن بى واصبحت لا أدرى ان كنت تريدنى أن أقسو أو ارحم • لا عليك وثق اننى سأظل على عدم قسوتى هذه • فمن حق كل انسان أن يظن نفسه اديبا وليس من حق احد أن يقسو عليه لمجرد هذا الظن وحده • وثق أن الحياة تحمل هواة الادب بما يكفيهم من عناء فلا ينقصهم أن يقسو عليهم ناقدوهم أيضا •

قصتك الاخيرة لم أقرأها • خطك فى هذه المرة لم يكن واضحا شانه فى المرات السابقة • أرجو أن ترسلها لى مرة أخرى • ولك فى هذا العدد القصة التى وعدتك بنشرها •

مراد صبحى :

يا أستاذ مراد لقد عانينا من سوء خطك الكثير حتى لقد نقلها أحد الزملاء متفضلا بعد أن رفض عمال المطبعة أن يجمعوها • انت أيها الاخ بين اثنين لا ثالث لهما أما أن تكتب بخط واضح واما أن تكتب قصتك على الآلة الكاتبة•

قصتك الاخيرة قرأتها بعناء . وهى تبدأ بداية مقالية لاتجمل بالفن القصصى ولكنها مع هذا قصة مشرقة . الفكرة فيها لا بأس بها ولكن الا ترى معى انك عالجتها بشىء من السذاجة . فقد رتبت الحوادث بالمسطرة والبرجل . فهو مشوه لانه أنقذها وهو يقف بحيث ينقذها مرة أخرى . أسلوبك جميل يا أستاذ مراد . ارجو أن تحاول مرة أخرى . كما ارجو أن تتعمق شخصياتك وحوادث قصتك أكثر مما تفعل فلن تكون القصة قصة وهى هكذا مسطحة بلا جذور وأصول . اعتقد أن القصة التى نشرت لك خير من هذه فأنت اذن تستطيع أن ترسل الينا خيرا من هذه التى اخترتها أخيرا .

ميلاد جرجس اسعد :

تسألنى ياسيدى ان كان من الممكن فعلا لاديب ناشىء النفاذ لسطور المجلة عن طريق باب «بين القصة والقراء» وتستطيع أن تقرأ الاجابة فى اجابتى على الأديبين اللذين بدأت بهما الباب فى هذا العدد . فقد نشرنا لكليهما قصصا وردت الينا فى البريد على غير معرفة منا بأى منهما .

أما سؤالك الثانى ان كنت تستطيع بالنماذج التى بين يدى أن تصبح أديبا فى يوم من الايام . وتريدنى أن اجيب بصراحة . وبصراحة سأجيب . يمكنك أن تصبح أديبا نعم . ويمكن أيضا أن ننشر لك فى هذه المجلة . ولكن ينقصك يا أخى الكثير من القراءة . فطريقة السرد عندك لم تكتمل بعد ، ولغتك ايضا تحتاج لبعض التقوية ولن يتأتى لك، هذا الا بالقراءة . فلا باس عليك ان تنفق بعض الوقت فى القراءة قبل أن تكتب .

ابراهيم الداقوقى ـ العراق :

قصتك ياسيدى ممتازة فالعرض فيها جميل والفكرة حلوة واسلوبك هامس ليس فيه صخب ولا ضجيج . ولكننى يا سيدى أعتذر اليك عن عدم نشر هذه القصة بالذات لان حجمها قصير الى درجة لا تتفق مع حجم المجلة ولعلها تكون أكثر صلاحية فى جريدة يومية . أرجو الا يحرمنا هذا من نتاج قلمك .

طلال الحسنى ـ لبنان :

أعجبتنى قصتك الرمزية . واعجبنى أكثر ما أعجبنى أشارتك الوامضة الى الساعة البيضاء التى اصبحت لا تحمل الا ٣٠ شباط . واضح من كتابتك انك متأثر بالادب الغربى الحديث ويبدو أنك قرأت فيه كثيرا .

أسلوبك العربى يؤدى عنك ما تريد قوله ولكن لا تحتفى به احتفاءك بالفكرة والعرض . ولا عليك من هذا انما هى ملحوظة وليست نقدا .

يؤسفنى يا سيدى اننى لن أستطيع نشر قصتك هذه لنفس السبب الذى لم أنشر له قصة الاستاذ ابراهيم الداقوقى فهى أقصر من حجم المجلة .

ارجو أن ترسل لنا أخرى نستطيع نشرها .

أحمد ياسين أحمد :

أولا لا يأخذن أحد من القراء على أننى كتبت ياسين بهذه الحروف فهكذا كتب صاحب الاسم ، وكل انسان باسمه ادرى . أما عن قصتك أيها الاخ ياسين فهى قصة تحمل فيك أملا أن تصبح

قصاصا في يوم ما . وأرجو أن يكون هذا اليوم قريبا فانت تستطيع أن تسرد موضوعك في بساطة ووضوح . وفي قصتك فكرة تعرضها عرضا لا بأس به . ولكن ما لها متناهية في الصغر الى هذا الحد . هذا من ناحية الحجم . أما من ناحية الشكل فأية صلة أيها الأخ بين الجزء الاخير من قصتك وبين القصة ذاتها . فانك بهذه الاسطر التى أضفتها لقصتك جعلت منها عملا صحفيا بعيدا عن فن القصة . في القصة القصيرة لا يجوز أن يذكر الا ما يتعلق بصلب القصة ذاتها . اشكرك على حسن ظنك بي لكن ارجو ان تقرأ كثيرا فانه يبدو لي انك لم تقرأ ما يكفي لأن يجعل منك القصاص الذي آمله فيك .

حلمي محمد راضي :

لماذا تخطيء في النحو يا أخي حلمي مع أنك تقول انك كثير القراءة . ألم تحاول أن تقرأ في النحو أيضا . لابد للاديب أن يستكمل اداته ولن تكتمل هذه الاداة أو تتقن اللغة التى تريد أن تكتب بها . وما مسألة البدلة التى وصفتها بانها بدلة جود شيك اترى سيصل بنا الحال أن نكتب ادبنا باللغة الانجليزية والفرنسية معا . ألم تستطع أن تجد وصفا للبدلة الانيقة الا في اللغات الاجنبية . أما عن القصة في ذاتها فهي لطيفة وأنا واثق أنها حدثت بل انني شخصيا عرفت قصة مشابهة لها . ولم أحاول ان اكتبها لا ادرى لماذا .. أو لعلني ادرى .. اعرف لماذا .. لانها أقرب الى النكتة منها الى القصة . ولا بأس أن تكون القصة نكتة في بعض الاحيان على أن تحمل عمقا آخر غير اثارة الضحك منها . ولعل قصتك فيها معنى الا نفتر الظواهر . وقد كنت خليقا أن أتلمس لك هذا المعنى وأنشر القصة رغم قدم المعنى وسذاجته ولكن طريقة العرض التى قدمت بها القصة بدائية بشكل لا يسمح بنشرها . واخطاؤك النحوية كثيرة ارجو ياسيدى أن تضم الى مكتبتك بعض كتب في النحو وأرجو أيضا أن تقرأ الكتب التى اشتريتها وأنا في انتظار قصتك القادمة ان شاء الله .

عنتر عبد السلام مخيمر :

اسلوبك جميل ولغتك سليمة أيها الاخ عنتر ولكن قصتك ناقصة . لقد بدأت أن تكملها . انك لم تزد عن تقديم نفسية المشلول وهو يشكو حرمانه وألمه . ثم انت لم تقل من بعد شيئا . لم تقدم الينا هذه الفتاة . لم تقدم الينا الا هذا المشلول الذى خلق مشلولا ثم أحب . ووقفت بالقصة . اعتقد أنك لو اكثرت من القراءة لاستطعت أن تقدم الينا قصصا غنيا بالمعانى فانك تملك الوسيلة وينقصك الموضوع . وتتبع الاشخاص وخلق الحوادث واعتقد انك حين تقرأ ستقدم الينا اعمالا نستطيع ان ننشرها لك .

حسن درويش العقابي :

يا سيدى قصتك لم تستغرق منك في كتابتها الا الصفحة واحدة في حجم الخطاب ولكننى استنفدت في قراءتها ما أستنفده عادة في قراءة قصتين كاملتين من الحجم العادى . لسببين يا سيدى . السبب الأول هو رداءة الخط رداءة تكاد تكون متعمدة واننى انتهز هذه الفرصة لابلغك أنت وجميع القراء الذين يتفضلون بالكتابة الى هذه المجلة أننى سأمتنع

عن قراءة اية قصة خطها غير واضح • فاننا حتى اذا فرضنا أنهـــا اعجبتنى وأردت نشرها فانها ـ على سبيل القطع لن تعجب عمال المطبعة وسيمتنعون عن جمعها ولهم فى ذلك كل العذر •

أما عن السبب الثانى ياسيدى فهـو الغموض الشديد الذى ألقيت فيه قصتك وما أحسب أن قولك فى أعلى الصـفحة « قصة رمزية » يكفى ليلقى عليها الضوء الذى أردت فانهـــا لو كانت رمزية لعرفت أنها رمزية دون حاجة منك الى أن تشير الى ذلك • هى يا سـيدى مجرد تهويمات غامضة زدتها انت غموضـــا بخطك فاستبهمت جميعا وخرجت عن نطاق القصة جميعا •

ماذا عليك أيها الاخ حسن لو بدأت الكتابة فى القصة العـــادية حتى اذا أتقنتها بحثنا معا مسالة القصة الرمزية بعد ذلك •

ولعله يهمك أن تعـــرف أن الرمزية لا داعى لها ما دام الوضـــوح ممكنا • والرمزية أقوى ما تكون حين تستخفى وراء احداث عادية واضحة • فى مرعى الوضوح هذا تتخفى المعـــانى الرمزية وينشأ اقوى الوان الفن •